ابن حَوقل

دِرَاسة تَارِيخيَّة في كِتَابِه "صورة الأرض"

الكتاب: ابن حَوقل دِرَاسة تَارِيخيَّة في كِتَابِه"صورة الأرض"

المؤلف: أ. د. سَعَد عَبُود سمَّار

أستاذ تاريخ العرب القديم / جامعة واسط

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

تصميم الغلاف: أمينة صلاح الدين



طباعة. نشر. توزيع

دمشق/ جوال: ٩٤٤٦٢٨٥٧٠- ٠٠٩٦٣

Email: akramaleshi@gmail.com
Fecebook:Dar Tamoz

ابن حَوقل

دِرَاسة تَـارِيخيَّة في كِتَـابِه "صورة الأرض"

أ.د .سَعَد عَبُود سمَّـار

أستـاذ تـاريخ العرب القديم / جامعة واسط

بسم اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

المقدمة

ابن حوقل ، علم من أعلام الجغرافيا العربية ، تحمل مادة كتابه (صورة الأرض) أصالة ناتجة عن سعة أسفاره في أقاليم الدولة الإسلامية ما يزيد على ثلاثين عاماً. فضلاً عن قراءته الواسعة في المصنفات التي دونت قبله.

أما أهميته في الفكر الجغرافي فتتجلى بكثرة النصوص التي اعتمدها الجغرافيون والكتاب الذين جاءوا بعده ، فضلاً عما تركه من وصف لمختلف أنشطة الحياة في أقاليم الدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم ينل الاهتمام الكافي من المصادر القديمة ، وحتى المراجع الحديثة التي تناولته بالدرس ردد كثير منها ما أثاره المستشرقون من شكوك في أصالته وأهميته في الفكر الجغرافي العربي.

إن القيام بالكشف عن أحد الجغرافيين العرب الذين لم يهتم بهم الاهتمام المطلوب ضرورة لا بد من القيام بها ، فضلاً عن تقديم صورة نأمل أن تكون واضحة لما ذكره ابن حوقل عن المناحي الإدارية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والمُدنية للأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

إن دراسة تاريخية في كتاب(صورة الأرض) تسهم إسهاما طيباً في الاطلاع على التراث الجغرافي العربي. وهذا ما نأمل أن يحققه هذه الكتاب الذي يتضمن أربعة فصول:

يتناول الفصل الأول ؛ حياة ابن حوقل ، ومعرفة نسخ كتابه(صورة الأرض)

و مخطوطاته ودراسة منهجه ومصادر معلوماته ، وعقد موازنة بين كتابه(صورة الأرض) وكتاب(المسالك والممالك) للاصطخري مع الكشف عن أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي العربي ، وعلاقته بجغرافية بطليموس والأفكار الجغرافية الهندية.

أما الفصل الثاني ؛ فقد كُرس لدراسة الجوانب الإدارية والاجتماعية للأقاليم الإسلامية من خلال ما ذكره ابن حوقل من تقسيمات ومناصب إدارية كانت سائدة آنذاك ، وكذلك تناول عادات السكان وتوزيع القبائل والأقوام ، والأزياء والملابس ، وتوزيع الأديان.

وقد خُصص الفصل الثالث لدراسة الجوانب الاقتصادية للأقاليم الإسلامية ، وتضمن توزيع الإنتاج الزراعي ، والثروة الحيوانية ، وتوزيع المعادن ، وأهم الصناعات ، والطرق التجارية ، والصادرات والواردات ، كما تناول الموازين والمكاييل والنظام النقدي الذي كان سائداً آنذاك ، كما تطرق إلى الأسعار والمستوى المعاشي وأنواع الضرائب.

أما الفصل الرابع فيدور حول دراسة الجوانب المُدنية عند ابن حوقل ، من حيث إعطاء مفهومه للمدينة ، وحجوم المدن ، وتخطيطها ، ومياه الشرب فيها ، ووظائفها ، كما تناول إضافات العرب المُدنية ، وعوامل اضمحلال المدن.

ولعل من أبرز العقبات التي واجهت البحث هي سعة المادة التي تناولها ابن حوقل ، إذ تضم وصفاً واسعاً للأقاليم الإسلامية ، فضلاً عن ندرة التراجم للشخصيات التي التقاها ابن حوقل ونقل عنها قسماً من معلوماته ، لذا اكتفت الدراسة بتثبيت تراجم قسم منها بما ذكره ابن حوقل أو ما ذكرته المصادر عن قسم منها ، ويبدو أن أكثرهم من التجار والمسافرين أو من أهالي البلدان الذين التقاهم ابن حوقل لذا لم يحضوا بشهرة تجعل كتب التراجم تهتم بهم.

هذا وقد اعتمد البحث عدة مصادر ومراجع متنوعة وضحت كثير من المعلومات التي ذكرها ابن حوقل ، أو كشفت عن أهمية هذا العالم الجليل في الفكر الجغرافي العربي ، ولعل كتابَي(المسالك والممالك) و(كتاب الأقاليم) للاصطخري المتوفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، من أهم المصادر التي اعتمد عليها البحث ، لكون ما ورد فيها جعل أساساً للموازنة مع المعلومات التي

ذكرها ابن حوقل ، فضلاً عن معرفة مدى تأثر ابن حوقل بما كتبه الاصطخري من حيث المنهج والمادة ، وعقد البحث موازنة بين كتابه (المسالك والممالك) وبين كتاب ابن حوقل (صورة الأرض) لبيان أصالة ابن حوقل.

أما كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي البشاري(ت ٣٨٧هـ/ ٩٧٧م) فيُعد من المصادر البُلدانية المهمة إذ عاصر مؤلفه ابن حوقل وكان قد توفي بعده بمدة ليست بالبعيدة ، لذا فقد أفادنا كتابه في الكشف عن قسم من مواطن الضعف في بعض الجوانب التي لم يشر إليها ابن حوقل أو ذكرها بشيء من الإيجاز بخاصة في الجوانب الإدارية والدينية ، ومن المعروف عن المقدسي أنه تناول بالنقد والتشكيك فيما كتبه كثير من الجغرافيين الذين سبقوه ، لذا اعتمدت الدراسة رواياته في إثارة الشكوك حول كتاب (صورة الأقاليم) ونسبته إلى البلخي أو إلى الاصطخري فضلاً عن فائدة روايته عن منهج الجيهاني ، الذي لم يصل إلينا كتابه (المسالك والممالك) في الوقت الذي اعتمده ابن حوقل مصدراً من مصادره.

وقد اعتمد البحث كتاب(الجغرافية) ، لبطليموس(ت القرن الثاني الميلادي) ، وكتاب (الأمصار وعجائب البلدان) للجاحظ(ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، وكتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبه(ت٣٠٠هـ/٩١٢م) ، وكتاب (الخراج وصناعة الكتابة) لقدامة بن جعفر(ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) ، للاطلاع على الفكر الجغرافي الذي سبق ابن حوقل والكشف عن مدى تأثره بهذه الكتب لاسيما أنه أشار إليها في كتابه.

أما الكشف عن أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي العربي فيلاحظ ذلك فيما نقله المتأخرون عنه سواء أكان تصريحاً أم اقتباساً من كتابه دون الإشارة إليه ، لذا كان من الضروري الرجوع إلى تلك المخطوطات والمصادر التي أخذت عنه وهي:-
مخطوطة (قطعة من كتاب في الجغرافيا) لمؤلف مجهول(عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ، و(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للشريف الإدريسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٤م) ، وكتابي(معجم البلدان) و(المشترك وضعاً والمفترق صقعاً) لياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ، و(وفيات الأعيان) لابن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨١م) و(آثار البلاد وأخبار العباد) للقزويني(ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٢م) ، و(الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء

الشام والجزيرة) لابن شداد (ت٦٨٤هـ/١٢٨٥م) وكتاب (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد المغربي(ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) و (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) لشيخ الربوة(ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م) ، و(تقويم البلدان) لابي الفدا(ت٧٣١هـ/١٣٣١م) ، و(نهاية الأرب) للنويري(ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م) ، و(كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار) لابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م) ، و(صبح الأعشى) للقلقشندي(ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ، و(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقريزي(ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) و مخطوطة(عجائب البلدان والجبال والأحجار) لعلي بن عيسى(وفاته مجهولة) ، و مخطوطة(رسالة في أسماء البلدان) لمؤلف مجهول. لمعرفة مدى تأثر هؤلاء الكتاب بمادة ومنهج ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض).

أما المراجع الحديثة فقد أمدتنا بمعلومات ، بيد أنها كانت قليلة لا تكشف النقاب عن ابن حوقل ومصادره وأهميته في الفكر الجغرافي ، باستثناء كتاب (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) لكراتشكوفسكي الذي يُعد من أهم المراجع وأغناها ، إذ تناول بالدرس المصنفات الجغرافية العربية ، ومن بينها صورة الأرض ، وذكر معلومات عن منهجه ونسخ من مخطوطات كتابه ، وذكر أهميته فيما يتعلق بوصفه للمغرب والأندلس ، أما مقالة الدكتور فلاح شاكر أسود (خرائط ابن حوقل في كتابه صورة الأرض) فقد أفادتنا في توضيح منهجه ، ولاسيما في رسم الخرائط ، وزودتنا مقالة الدكتور عبد الواحد ذنون(الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض) بمعلومات عن ابن حوقل ، حياته ، منهجه ، والكشف عن مواطن الضعف والقوة فيما كتبه ابن حوقل عن الأندلس.

وهناك مصادر ومراجع أفادت البحث يمكن الاطلاع عليها في الثبت التفصيلي لها في آخر هذا الكتاب.

الفصل الأول

ابن حوقل
حياته، منهجه، أهميته

- حياته
- ميوله السياسية
- نسخ الكتاب ومخطوطاته
- منهجه
- مصادر معلوماته
- موازنة بين كتاب(المسالك والممالك) لـ(الاصطخري) وكتاب(صورة الأرض) لـ(ابن حوقل).
- ابن حوقل وأفكار بطليموس الجغرافية، والأفكار الجغرافية الهندية.
- أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي العربي.

حياته

هو أبو القاسم محمد بن علي[١] ، المعروف بـ(ابن حوقل)[٢] ، أو الحوقلي كما ذكره بعض الكتاب والجغرافيين[٣] ، نُسب إلى مدينة بغداد وأطلق عليه(البغدادي)[٤] ، ونسبه قسم إلى مدينة الموصل وأطلق عليه(الموصلي)[٥] ، أو إلى مدينة نصيبين وسمي(النصيبي)[٦].

---

١ - ينظر : أبو عبد الله محمد بن إدريس الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، نابولي(روما: ١٩٧٠م) ق١، ص٥.

٢ - ذكره معظم الكتاب والجغرافيين بهذا الاسم، ينظر علي سبيل المثال: مؤلف مجهول، قطعة من كتاب في الجغرافيا، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد، مصورة بالفونستات برقم (١٢١٨) ورقة ٦٨، ٧٠، ٧٣، ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، دار بيروت(د.ت)، ج١، ص٢٦٢، احمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ج٢، ص٣٩٨، ج٤، ص١٧٣، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، اعتنى بنشره وستنفلد(ليبزك: ١٨٤٨م)، ص١٠٦، ١١٠، إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر أبو الفدا، تقويم البلدان، نشره رينو،(باريس: ١٨٤٠م)، ينظر مثلاً: ص١.

٣ - الإدريسي ، نزهة المشتاق، ق١، ص٤٠، ق٢، ص١٧٧، القزويني، المصدر نفسه والصفحات، علي بن عيسى، كتاب عجائب البلدان والجبال والأحجار، مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد، برقم(١٤)، ينظر: ورقة ٤٣، ٤٦.

٤ - ينظر: الإدريسي، المصدر نفسه والصفحة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المقدمة، ط٤، دار إحياء التراث العربي،(بيروت، د.ت)، ص٥٣.

٥ - ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٦٢، ص٣٦٩، القزويني، آثار البلاد، ص١٠٦،ص١١٠.

٦ - الصاحب عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق سامي الدهان، (دمشق: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، ج١، ص٢٣٩.

وعلى الرغم من المكانة العلمية والشهرة التي حُظي بها ابن حوقل في الفكر الجغرافي الإسلامي ، إلا أن كتب التراجم أغفلت ترجمته ، لذا جاءت معلوماتنا عنه قليلة لا تكشف جميع جوانب حياته ، ويبدو أن السبب في إغفال ترجمته كونه تاجراً ورحالة ، فقد قضى أكثر من ثلاثين عاماً في الرحلات وتجول في الأقاليم المختلفة ولم يستقر في مكان واحد لحقب طويلة [1] ، مما جعله غير معروف من قبل المختصين بتدوين التراجم والسير ، أو ربما كان السبب عدم اهتمام كتاب التراجم بما دونه البلدانيون ، لذا لم يحظوا باهتمام واسع منهم ، وما يرجح ذلك أن هذا الأغفال امتد إلى جغرافيين آخرين هما الاصطخري والمقدسي. أما الكتاب المحدثون[2] في

---

١ - عبد الواحد ذنون طه، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٧، سنة١٩٨٣م، ص٤٥.

٢ - ينظر المراجع التالية:

- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة(١٩٤١)، ج٢، ص١٦٦٤.
- إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين في أسماء المؤلفين والمصنفين، ط٢،(طهران: ١٩٥٧)، ص٤٣.
- بطرس بن عبد الله البستاني، كتاب دائرة المعارف(بيروت- لبنان: ١٩٦٤)، مجلد١، ص٤٥١.
- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال(مصر: ١٩٥٧)، ج٢، ص٢٠٨.
- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٣،(بيروت: ١٩٦٩)، ج٦، ص٣٤٤.
- مقبول أحمد(S.Maqbul Ahmed) ، مادة جغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، ط٢، ترجمة إبراهيم خورشيد آخرون،(القاهرة: ١٩٦٩)، ج١٢، ص١٣٠- ١٣١.
- كرامرز(J.H.Kramers) ، مادة جغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد(١٢)، ص١١٩، ١٢٠، ١٣٠- ١٣١.
- ارندنك، مادة ابن حوقل، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد١، ص١٤٥.
- اغناطيوس يوليو نافتش كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين هاشم،(القاهرة: ١٩٦٣)، ق١، ص٢٠٠.
- زكي محمود حسن، لرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دائرة المعارف،(مصر: ١٩٤٥)، ص٣٩.
- نفيسي احمد، جهود المسلمين في الجغرافية، ترجمة فتحي عثمان، القاهرة، سلسلة الألف=

حديثهم عن ابن حوقل ورحلته ، فكان معظمهم قد اعتمد ما ذكره عن نفسه في كتابه(صورة الأرض).

أما عن ولادته فلم تذكر المصادر شيئاً عن ذلك ، بيد أن بعض الكتاب المحدثين استنتج أنه ولد بمدينة نصيبين في(إقليم الجزيرة)[١] ، بينما أشار قسم آخر إلى أن مكان ولادته في(بغداد)[٢] ، ولم يقدم كلا الرأيين أدلة يمكن الركون إليها ، لذلك لا يمكن الجزم بتحديد المدينة التي ولد فيها ابن حوقل على وجه الدقة.

أما عن حياته ، فمن خلال ما ذكره ابن حوقل في كتابه نستطيع أن نعرف قسماً من جوانبها ، إذ إنه نشأ في بغداد في المدة التي سبقت رحيله عنها يوم الخميس

=كتاب، ص٥٤.

- عمر رضا كحاله، معجم المؤلفين، دمشق: ١٩٦٠، ج١١، ص٥.
- نقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات عند العرب، ط٣،(بيروت: ١٩٨٢)، ص٣١.
- احمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي، ط١٧،(بيروت: ١٩٦٠)، ص٧٣.
- شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، مطبعة دار السلام، بغداد: ١٩٧٥، ص٣٧٣.
- المؤلف نفسه، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي،(بغداد: ١٩٧٩)، ص٥٦- ٥٧.
- محمد الصادق عفيفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين،(القاهرة: ١٩٧٦- ١٩٧٧)، ص٢٧٥.
- جمال فندي، الجغرافية عند المسلمين،(بيروت: ١٩٨٠)، ص١٣٢.
- يسرى الجوهري، الفكر الجغرافي والكشوفات الجغرافية،(الإسكندرية، د.ت)، ص٨٩- ص٩٠.

-A. Maquel, Ibn Howkal, The Encyclopedia of Islam, New Edition, London, 1965.

Blachere, et H.Darmanr, Geographes Arabes Dumyen 1957, p.134- 136.

*** Sep h paol. Ibn Hawkal, lea Gahiers detunisie Tom XVII, A.1964, p. 263- 265**

١ - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق١، ص٢٠٠، عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٤٦؛ وينظر:

Maquel, Ibn Ha W kal, The Encyclopedio of Islam Maqbal Ahmed,Geography. The Encyclopedio of Islam.

٢ - احمد سوسه، العراق في الخوارط القديمة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف، بغداد: ١٩٥٩، ص١٨، شوقي ضيفه الرحلات، سلسلة فنون الأدب العربي، الفن القصصي تصدرها دار المعارف، مصر: ١٩٥٦، ص١٢.

المصادف السابع من رمضان سنة(٣٣١هـ/الخامس عشر من آيار٩٤٣م)[١]. ويمكن اقتفاء أثر رحلته في الأقاليم الإسلامية عن طريق التواريخ التي ذكرها. ففي عام (٣٣٦هـ/٩٤٧م) كان في إقليم المغرب ، وفي عام(٣٣٧هـ/٩٤٨م) كان في الأندلس ، وفي عام (٣٤٠هـ/٩٥١م) عاد إلى المغرب ، وفي عام(٣٥٠هـ/٩٦١م) كان في مدينة البصرة(في العراق) ، وفي عام(٣٥٨هـ/٩٦١م) زار(مصر ، والجزيرة ، والعراق ، والأهواز ، وجرجان) ، وفي عام(٣٦٢هـ/٩٧٢م) كان في صقلية[٢].

وعن جوانب حياته الأخرى ، فقد اطلعنا ابن حوقل على لقاءه الاصطخري ، إلا أنه لم يحدد تاريخ ومكان هذا اللقاء ، ويرجح دي غويه(**DeGoeje**) حدوث ذلك الاتصال ما بين سنة(٣١٨هـ/٩٣٠م) وسنة (٣٢١هـ/٩٣٣م)[٣] ، بينما رجح آخرون أن هذا الاتصال كان في سنة(٣٤٠هـ/٩٥١م)[٤] ، ولا نعرف كيف استنبط كلا الرأيين هذه التواريخ ، لذلك لا يمكن تجديد تاريخ ومكان لقاء ابن حوقل والاصطخري على وجه الدقة ، لعدم وجود نصوص صريحة توضح ذلك.

ومن ما ذكره ابن حوقل في كتابه يتضح أنه كان يمتهن التجارة ، ذلك من حديثه عن مدينة تفليس في إقليم(أرمينية وأذربيجان والران) قال: "وحيل بيني وبين رحيلي وما كان معي... ، وبضاعتي في خلال ذلك تباع..."[٥] ، وكذلك أشار إليه ياقوت الحموي في(معجم البلدان) ، بالتاجر الموصلي[٦]. أما عن عائلته ، فلا تتوافر معلومات تكشف عنها ، سوى نص ذكره ابن الأثير في حوادث سنة(٣٦٣هـ/٩٧٣م) عن اعتقال

---

١ - صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة،(بيروت- لبنان:١٩٧٩)، ص١٠.

٢ - المصدر نفسه: الصفحات:١٥٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥، ٢٣٣.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٨٤.

٤ - محمد محمود الصياد، من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي، دار الأحد، (بيروت:١٩٧١)، ص٢٣،محمد الصادق عفيفي،تطور الفكر العلمي عند المسلمين،ص٢٧٥.

٥ - صورة الأرض، ص٢٩٣.

٦ - معجم البلدان، ج١، ص٢٦٢.

أحمد بن حوقل من قبل أبي تغلب بن حمدان في مدينة الموصل[1] ، ولا يوجد لدينا دليل يؤكد أن أحمد هذا كان أخاً لمحمد بن حوقل.

أما عن سنة وفاته ، فلا يعلم في أية سنة توفي ، إلا أنه يمكن القول: إنها كانت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. يؤكد ذلك ما ذكره عن دخول الروم إلى مدينة حلب إذ يعلق ناسخ(كتاب صورة الأرض) على ما ذكره ابن حوقل أن الروم دخلوا هذه المدينة عام ثلاثمائة ونيف وسبعين[2] ، وكذلك يمكن الاستنتاج من اقتباس ياقوت الحموي عن ابن حوقل عندما ذكر مدينة البصرة في (إقليم المغرب) ، بقوله: "قال ابن حوقل: رأيتهما في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة (٩٨٨م) ، وقد خربت"[3].

وذكر حاجي خليفة[4] تاريخ وفاته عام(٣٥٠هـ/٩٦١م) ويُستبعد أن يكون هذا التاريخ سنة وفاته ؛ لكون ابن حوقل زار جزيرة(صقلية) بعد هذا التاريخ أي سنة (٣٦٢هـ/٩٧٣م) ، وأشار(جيودي)[5] إلى أن ابن حوقل أكمل كتابه سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) ، ومعنى هذا أنه توفي بعد هذا التاريخ.

ميوله السياسية:

ذكر المستشرق دوزي أن ابن حوقل كان عيناً للفاطميين ، فقد أشار إلى أنه دخل بلاد الأندلس متستراً بالتجارة لاستطلاع أحوالها لمصلحة مواليه الفاطميين ، وذلك حينما كانوا يفكرون في توجيه ضربة إلى هذه البلاد[6] ، وقد ردد الكتّاب

---

١ - الكامل في التاريخ، دار صادر،(بيروت: ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ج٨، ص٦٣٢.

٢ - صورة الأرض، ص١٦٣.

٣ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، نشر في(ليدن: ١٨٤٦م)، ص٥٧.

٤ - كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مجلد٢، ص١٦٦٣.

٥ -محاضرات، أدبيات الجغرافيا، ص١٤.

٦ - نقلاً عن محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد(٢)، العدد(١- ٢)، سنة(٣٧٣هـ- ١٩٥٤م)، ص١١٥، وكذلك، عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٥٢.

المحدثون والمستشرقون هذا الرأي[١].

فقد ذكر(محمود علي مكي)[٢] ، أن ما يفسر اهتمام ابن حوقل بصفة خاصة بتسجيل دخل الأندلس ومواردها الاقتصادية وتعدد خيراتها ، ووصفه طرقها ، ثم أحوالها من الناحية العسكرية ، كل ذلك اهتم ابن حوقل ببيانه في دقة تستوقف النظر ، وقد حاول في كتابه أن يقنع الفاطميين بضرورة فتح الأندلس لكثرة خيراتها من ناحية ، ولضعف أهلها من الدفاع عنها من ناحية أخرى ولكن يظهر أن مشروعه لم يظفر بالتأييد من جانب الفاطميين ، أما المستشرق (بروفنسال) [٣] ، فإنه يرى أن يكون ابن حوقل عيناً للعباسيين أو الفاطميين ، أما (كراتشكوفسكي) [٤] ، فقد أكد رأي المستشرق (دوزي) أن ابن حوقل كان جاسوساً للفاطميين ، ويضيف داعماً هذا الرأي أن ابن حوقل كان من أوائل من قدموا معلومات وفيرة عن قرامطة البحرين الذين عرفهم فيما يبدو جيداً أو عن كثب.

ويبدو أن رأي(دوزي) بنعت ابن حوقل عيناً للفاطميين جاء للتقليل من القيمة العلمية لرحلته إلى الأندلس ، وجعلها رحلة الغرض منها دوافع سياسية ، ولم يُقدم الحجة الدامغة لتجعلنا نقتنع بحصر اهتمامات العالم الجغرافي(ابن حوقل) وشغفه بزيارة البلدان بهدف آني ذي بعد سياسي ، وإن وصفه للجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والمسالك ، لم يقصرها ابن حوقل على بلاد الأندلس ، بل

---

١ - ينظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٢٠٤، نفيسي احمد، جهود المسلمين في الجغرافية، ص٥٤؛ Maquel, Ibn Howkol, The Encyclopedio of Islam. محمود علي مكي، التشيع في الأندلس، ص٥٢، حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، طبعة مدريد، معهد الدراسات الإسلامية(١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م)، ص١٠، مختار العبادي، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية(مدريد: ١٩٥٧)، ص٢٠٥، السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب(الإسكندرية: ١٩٨١)، ص١٩٠.

٢ - التشيع في الأندلس، ص٥٢.

٣ - حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت)، ص٧٦- ص٧٧.

٤ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٢٠٤.

جاءت في وصفه لكل الأقاليم الإسلامية ، ومن المعروف عنه أنه امتهن التجارة ، لذلك كان يهتم بشؤون الاقتصاد أين ما حل ، لا فرق عنده في ذلك بين إقليم وآخر.

ولم يدخل الأندلس متستراً بالتجارة ، لأنه لم يكن بحاجة إلى ذلك ، فالأندلس كانت مفتوحة لكل من أراد دخولها ، والرحلات بين المشرق والمغرب كانت شائعة وأكثر من أن تحصى[١]. فضلا عما يذكر يُلاحظ من المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الأندلس أنه لم يكن في معظمها متحاملاً على هذا البلد وأهله ، بل أنه ترك وصفاً تفصيلياً ورائعاً عن جوانب من رقيها وتقدمها ، وكذلك الرفاه الاقتصادي الذي كان يعيشه أهالي الأندلس إبان هذه الحقبة فقد أظهر وصفه بهاء العاصمة (قرطبة) ، ونعتها ببغداد الثانية ، ووصف جمال مدينة الزهراء وثراء وضخامة جانب الرصافة فيها[٢].

أما عن موضوع تقديم ابن حوقل معلومات وفيرة عن قرامطة البحرين ، للتدليل على أنه كان جاسوساً للفاطميين ، فإن ما يلاحظ عن معلوماته بهذا الخصوص يتضح الضد ، إذ إنه كان متحاملاً على رجالها فمثلاً نعت أبي سعيد الجنابي بـ"الدجال صاحب البحرين" ، واستنكر أعمال القرامطة باحتلال البصرة والكوفة ونهبهم لأموال الحجاج ، وتخريبهم مكة ، وأخذهم الحجر الأسود ، وكنوز الكعبة[٣].

وما ينفي ميول ابن حوقل الفاطمية ، أيضاً ما جاء في وصفه لبلاد(مصر) عند دخول المغاربة(الفاطميين) لها: "وقد تغيرت مذ وقت دخل المغاربة أرضها ورزحت من جميع أسبابها ، وبقيت منها رسوم وبقايا من خالية تستحق بما سلف فيها من الأمور الرفيعة العالية "[٤].

ويتضح مما تقدم أن المعلومات التي قدمها ابن حوقل سواء أكانت عن القرامطة أم الفاطميين تحمل على الاعتقاد أنه لم يكن عيناً للفاطميين.

١- عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٥٣.

٢ - صورة الأرض، ص١٠٧.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٣٩،ص ٢٥٨- ص ٢٥٩.

٤ - المصدر نفسه، ص١٣٥.

نسخ الكتاب ومخطوطاته[1] :

طبع كتاب ابن حوقل تحت عنوان(المسالك والممالك) طبعة أولى باعتناء المستشرق(دي غويه) ، في المجلد الثاني من مجموعة المكتبة الجغرافية العربية سنة ١٨٧٣م ، واعتمد(دي غويه) في طبعته على مخطوط(ليدن) ، وهي مستنسخة عن نسخة(إسطنبول) ، التي تركت فيها صفحة بيضاء وبعد كل فصل للخارطة الموجودة ، وإن ترك الأوراق بيضاء ، يوضح عدم قدرة الناسخ على رسم الخرائط ولا توجد ورقة بيضاء بعد فصل الأندلس وصقلية ، مما يدل على عدم وجود خارطة لهما عند ابن حوقل [٢] ، واعتمد (دي غويه) أيضاً في نشره الكتاب على مخطوطة خزانة أكسفورد(بودلينا) برقم(٩٦٣) وقد تركت أوراق الخرائط بيضاء أيضا ، واعتمد أيضا في طبعته على المخطوطة المرقمة (٢٢١٤) في المكتبة الأهلية بباريس وأطلق عليها في طبعته الموجز الباريسي (**Epitin parisierisis**) ، وهي مختصر لنسخة اسطنبول المارة الذكر وفيها عدة إضافات عن الحقبة الواقعة بين سنة ٥٣٤هـ وسنة ٥٨٠هـ(١١٣٩-١١٨٤م)[٣] ، وهذه الإضافات ترجع إلى الشخص الذي قام بالاختصار. وقد عرفت في منتصف القرن الثاني عشر الميلادي وقد أضيفت إليها خارطة النيل المأخوذة من خرائط الخوارزمي [٤].

أما الطبعة الثانية للكتاب فقد نقلها المستشرق فون كرامرز (**J.H.Kramers**) في

---

١ -عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٥٣. عن هذا الموضوع ينظر المصادر التالية: ابن حوقل، المسالك والممالك، منشورات (دي غويه)، و(صورة الأرض) منشورات كرامرز- ليدن: ١٩٣٨، "ينظر مقدمة الكتاب"، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٢٠٥، أحمد سوسه، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، نقابة المهندسين العراقيين ١٩٧٤، ص١٧١، فلاح شاكر اسود، خرائط ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد السادس والعشرون(١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٦٢٧.

٢ -فلاح شاكر أسود، خرائط ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، ص٦٢٧.

٣ -مقدمة كتاب صورة الأرض، ليدن: ١٩٣٨.

٤ - فلاح شاكر أسود، خرائط ابن حوقل، ص٦٢٧ .

مجلدين في ليدن سنة ١٩٣٨ باسم(صورة الأرض) وقد احتوت على اثنين وعشرين خريطة ، وقد اعتمد أقدم نسخة لمخطوطة كتاب ابن حوقل وهي النسخة المرقمة(٣٣٤٦) بخزانة السراي العتيق في إسطنبول والتي نسخت في سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م وهي تختلف عن نسختي(ليدن) و(أكسفورد) التي اعتمدها(دي غويه) في طبعته الأولى[1] ، وقد اعتمد (كرامرز) أيضا النص الموجود في الطبعة الأولى التي نشرها (دي غويه) ، وكذلك النص المختصر(الموجز الباريسي)[2] ، وذكر (كرامرز)[3] في موازنته بين النص الذي اعتمده في طبعته وبين النص الذي اعتمده (دي غويه) ، فيرى أن نسخة السراي التي اعتمدها في طبعته توجد فيها بعض القطع غير المعلومة إلى الآن من قلم ابن حوقل وهي تتعلق خاصة بوصف القسم الغربي من الدولة الإسلامية ، كما وردت معلومات عن بلاد البجة وتاريخهم وفي تعداد أكثر من مائتي قبيلة من قبائل البربر ، وفي الوصف المطول في أحوال صقلية إذا استثنينا عدة إضافات قصيرة ، وأما القسم الشرقي فقد جاءت فيه فقرة غير معلومة إلى الآن في وصف مدينة أصبهان ، أما النص الذي اعتمده كرامرز ففيه بعض الفقرات لا أثر لها في النسخة المرقمة(٣٣٤٦) ولكن نجدها في النص الذي اعتمده(دي غويه) المخطوطة المرقمة(٢٢١٤) من أهمها الخبر عن ابتداء أسفار المؤلف في مقدمة الكتاب والفقرات المختصة بقسم من الخلفاء الفاطميين والخبر الوارد في آخر صفة السند على ملاقاته أبي إسحاق(الاصطخري) وقد أدخل (كرامرز) هذه الفقرات إلى متن الكتاب بين قوسين مربعين ، لهذا جاءت(طبعة كرامرز) أوفى طبعة ، وقد قامت دار مكتبة الحياة في بيروت بطبع الجزئين(طبعة كرامرز) بجزء واحد وبالعنوان نفسه(صورة الأرض) وتحتوي اثنتين وعشرين خريطة.

وهناك مخطوطات أخرى للكتاب ذكرها بروكلمان ، منها مخطوطات في

---

١ -مقدمة كتاب صورة الأرض، ليدن: ١٩٣٨.

٢ - المصدر نفسه.

٣ - المصدر نفسه.

السراي برقم(٣٣٤٦) وهي أقدم مخطوطة ، و مخطوطة برقم(٣٣٤٧) ، وايا صوفيا برقم (٢٥٧٧) و(٢٩٣٤)[١]. وذكر(ميللر) عدة أرقام للفهرس العربي في باريس ، وهي برقم(٢٢١٥) لـ(ابن حوقل) في(٢٥٦) صفحة مأخوذة من مُسودة ليدن ، ورقم (٢٢١٥) الذي يتضمن(٥٦) صفحة تخلو منها المخطوطة السابقة ، والرقم(٢٢١٧) يحتوي جدول جغرافي لمخطوطة ابن حوقل المرقمة (٢٢١٥)[٢].

أما عنوان الكتاب فقد انفرد صاحب مخطوطة (قطعة من كتاب في الجغرافية)[٣] بذكره باسم(كتاب الأقاليم) ، ولم يرد مثل هذا العنوان عند غيره من الكتاب والجغرافيين الذين نقلوا عن ابن حوقل ، ويبدو أن مؤلف هذه المخطوطة قد اقتبس عن نسخة لكتاب ابن حوقل تحمل عنوان (كتاب الأقاليم) ، أما ابن خلكان[٤] فقد ذكره باسم (المسالك والممالك) ، وحملت الطبعة الأولى لكتاب ابن حوقل التي نشرها(دي غويه) اسم (المسالك والممالك) ، أما الطبعة الثانية فقد جاءت تحت عنوان (صورة الأرض) ؛ لأن ابن حوقل رسم في مقدمة الكتاب صورة لجميع الأرض ، ومما يجب ذكره أن العنوان الأخير هو الأكثر شيوعاً وقبولاً.

أما ترجمة كتاب ابن حوقل إلى اللغات الأجنبية ، فقد ترجم لأول مرة من قبل (السير وليم أوسلي) إلى الإنكليزية وطبعت هذه الترجمة سنة(١٨٠٠م)[٥] ، وترجم إلى الفرنسية وقام بهذه الترجمة ووضع الملاحظات (كراموز) و(جي وايت)[٦] ، وترجم إلى الفارسية أيضا[٧].

---

١ - تاريخ الأدب العربي، ج٤، ص٢٤٧،ص ٢٤٨.

٢ - فلاح شاكر اسود، خرائط ابن حوقل، ص٦٢٨.

٣ - ينظر ورقة رقم ٣٣، ٣٨.

٤ - وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٩٨، ج٤، ص١٧٣،ص ٢٦٨.

٥ - احمد سوسه، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ص١٧١، وينظر: فلاح شاكر أسود، خرائط ابن حوقل، ص٦٢٩.

٦ - ونشرت هذه الترجمة اليونسكو، سلسلة الكتب العربية، اللجنة الدولية لترجمة المؤلفات القيمة.

٧ - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب العربي، ق١، ص ٢١٦.

منهجه :

قبل أن نسلط الضوء على المنهج الذي اتبعه ابن حوقل في تأليف مصنفه(صورة الأرض) ، ينبغي معرفة الدوافع التي دعته إلى تأليفه ، ومن خلال ما ذكره في مقدمة كتابه يتضح لنا ما يلي:-

١- اهتماماته العلمية منذ صباه وشغفه بقراءة كتب المسالك ، فضلاً عن استفساراته من المسافرين والتجار عن أخبار البلدان بقوله: "وكان مما حضّني على تأليفه وحثّني على تصنيفه ، وجذبني إلى رسمه أني لم أزل في حال الصبوة شغفاً بقراءة كتب المسالك ، متطلعاً إلى كيفية البين بين الممالك في السير والحقائق ، وتباينهم في المذاهب والطرائق... وترعرعت فقرأت الكتب الجليلة المعروفة والتواليف الشريفة الموصوفة..."[١] ، وبهذا الخصوص ذكر في مكان آخر من كتابه: "وكان أكثر ما حداني على هذا الكتاب وتأليفه على هذه الصورة ، أني كنتُ في حال الحداثة شغفاً بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار كثير الاستعلام والاستخبار لسافر النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيه"[٢].

٢- قناعته بقصور كُتب المسالك والممالك التي اطلع عليها آنذاك ، وعدم صحة الرسوم (الخرائط) التي تحويها حيث يتضح ذلك من قوله: "...فلم أقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً ، وما رأيت رسماً متبعاً ، فدعاني ذلك إلى تأليف هذا الكتاب"[٣].

٣- لقد سيطر الأتراك على مقدرات البلاد واصبح الخليفة العباسي ألعوبة بأيديهم ، فكانت معاناة ابن حوقل من تدهور الوضع السياسي من الدوافع التي دعته إلى القيام برحلته ويتضح ذلك من قوله: "وكان مما حضني على تأليفه وحثني على تصنيفه... الشهوة لبلوغ الوطر ، بجور السلطان وكلب الزمان ، وتواصل الشدائد على أهل المشرق والعدوان ، واستئناس سلاطينه

---

١ - صورة الأرض، ص١٠.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٨٣.

٣ - المصدر نفسه، ص١٠.

بالجور بعد العدل والطغيان..."[1].

٤- دافع السفر والرحلة لطلب التجارة وما تتطلب هذه المهنة من تجوال في الأقاليم لكسب الرزق إذ يقول:"... وأعانني عليه تواصل السفرة وانزعاجي عن وطني مع ما سبق به القدر لاستيفاء الرزق والأثر"[2].

أما عن منهجه فيُعد ابن حوقل من الجغرافيين ذوي المنهج الدقيق ، فقد شرح منهجه في مقدمة كتابه وتضمن:-

١- اهتمامه بالجزء المعمور من الأرض ، ومعظمه يقع في نطاق الأقاليم الإسلامية ، كما شملت دراسته لسطح هذه الأقاليم وتحديد أطوالها: "وقد عملت له كتابي هذا بصفة أشكال الأرض ، ومقدارها في الطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومجل الغامر منها والعمران من جميع بلاد الإسلام"[3].

٢- لم يتبع ابن حوقل تقسيم الأرض على سبعة أقاليم ، وإنما اتبع التقسيم الجغرافي ، فضلاً عن انتقاده الخارطة الهندية في مدينة القواذيان في بلاد ما وراء النهر بقوله:"...ولم أقصد الأقاليم السبعة[4] التي عليها قسمة الأرض لأن الصورة الهندية[5] التي بالقواذيان ، وإن كانت صحيحة فكثيرة التخليط[6].

٣- فصَّل ابن حوقل في الأقاليم الإسلامية ، وتناولها بالحديث إقليما إقليماً

---

١ - صورة الأرض ، ص١٠.

٢ - المصدر نفسه والصفحة.

٣ - المصدر نفسه والصفحة.

٤ - تقسيم العالم على سبعة أقاليم، نظرية هندية قسمت العالم على سبعة دوائر هندسية متساوية بحيث تكون الدائرة الرابعة في الوسط والدوائر الست تحيط بها من جميع أطرافها. وهذه الأقاليم؟، السواد، والحجاز، يأجوج ومأجوج، مصر، الروم، الهند، الصين، ينظر: احمد سوسه، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ق١، ص٢٣٠.

٥ - سنوضحها بالحديث عن علاقة ابن حوقل بأفكار بطليموس الجغرافية والأفكار الجغرافية الهندية، في هذا الفصل.

٦ - صورة الأرض، ص١٠.

وحدد موقع كل إقليم وما يجاوره من سائر الأقاليم ، وجعل لكل إقليم من هذه الأقاليم خريطة وضحت بها حدوده ، وما فيه من مدن [١] ، ومما يجدر ذكره أنه أشار أيضا إلى المناطق المتاخمة للدولة الإسلامية ، إذ كانت لأهلها علاقات وصلات جغرافية ، تاريخية واجتماعية بها [٢]. وهنا شدد ابن حوقل في منهجه قبل كل شيء على أقاليم الدولة الإسلامية ، ويرى (كراتشكوفسكي) أن محاولة قصر المادة على هذه الأقاليم مع إهمال الأقطار الواقعة خارجها من أبرز مميزات المدرسة الكلاسيكية للجغرافيا العربية وبضمنهم ابن حوقل[٣].

٤- أنه ذكر ما في هذه الأقاليم من أنهار وبحار وموارد مالية ، وطرق ومسافات وما فيها من مواد تجارية(مصدرة ومستوردة) يتضح ذلك من قوله: "ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن... وما لها من القوانين[٤] والارتفاع[٥] وما فيها من الأنهار والبحار وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشمل عليه ذلك الإقليم من وجوه الأموال والجبايات والأعشار ، والخراجات ، والمسافات في الطرق ، وما فيه من المجالب والتجارات"[٦].

---

١ - صورة الأرض، ص١٠..

٢ - شفيق عبد الرحمن علي، مدارس الجغرافية عند المسلمين، بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المنعقد في جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، طبع بإدارة الثقافة والنشر بالجامعة(١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م) ج٣، ص٢٥٩.

٣ - تاريخ الأدب، الجغرافي العربي، ق١، ص٢٠٥.

٤ - القوانين: هو الأصل الذي يرجع إليه وتبنى الجباية عليه، ينظر: أبو عبد الله محمد بن احمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم(مصر: ١٩٢٣م)، ص٣٧ وذكرها حسن إبراهيم حسن، بأنها الاصطلاح العام للضرائب، تاريخ الإسلام السياسي، ط٧،(مصر: ١٩٦٥)، ج٣، ص٢٩٠.

٥ - الارتفاع مبلغ ما يستحصل من المال من دواوين الدولة، أو هو مجموع الأموال الديوانية كلها، ينظر: أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي، رسوم دار الخلافة، تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني، (بغداد: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م) حاشية رقم(٤)، ص٢١، بمعنى ميزانية الدولة.

٦ - صورة الأرض، ص١٠.

هذا بخصوص ما ذكره ابن حوقل عن منهجه ، أما بعد دراسة كتابه (صورة الأرض) فيمكن تسجيل المُلاحظات التالية عن منهجه:-

١- أنه ذكر في بداية كتابه أسباب تأليفه ، والخطوط العامة لمنهجه ، وبذلك ابتعد ابن حوقل عن نمط المقدمات في الجغرافية الفلكية [١] ، التي بدأها ابن خرداذبه في كتابه (المسالك والممالك).

٢- أما منهجه في تبويب موضوعات كتابه ، فإن ديار العرب احتلت الأولوية في حديثه عن أقاليم الدولة الإسلامية ، وفي منهجه هذا خالف منهج بعض الجغرافيين والكتاب مثل ابن خرداذبة(ت٣٠٠هـ/٩١٢م) واليعقوبي(ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) ، والمسعودي(ت٣٤٦هـ/٩٥٦م) ، عندما عَدوا أقليم العراق وسط المعمورة و(سُرة الأرض).

ويعلل ابن حوقل منهجه هذا بقوله: "فابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي أم القرى وبلد العرب وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم"[٢] ، وقد وضع ابن حوقل في منهجه هذا العامل الديني والقومي نصب عينيه لأن مكة تحظى بقدسية العرب والمسلمين ، واعتزاز ابن حوقل ، بانتمائه العربي جعله يتخذ من ديار العرب نقطة البدء في حديثه عن الأقاليم الإسلامية.

٣- يميل ابن حوقل إلى الإيجاز في عرض مادته حتى لا يشعر القارئ بالملل ويتبين ذلك من قوله: "ولم استقص ذلك كراهية الإطالة المؤدية إلى ملال

---

١ - وتعنى بدراسة شكل الأرض وحجمها وحركتها وتعيين مواقع الأماكن على سطح الأرض وتعنى بالعروض الجغرافية وأطوال البلدان وامتحان ذلك، ثم تثبت النتائج على خرائط على أساس قسمة المعمور من الأرض إلى سبعة أقاليم، انظر: محمد كرد علي، الجغرافية عند المشارقة، مجلة المقتطف، مجلد٢٥، من يوليو إلى ديسمبر سنة ١٩٠٠، ص٥٢١، وأيضا إبراهيم شوكت، كتاب الأقاليم لمؤلفه الاصطخري، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، المجلد٨، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م، ص٢٣٠.

٢ - صورة الأرض، ص٢٧.

قارئه ؛ لأن الغرض في كتاب هذا تصوير هذه الأقاليم التي لم يذكرها أحد علمته ممن شاهدها ، فأما ذُكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات فيها ، وبعض ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار متفرقاً ، ولا يتعذر على من أراد تقصي شيء من ذلك من سافرة أهل كل بلد"[١].

وكذلك يحيل قارئه إلى مصادر أخرى للتوسع في بعض المواضع تجنباً لتكرار ما ذكر إذ يقول: "ولم استقصى ذكر المنازل ها هنا والفراسخ[٢] لأني بنيت الكتاب على بعض التحرير في مثل المواضع المشهورة وقد ذكرت جوامع منها إذ كان ذلك غير متعذر على من أراد تقصي معرفته من كتاب أبي الفرج قدامه وكتاب الجيهاني وكتاب أبي القاسم الكعبي"[٣].

٤- يميل ابن حوقل إلى نقد مؤلفات وأفكار من سبقه ، ومثال ذلك عندما ذكر أنه لم يقرأ في المسالك كتاباً مقنعاً[٤] ، وكذلك انتقاده أفكار جغرافية شبهت الأرض بهيئة طائر ، إذ يقول: "قد اتفق العلماء بمسالك الأرض ، وبعض الحساب المشار اليهم بعلم الهيئة فيما تواضعوا من صفات الأرض ، أنها مصورة بهيئة طائر فالبصرة ومصر الجناحان ، والشام الرأس ، والجزيرة الجؤجؤ واليمن الذنب"[٥] فيعلق ابن حوقل على هذه الأفكار قائلاً: "إذ

---

١ - صورة الأرض، ص١١.

٢ - الفرسخ: يساوي(٣) أميال، ينظر: أبو القاسم عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبه، المسالك والممالك، تحقيق(دي غويه)(ليدن: ١٨٨٩)، ص٨٣، وطول الفرسخ حوالي(٦كم)، فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة، كامل العلي،(عمان: ١٩٧٠)، ص٩٤.

٣ - صورة الأرض، ص٣٧٧. و أبو القاسم الكعبي: ذكره ابن النديم في ترجمته لـ(أبي زيد البلخي)، أشار إلى كتابه(أجوبة أبي القاسم الكعبي)، ينظر: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب ابن النديم، الفهرست، تحقيق رضا تجدد(طهران: ١٩٧١م)، ص١٥٣.

٤ - صورة الأرض، ص١٠.

٥ - المصدر نفسه، ص١٨٩-   ص١٩٠، نقل ابن الفقيه حديثاً يشير إلى أن كتلة الأرض تشبه الطير الكبير رأسه في الصين وجناحه الأيمن في الهند والأيسر في الخزر، وصدره في مكة والحجاز والشام والعراق ومصر وذنبه في شمال إفريقيا، ينظر: مختصر كتاب البلدان، نشر جوتيه(ليدن:=

كان الأمر كذلك ففارس وسجستان وكرمان وطبرستان وأذربيجان وخراسان ليست من الأرض ولا معدودة في حسابها ، أم الأرض هو ما ذكروه دون غيرها وهذا قول يحتاج إلى تقرير بفهم جامع وفكر صحيح" وكذلك ينتقد ابن حوقل في خاتمة كتابه أفكار جغرافية سبقته فيما يتعلق بطول الأرض(١).

٥- ولا يخلو منهج ابن حوقل من الموازنة ولاسيما في وصفه للمدن ، فمثلاً ما جاء في وصفه لمدينة سجلماسة في إقليم المغرب: "وأبنيتها كأبنية الكوفة"(٢).

٦- رفض ابن حوقل المبالغات والخرافات التي كانت سائدة في عصره ، فمثلاً عندما ذكر جبل المقطم(بمصر) قال: "وعلى رأس كجبل المقطم مكان يعرف بتنور فرعون يسع خمس مائة كر (٣) حنطة ، وهذا من نوع الخرافة" (٤)ومع ذلك فقد تسربت بعض المبالغات إلى كتابه بدلالة ما ذكره عن تجار مدينة سيراف في(إقليم فارس) بقوله:"... ولقد بلغني أن رجلاً من سيراف ألف البحر حتى ذكر أنه لم يخرج من السفينة نحو أربعين سنة..." (٥).

٧- ويمتاز منهج ابن حوقل باعتماده الرحلة اعتماداً كبيراً ، لذا فإنه اتبع منهجاً دقيقاً في وصفه للأقاليم ، فتناول الوصف حدود الإقليم وتقسيماته الإدارية ، ووصف مدنه ، وذكر الموارد المائية والظواهر الطبيعية ، ويعقب ذلك وصف طرق المواصلات والمسافات ، وكان في منهجه يتحرى الصدق في جمع المعلومات والأخبار والاهتمام بالسفر فقد كان منهجه يمثل حلقة أساسية

=١٨٨٤م)، ص٣- ص ٤.

١ - صورة الأرض، ص٤٢٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص٩٠.

٣ - الكر: يساوي في العراق(٦٠) قفيزاً، أي ما يعادل(٢٧٠٠) كغم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص٦٩.

٤ - صورة الأرض، ص١٥٠، وينظر أيضا: ص١٤٦- ص ١٤٧.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٥٤، وينظر أيضا: ص٢٥٩- ص٢٦٠.

من حلقات تأكيـد المنهج الجغرافي الوصفي[1].

٨- وأهم ما يُلاحظ في منهج ابن حوقل اقتران المعلومات الجغرافية بالخارطة وجعل المصورات أساساً للشرح الجغرافي ، بل أن منهجه نص على أن الشروح(متن الكتاب) ما هي إلا توضيح للخريطة بقوله: "واتبعت ديار العرب بعد أن رسمت فيها جميع ما تشتمل عليه من الجبال والرمال والطرق ، وما يجاورها من الانهار... ثم ذكرت المغرب ورسمت في وجهين... ثم ذكرت مصر في شكلين حسب ما جرى رسم المغرب به... ثم صورة الشام..."[2].

ويمكن تسجيل قسم من الملاحظات عن خرائط ابن حوقل[3]:-

أ- تحمل كل خريطة عنواناً لاسم الإقليم الذي تمثله الخريطة.

ب-ويُلاحظ في كتابة الأسماء على الخريطة أنها لم تكن مع مستوى النظر كما هو معمول به في رسم الخرائط الحديثة.

ت-إن الخرائط رسمت بشكل مقلوب بوضع الشمال في أسفل الخريطة ، والجنوب في أعلاها ، مع بقاء صحة الاتجاهات الجغرافية للبلاد ، ولعل ذلك كان تقليداً متبعاً في رسم الخرائط.

ث-لم يُلاحظ أثراً لخطوط الطول والعرض في هذه الخرائط ، ولم يتبع في رسمه لخرائطه تقسيم الأقاليم على سبعة وإنما جاءت خرائطه على أساس الأقاليم التي وصفها في كتابه ، فأفرد لكل إقليم خريطة أو خارطتين.

---

١ - شفيق عبد الرحمن علي، مدارس الجغرافية عند المسلمين، ج٣، ص٢٥٨،ص ٢٥٩.

٢ - صورة الأرض، ص١٦- ص ١٧.

٣ - عن خرائط ابن حوقل يلاحظ: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي،ق١، ص٢٠٧، فلاح شاكر أسود، دور العرب والمسلمين في رسم الخرائط، بحث في المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول،ج٣، ص١٠٩،ص ٢٠٨،ص ٢٠٩، وينظر للمؤلف نفسه خرائط ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، ص٦٢١، شفيق عبد الرحمن علي، المرجع السابق،ج٣، ص٢٩٦- ٢٩٧.

ج- حدد الاتجاهات الأربعة على خرائطه ، وأشار إليها كتابه(الجنوب ، الشمال ، الشرق ، الغرب).

ح- إن المظاهر الطبيعية المثبتة في خرائطه لم تمثل الصورة الحقيقية لها ، فالجبال رسمها على هيأة أنصاف دوائر ، وإذا كانت سلاسل فإنه رسمها على شكل أنصاف دوائر متصلة[1] ، أما البحيرات فقد رسمها بأشكال هندسية مختلفة أما دائرية مثل(بحيرة خوارزم)[2] ، أو مستطيلة مثل(بحيرة خلاط)[3] ، أو بيضوية مثل(بحيرة كيوذان)[4] ، أو دائرية غير منتظمة مثل (بحيرة زغر)[5] ، أما الأنهار فقد رسمها على شكل خطوط مزدوجة عند المنبع ، وتبقى مفتوحة عند المصب ، وهناك فرق بين الأنهار الصغيرة والكبيرة ، أو بين فروع النهر والمجرى الرئيس ، ورسم الوديان مثل الأنهار على شكل خطين ، ولكنهما متصلان من الطرفين عند المنبع والمصب[6].

خ- أما المدن فقد رسمها على شكل مربع ، أو مستطيل له نتوء في أحد أضلاعه ، وإن حجم المربع أو المستطيل أو الدائرة يختلف باختلاف كبر أو صغر المدينة تبعاً لاختلاف حجومها ومما يجدر ذكره أن ابن حوقل تفوق على من سبقه في توضيح المدن على الخريطة مما يدلل على أهمية اعتماد الخريطة وسيلة إيضاح ودليلاً على معرفة توزيع المستوطنات ، فمثلاً وضح على خريطة المغرب أكثر من ١٦٠ مدينة[7].

---

١ - ينظر:مثلاً رسمه لسلسلة جبال المقطم في(خارطته لمصر)، أو سلسلة جبال اللكام في(خارطته للشام).

٢ - ينظر :خارطته لإقليم خراسان.

٣ - ينظر: خارطته لإقليم(أرمينية وأذربيجان والران).

٤ - المكان نفسه.

٥ - ينظر :خارطته لبلاد الشام.

٦ - فلاح شاكر أسود، خرائط ابن حوقل، ص٦٧٤.

٧ - خالص الأشعب، المدينة منهجية دراستها في الفكر الجغرافي العربي في العراق، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، مجلد ١٧،(١٩٨٦م)، ص١٥٧.

د- على الرغم من ثراء خرائطه بالمعلومات ، إلا أنه لم يثبت عليها أحياناً كل المعلومات ، والسبب ربما لكي لا تزدحم الخريطة وتطمس المعلومات الواجب إبرازها ، فيُلاحظ في صورة(إقليم فارس) ، أنه لم يثبت كل الرساتيق[1] ، والمدن للإقليم وإنما اقتصر على تثبيت المدن المشهورة فقط ، وفعل ذلك أيضا بخصوص مظهر السطح السائد(المظهر الجبلي) في الإقليم المذكور بقوله: "وقد صوّرت فارس بحدودها ولم آتِ فيها برستاقٍ لانتشار ذلك وكثرته ولا الجبال ، لأنه ليس بفارس بلد إلاّ وبه جبل أو يكون الجبل بحيث تراه إلاّ اليسير ، ولم أصور إلاّ مدينةً لها منبر مذكور مشهور..."[2].

ذ- ويُلاحظ أحيانا أنه يستغني بالخريطة عن ذكر بعض التفاصيل بمتن كتابه ويتضح ذلك في حديثه عن فرع دمياط في دلتا النيل: "وأما الشعبة الآخذة من شطنوف مشرقة إلى دمياط وتنيس فقد ذكرت بين أشكال مدنها مسافاتها ، ويستغنى بذلك عن إعادة لفظ فيه وتكرير قول منه ، ولو أمكن مثل ذلك في جميع هذه الخلجان لكان أجمل وأحسن ولما تعذر ولم يكن فيه إعادة ذكره بالكلية اقتصرت على المشهور والمعروف حسب ما توخيته من ذكر سواد كل بلد وريف كل ناحية ، ووصفها جملة غير مفصلة بعد تصوير مدنها وبقاعها وطرقها موصلة ومفصلة إذ كان ذلك القصد والبغية"[3].

ر- رسم ابن حوقل خريطة المغرب في ثلاث لوحات تمثل الشمال الأفريقي ما بين مصر والمغرب والبحر المتوسط وما يطل عليه من الجنوب الأوربي وخاصة الأندلس[4] ، أما خريطته لمصر فجاءت على لوحتين الأولى للدلتا ،

---

١ - الرساتيق: جمع رستاق لكل موضع فيه مزارع وقرى، ولا يقال ذلك للمدن كالبصرة وبغداد وهو أخص من الكورة والاستان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧.

٢ - صورة الأرض، ص٢٣٥.

٣ - المصدر نفسه، ص١٣٥.

٤ - المصدر نفسه ، ص٦٤.

والثانية للصعيد[1] ، وأيضا خريطة خراسان جاءت عنده على لوحتين.

ز- يبدو أن ابن حوقل قد استعمل الألوان في رسم خرائطه إذ توجد هناك إشارة إلى إيضاح ما يوجد في صورة خراسان من الأسماء والنصوص جاء بها:

"وقد تم ذكر هذا الرمل وكيفية انبساطه في وجه الأرض واتصال بعضه ببعض واختلاف الوانه وأصباغه وهو بهذه الناحية بهذا اللون..."[2].

أما عن أسلوبه فيُلاحظ فيه سمة السجع بين الحين والآخر[3] غير أنه لم يكن مفرطاً فيه ، حتى لا يدعو إلى ملل القارئ ، وبما أن منهجه يغلب عليه منهج (الجغرافية الوصفية) لذلك يبدو في كثير من الأحيان أنه ينحو في أسلوبه المنحى العلمي[4] ، والمتفحص لأسلوبه يجده عالماً وأديباً يصف ما يشاهد بدقة وتفصيل غير ممل ، وبأسلوب خال من السرد ويقترب من أسلوب الرحالين بحركته وحيويته وصدق لهجته إذ إنه يمتلك لغة جيدة يستطيع أن يصور بها ما وقعت عيناه أو ما سمعه من الرواة[5].

منهجه في ترتيب الكتاب:

آ- مقدمة الكتاب:

اعتاد الجغرافيون العرب في كتاباتهم على وضع مقدمة ، ولكن هذه المقدمة تختلف حسب المنهج الذي يختطه مؤلفها ، ويُلاحظ أن المقدمات التي حوتها المصنفات الجغرافية[6] ، عُنيت بالجغرافيا الرياضية ، وبعضها عُني ببيان خطة الكاتب ومنهجه ، مثلما

---

١ - صورة الأرض ، ص١٢٨.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٦٠.

٣ - ينظر ما جاء في كلامه من السجع في نهاية وصف لبحر الروم ، ص١٨٥، ١٨٦.

٤ - ينظر مثلاً: وصفه للأمطار الدائمية في إقليم جرجان وطبرستان، ص٣٢٤.

٥ - ينظر احمد أبو سعد، أدب الرحلات وتطوره، ص٧٤، علي محسن مال الله، أدب الرحلات عند العرب في المشرق، بغداد: ١٩٧٨م، ص٣٠٥.

٦ - ينظر مقدمة ابن خرداذبه، المسالك والممالك، وينظر أيضا مقدمة ابن رسته، الأعلاق النفيسة.

نلاحظها عند الاصطخري ، أما المقدمة التي وضعها ابن حوقل لكتابه فقد تطرقت إلى منهجه في الكتابة الجغرافية ، وأيضا إهداء الكتاب ، ثم ما جاء في كتابه من مفردات منهجه الجغرافي التي سيتناولها بالوصف ، ومن ثم الأسباب التي دعته لتصنيف مؤلفه ، ثم ذكر تاريخ سفره والقيام برحلته إلى الأقاليم الإسلامية.

ب- توزيع المادة الجغرافية :

١- بعد المقدمة التي وضعها ابن حوقل تناول في الحديث موضوع(صورة الأرض) وقد بيّن في هذا الموضوع خطته في رسم(صورة الأرض) ، إذ رسم خرائط للأقاليم الإسلامية التي فصلها إقليما إقليما ، وأشار إلى قسمة الأرض حسب طبيعة المناخ ، إلى(جنوب وشمال) ، وتحدث عن أشهر البحار ، ووصف بحيرة خوارزم وبعدها تحدث عن ديار الأتراك ، وجنوب الأرض من بلاد السودان.

٢- بعدها خصص ابن حوقل لكل إقليم من الأقاليم فصلاً مبتدئاً بالفصل الذي يتحدث فيه عن(ديار العرب) ، ومن ثم يسير من الغرب إلى الشرق.

- ديار العرب.
- بحر فارس[1].
- المغرب.
- الأندلس.
- صقلية.
- مصر.
- الشام.
- بحر الروم.

---

١ - الخليج العربي، بحر العرب، خليج عدن، البحر الأحمر، خليج العقبة.

- الجزيرة.
- العراق.
- خوزستان.
- فارس.
- كرمان.
- السند.
- أرمينية وأذربيجان والران.
- الجبال.
- الديلم وطبرستان.
- بحر الخزر.
- مفازة خراسان وفارس.
- سجستان.
- خراسان.
- ما وراء النهر.

٣- خاتمة الكتاب:

وضع ابن حوقل لكتابه خاتمة تحدث فيها عن اعتذاره إلى قارئه من التقصير إن كان فيه ، وهذا ما يوضح تواضع ابن حوقل ، وبعدها يشير إلى موازنة كتابه بكتب من سبقه وينتقد بعض الأفكار الجغرافية.

مصادر معلوماته :

ونعني بذلك الموارد التي استقى منها ابن حوقل معلوماته في تصنيفه كتابه (صورة الأرض) ، وموارده تكشف عن الأصالة التي تميز بها ابن حوقل ، إذ إنه قرأ في

الكتب المؤلفة ، ورحل وجاب البلدان ، واستفسر للوقوف على المعلومات من أهل المعرفة الثقاة ، لهذا جاءت مصادره متنوعة ويمكن تصنيفها على:-

أولاً: الرحلة والمشاهدة:

يُعد ابن حوقل من بين الجغرافيين الذين جابوا الأقاليم الإسلامية وكتبوا مشاهداتهم ، على غير قسم من الجغرافيين أمثال:(ابن خرداذبه ، الجيهاني ، ابن رسته) ، الذين كانوا عموماً مستقرين فجاءت مؤلفاتهم أما باعتماد المعلومات المكتوبة أو الروايات الشفوية ، وقد أدرك قسم من الجغرافيين ومنهم ابن حوقل أنه لا شيء يحل محل التجربة الفردية ، لذا بدأوا بالقيام برحلات هدفها التحقيق من صحة الأحداث وإكمال المعلومات التي تلقوها بطريقة شفوية أو التي جمعت من الكتب[1]. ويتضح مما ذكره ابن حوقل بأنه زار كل الأقاليم الإسلامية التي وصفها بلا استثناء بقوله:" وقد ذكرت في آخر كتابي هذا كيف تعاورتني الأسفار واقتطعتني في البر دون ركوب البحار إلى أن سلكت وجه الأرض بأجمعه في طولها وقطعت وتر الشمس على ظهرها..." [2].

وهناك نصوص كثيرة جاءت في كتابه تحكي مشاهداته في الأقاليم التي زارها ، فمثلاً ذكر مروره بمفازة خراسان وفارس: "وقد سلكتها على الوجهين جميعاً مرة مع المفردة وأخرى مع الجمال المحملة" [3] ، ولعل أفضل ما تقدمه الرحلة والمشاهدة هو إعطاء معلومات معاصرة للأماكن التي زارها لا نجدها عند الجغرافيين الذين اعتمدوا المدونات المكتوبة ، وقد أصبحت حصيلة المشاهدة إضافات جغرافية قدمها ابن حوقل وانتفعت منها بعض المصادر واعتمدتها ، لذا جاءت أغلب معلوماته على درجة من الدقة يمكن الركون إليها بشهادة بعض الجغرافيين والكتاب الذين اقتبسوا عنه نصوصاً

1- R. Blachere, Abid, P.111,112,113

٢ - صورة الأرض، ص١١.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٦٠، وما يؤكد مشاهداته، ينظر الصفحات: ٨٣، ٨٩، ٩٦، ١١٤، ١٢٣، ١٥٢، ١٧٩، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٦، ٢١٤، ٢١٥،٢٢٨، ٢٣٣، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٣٦،٣٤٠، ٣٦٩، ٣٧٥، ٣٨٦، ٣٩١.

كثيرة[1]. إن قيمة رحلته تتضح بحضوره شخصياً عقد ضمان الخراج لبعض الأقاليم والمدن وهي: (نصيبين ، والبصرة ، والعراق)[2] ، لذلك جاءت معلوماته المالية على درجة عالية من الدقة.

ثانيا: الروايات الشفوية:

وقد تمثلت فيها ما سمَّعه ابن حوقل من معلومات أثناء تنقله في الأقاليم الإسلامية ، ويمكن تقسيم ما نقله مشافهة على قسمين:

أ- روايات شفوية ذكر فيها أسماء الأشخاص الذين استقى معلوماته منهم ، وهم:

١- أبو إسحاق إبراهيم بن لبتكين الحاجب[3]:

وقد نقل عنه ابن حوقل ثلاث روايات ، الأولى عن طول مملكة الصين ، والثانية عن تجارات بلد يأجوج ومأجوج[4] ، والثالثة عن أغنام بلاد تركستان[5].

٢- أبو المنيع كثير بن أحمد الجعدي الأسواني:

الذي حدَّث ابن حوقل عن فتح(أسوان) في مصر من قبل عبد الله بن أبي سرح سنة(٣١هـ/٦٥١م) ، وافتتاح مدينة(هيف) في إقليم مصر أيضا[6].

٣- أبو علي بن أبي سعيد:

وقد سمع منه ابن حوقل عادات البربر في مدينة سطيف في(إقليم المغرب)[7].

١- سنتناول ذلك في الحديث عن أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي.

٢- صورة الأرض، ص١٩٣،ص ٢١٤،ص ٢٢١.

٣- أبو إسحاق إبراهيم بن البتكين الحاجب: وهو حاجب الأمير الساماني عبد الملك بن نوح (صاحب خراسان) من سنة ٣٤٣- ٣٤٩هـ/ ٩٥٤- ٩٦٠م، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٦٨٣، قحطان الحديثي، خراسان في العهد الساماني، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، م١٩٨٠، ملحق رقم(١).

٤- وبلادهم في ناحية الشمال(من الأرض)، صورة الأرض، ص٤، وتشمل الخزر و الترك الغزو خرخير وكيماك والروس.

٥- المصدر نفسه ، ص٢٣،ص ٢٤،ص ١٥١.

٦- صورة الأرض، ص٥٦.

٧- المصدر نفسه ، ص٩٣.

٤- أبو الحسن أبي علي الداعي:

وهو صاحب بيت مال أهل المغرب ، سمع منه مقدار الموارد المالية لبلاد المغرب في سنة(٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)[١].

٥- أبو الحسين علي بن احمد الجزري:

وقد التقى ابن حوقل في(صقلية) سنة ٣٦١هـ/ ٩٧١م ، وروى لابن حوقل بعض الأحداث التي تبدو غاية في السر عن البحرين[٢].

٦- أبو القاسم البصري:

وسمع منه المسافة من عمان إلى عدن [٣].

٧- أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله:

وهو أحد التجار الكبار في ناحية أودغست في (إقليم المغرب) وهو صاحب الدين والصك الذي ذكرها ابن حوقل في هذه الناحية ، وسمع منه بعض الأخبار عن ملوك صنهاجة والنزاع الدائر بين احدى قبائل البربر التي قصدت ناحية أودغست في إقليم المغرب [٤].

٨- أبو الحارث فحل بن فلاح اللهيصي ثم الكتامي:

وقد التقاه ابن حوقل في صقلية وسمع منه بعض الأخبار عن هذا البلد ، وحدثه عن (إسحاق بن الماجلي) أحد معلميها وعن حماقته[٥].

٩- عبد الله بن محمد القلم:

وصفه ابن حوقل بأنه رجل قد أناف على مائة سنة ثابت العقل صالح الأدب وسمع منه بعض المعلومات فيما يتعلق بحكم سمرقند وأردبيل ومكة [٦].

---

١ - صورة الأرض ، ص٩٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٤.

٣ - المصدر نفسه، ص٤٥، ص ٤٦.

٤ - المصدر نفسه، ص٩٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص١١٩،ص ١٢٠.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٧٧.

١٠- أبو عبد الله محمود بن عيسى:

ذكره ابن حوقل أنه أحد المعلمين في مسجد الزهرى في صقلية، وقد سافر إلى المشرق وكتب الحديث، وسمع منه بعض الأخبار عن معلمي صقلية[١].

١١- أبو بكر الدمشقي:

أخذ منه رواية فيما شاهده أبو بكر الدمشقي على باب مدينة سمرقند في (إقليم ما وراء النهر) من صفيحة حديد عليها كتابة بالحميرية [٢].

ب- روايات شفوية لا يذكر رواتها:

فقد أُتيح لـ (ابن حوقل) من زيارته للأقاليم أن يلتقي أشخاص ويسألهم وينقل عنهم مشافهة معلومات يعتقد أنها موثقة، فتارة يلتقي بالمسافرين مستفسراً كالتقائه المسافرين من(إقليم سجستان) الذين جمعه معهم الطريق إلى مصر عام(٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) واستفسر منهم عن طبيعة بلادهم وعن شدة الرياح هناك[٣]، وتارة يلتقي أسرى الحرب فقد كانوا من مصادر معلوماته، عن بلاد الروم، ولاسيما من أسرى مقاتلي ديار ربيعة[٤].

وأحياناً ينسب الرواية إلى أشخاص، ويصفهم بالثقة، كما في قوله عن اختيار ملك الخزر: "ولقد أخبر من أثق به أنه رأى..."[٥]. وأحياناً ينسب الرواية إلى أصحاب خبرة، كما في حديثه عن الماء المنسبل في مدينة سمرقند في إقليم (ما وراء النهر): "وذكرني من يرجع إلى خبرة ...."[٦]، أو ما سمعه من الكتاب كما جاء في روايته عن عدد قلاع بلاد فارس إذ يقول: "وسمعت غير رئيس من كاتب محصل نفيس وتانئ[٧] جليل

---

١ - صورة الأرض، ص١٢١.

٢ - المصدر نفسه، ص٤٠٧.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٦٠.

٤ - المصدر نفسه، ص١٧٩.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٣٥، وينظر كذلك : ص١٨٠.

٦ - المصدر نفسه، ص٤٠٧.

٧ - التانئ: وهي الدجهقنة ويقال لصاحب الضياع والعقار التانئ، انظر: ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، عنيت بنشره مكتبة القدس، حسام الدين القدسي، عن نسخة الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية١٣٥٧هـ،ج١ ، ص١٦٧.

حصيف يذكر ...."[1] ، ويستفسر ابن حوقل أيضا من خطباء المساجد كما يتبيّن ذلك في وقوفه على عدد سكان مدينتي بلغار وسوار في(بلاد الخزر) بقوله: "وأخبرني من كان يخطب بها أن مقدار عدد الناس بهاتين المدينتين نحو عشرة آلاف رجل"[2].

وهناك تعابير كثيرة ترد عند ابن حوقل تشير إلى اعتماده الرواية الشفوية دون أن يصرح باسم من حدثه كقوله:

"يقـــال...."[3] ،"وحـــدثني...."[4] ، "وأخبرنـــي...."[5] ،" وبلغـــني..."[6] ، "ويـزعم...."[7] "وسمعت...." [8] ، و"ذكـر...." [9] ، وأحياناً يشكك ابـن حوقـل بما يسمعه من روايات ، مما يدل على تمحيصه لما يقال له ويتضح ذلك من قوله: "ويشبه والله أعلم أن يكون بينها(بحيرة خوارزم) وبين بحر الخزر (قزوين) خرق فيتصل ماؤها بماء بحر الخزر ، وقد ذكر قوم ذلك ولم أقف له على حقيقة"[10].

ثالثاً: المصنفات المدونة:

اعتمد ابن حوقل مصنفات مدونة ، ويمكن تصنيفها على:-

آ- معلومات أشار إليها دون ذكر اسم الكتاب أو المؤلف ، كما في قوله: "رأيت ببعض الخطوط القديمة...."[11] أو تردد عبارة "وفي بعض الأخبار...."[12] أو في قوله:

---

١ - صورة الأرض، ص٢٤١.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٣٥، ص ٣٣٦.

٣ - المصدر نفسه ، صفحات : ٤٣، ٤٤، ١١٣، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٦، ١٦٩، ٢٠٦، ٢١٩، ٢٣٠، ٣ ٨٧، ٣٩٦.

٤ - المصدر نفسه ، ص١١٨،ص ٢٤٢.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٨٠،ص ٣١٧،ص ٣٣٥،ص ٣٥١.

٦ - المصدر نفسه ، ص٤٣،ص ٤٤،ص ٤٥،ص ٢٣٠،ص ٣٨٦،ص ٤١٠.

٧ - المصدر نفسه ، ص٣٦٥.

٨ - المصدر نفسه ، ص٧١،ص ١٠٧.

٩ - المصدر نفسه ، ص١٤٢،ص ٣٨٦.

١٠ - المصدر نفسه ، ص٣٩٧.

١١ - المصدر نفسه ، ص٢١١.

١٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٧.

"وذكر بعض المؤلفين...."[1] أو عبارة: "وقــرأت فـــي بعض الكتب...."[2].

ت-معلومات اقتبسها دون الإشارة إلى اسم الكتاب ، إلا أنه ذكر اسم المؤلف فقـط ، وتتضـح هـذه الاقتباسـات فيمـا ذكـره عـن جبايـة إقلـيم مصـر بقولـه: "ووجدت بخط أبي النمر الوراق في أخبار أبي الحسين الخصيبي قال: "حدثني أبو حازم القاضي[3]......" [4] ويُلاحظ ذلك أيضا في قوله: "وذكر عبد الله بـن الحكـم الفقـي[5] ، صـاحب الكتـب المؤلفـة..."[6] ، وكـذلك اقتباسـه عـن ابـن دريد[7] دون أن يصرح من أي كتاب من كتبه أخذ اقتباسه ، فنقل عنه أصل (الأكراد) ، وكذلك أصل(الديلم)[8].

ج- الكتب العامة:

كتاب(أخبار الأطباء) ليوسف بن إبراهيم الكاتب ، ونقل عنه ما ذكره عيسى بن الحكـم [9]عـن مضـار أكـل البصـل فيستشـهد بـذلك في معـرض انتقاداتـه الموجهـة للمجتمع الصقلي لإكثارهم من أكل البصل[10].

---

١ - صورة الأرض ، ص٣١٣.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١١.

٣ - أبو خازم القاضي: وهو عبد الحمدني عبد العزيز، أخذ العلم عن الشيوخ البصريين، تولى القضاء بالشام والكوفة والكرخ وله من الكتب، كتب المحاضر والسجلات، كتاب الفرائض، كتاب أدب القاضي، ينظر: ابن النديم، الفهرست، ص٢٦١، وقد تصحف اسمه إلى أبي حازم بالحاء المهملة عند ابن حوقل وعند ياقوت في معجم البلدان، ج٤، ص٥٤٦.

٤ - صورة الأرض، ص١٢٩.

٥ - ذكره ابن النديم في (الفهرست) أنه روى عن مالك، كتاب السنة في الفقه، ص٢٥٢.

٦ - صورة الأرض، ص١٣٦.

٧ - ابن دريد:أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى، ينظر:ترجمته عند ابن النديم، الفهرست، ص٦٧.

٨ - صورة الأرض، ص٢٤٠،ص ٣٢٠.

٩ - هو عيسى بن الحكم الدمشقي، وذكر القاسم بن خليفة ابن أبي اصيبعة، في ترجمته لـ(عيسى بن الحكم الدمشقي) نص الرواية التي ذكرها ابن حوقل عن مضار آكل البصل، أنظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق د. نزار رضا، منشورات مكتبة دار الحياة(بيروت: ١٩٦٥م)، ص١٧٨.

١٠ - صورة الأرض، ص١١٨.

د- **المصنفات الجغرافية:**

من المصنفات الجغرافية التي ذكرها ابن حوقل وانتفع منها كتاب الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٩م) وقد أشار إليه باسم(كتاب البلدان)[١] ، وامتدحه ذاكراً أنه كتاب نفيس في معرفة الأمصار ، وقد اقتبس منه حكاية أسطورية تتعلق بجبل بهستون(في محافظة كرمنشاه حاليا في إيران) في إقليم الجبال[٢].

وكذلك مؤلفات عمر بن شبه[٣] (ت١٧٣-٢٦٢هـ/ ٧٨٩-٨٧٦م) مثل(كتاب البصرة) ، و(كتاب الكوفة) ، و(كتاب مكة) وذكر ابن حوقل أن(كتاب البصرة) جاء تأليفه قبل(كتاب الكوفة ، وكتاب مكة) ، وأشار إلى انتشار هذه الكتب في الأقاليم الإسلامية ، ولم يصرح ابن حوقل بمدى انتفاعه من هذه الكتب ، إلا أنه أشار إليها في حديثه عن مدينة البصرة لإحالة قارئه إلى ما ذكره(عمر بن شبه) عن هذه المدينة ليستغني به عن ذكر شيء من أوصافها[٤].

---

١ - ورد اسم هذا الكتاب بأسماء مختلفة، وذكره أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي في(مروج الذهب)، (بيروت: ١٩٨٤م)، ج١، ص١١٤، باسم كتاب الأمصار وعجائب البلدان)، أما في كتابه(التنبيه والأشراف)، مكتبة خياط (بيروت: م١٩٦٥)، ص٥٥ فأشار إليه بعنوان آخر(الأخبار عن الأمصار وعجائب البلدان)، وذكره المقدسي البشاري في (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ط٢، نشر دي غويه، مطبعة بريل(ليدن: ١٩٠٦م)، ص٥، باسم(كتاب الأمصار) وذكره ياقوت الحموي باسم(كتاب البلدان)، ينظر: معجم البلدان، ج٢، ص٦٧، وقد نشره شارل بلا، بعنوان (الأمصار وعجائب البلدان)، مجلة المشرق، سنة(١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، آذار–نيسان، مجلد٢، ص١٧١ وما بعدها.

٢ - صورة الأرض،ص٣١٦، ولا يوجد هذا النص في كتاب الجاحظ المنشور(الأمصاروعجائب البلدان).

٣ - عمر بن شبه: هو أبو زيد عمر بن شبه بن عبيد بن ريطه، ينظر: ترجمته عند ابن النديم، الفهرست، ص١١٢، ١١٣، حيث ذكر هذه المؤلفات التي ورد ذكرها عند ابن حوقل، وكذلك ذكرها ياقوت الحموي، ينظر: معجم الأدباء، اعتنى بنسخه وتصحيحه د٠ س مرجليوث، طبعة مصر ١٩٣٠م، ج٦، ص٤٨، وذكر إبراهيم شوكت أن عمر بن شبه من بين الذين مثلوا المدرسة اللغوية والأدبية في الكتابة الجغرافية، ينظر: تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به، مجلة الأستاذ، مجلد(٩)، سنة م١٩٦١، ص٢٨،ص ٢٩.

٤ - صورة الأرض، ص٢١٤.

ومن المؤلفات الجغرافية التي ذكرها وانتفع منها ما يتبين من قوله: "وكان لا يفارقني كتاب ابن خرداذبه ، وكتاب الجيهاني ، وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر"[1] وسنتناول بالحديث كل واحد من هؤلاء الجغرافيين لمعرفة مدى تأثر ابن حوقل به.

ابن خرداذبه(ت٣٠٠هـ/٩١٢م):

هو أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن خرداذبه [2] ، ويُعدّ من المؤلفين الذين لهم فضل كبير على عدد من الجغرافيين أمثال (المسعودي ، ابن حوقل ، والمقدسي) إذ إن مادة كتابه(المسالك والممالك) كانت بمثابة الأساس المتين لهؤلاء الكتاب [3]. وقد اعتمد(ابن خرداذبه) الاستقراء والتجربة والخبرة وكان كتابه وليد حاجة إدارية ماسة[4] ، إذ إنه تولى البريد والخبر بنواحي الجبل وكان قريباً من البلاط العباسي[5].

أما مدى انتفاع ابن حوقل من كتاب(ابن خرداذبه) فمن الصعب تحديد ذلك ، لأن كتاب(المسالك والممالك) المطبوع لابن خرداذبه يرى(دي غويه) أنه بالأصل موجز متأخر وجد في مخطوطتين فقط ، ويبدو أن ابن حوقل وغيره من الجغرافيين قد اطلعوا على مخطوطة ثالثة لكتاب(المسالك والممالك) هي أفضل المخطوطات جميعاً[6]. ومن الموازنة بين النسخة المطبوعة من كتاب(المسالك والممالك) لابن خرداذبه وبين كتاب ابن حوقل يتبين مدى تأثر الأخير بما كتبه الأول ، والواقع يوجد تشابه في بعض النصوص بين

---

١ - صورة الأرض ، ص٨٤.

٢ - ينظر ترجمته: ابن النديم، الفهرست، ص١٦٥، أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٢١٢، ٢٢٠، ياقوت الحموي، معجم الأدب، ج٦، ص ص٧٤، ١١٤، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٤٩٠- ٤٩٢، وقد أشار المسعودي إلى كتاب ابن خرداذبه(المسالك والممالك) واعده أعم شهرة مما كتبه السرخسي في(المسالك والممالك) ومما كتبه الجيهاني، ينظر: التنبيه والأشراف، ص٧٥، أما المقدسي فقد وصفه بأنه كتاب مختصر لا يحصل منه على فائدة، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤- ص٥.

٣ - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق١، ص١٥٨.

٤ - إبراهيم شوكت، تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به، ص٣٥، شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص٣٦٦.

٥ - ابن النديم، الفهرست، ص١٤٩.

٦ - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق١، ص١٥٨.

الكتابين فقد اقتبس ابن حوقل نصاً حول(خراج العراق)[1] وهذا النص يرد بألفاظه عند(ابن خرداذبه) ، إلا أن ابن حوقل يشير إلى مصدره بقوله:" ورأيت ببعض الخطوط القديمة ...." ، مما يحمل على الاعتقاد أن الاثنين اطلعا على مصدر واحد في اقتباسهما لهذه المعلومات ، أما النص الآخر فهو ما ذكره ابن حوقل عن المسافة من مدينة الترمذ إلى مدينة الصغانيان في إقليم (ما وراء النهر)[2].

وعلى الرغم من التشابه في وصف الطريق عند الاثنين إلا أن ابن حوقل لا يشير هنا إلى مصدره ، ولا يمكن الحكم بشكل قاطع على أن ابن حوقل أخذ هذه المعلومات عن ابن خرداذبه ، لاسيما وأنه زار(إقليم ما وراء النهر) واستطلع بنفسه طرقها وأطوالها. وكذلك لوحظ تشابه في مقدار جباية خراج إقليم (الأهواز) [3] ، ومن المحتمل جداً أن ابن حوقل لم يأخذ هذه المعلومات من ابن خرداذبه لكونه قد حضر بنفسه عقد ضمان خراج (الأهواز) عام(٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) كما صرح بذلك.

أما عن منهج (ابن خرداذبه) الجغرافي ومدى تأثر ابن حوقل به ، فيبدو ثمة اختلاف بين منهج الاثنين ، فمن حيث المقدمة ، فقد جاءت مقدمة كتاب (ابن خرداذبه) في الجغرافية الرياضية في حين جاءت مقدمة كتاب ابن حوقل في الجغرافية الوصفية ، وقد ابتدأ (ابن خرداذبه) حديثه بإقليم (السواد) بينما ابن حوقل ابتدأ حديثه بـ (ديار العرب) ، وقد اعتمد (ابن خرداذبه) الاتجاهات الأربعة في عرض مادة كتابه ، وابتدأ حديثه بإقليم المشرق ، وبعدها المغرب ، ثم الجربي(الشمال) ، ثم التيمن(الجنوب) ، بينما ابن حوقل لم يتبع هذا التقسيم وإنما قسم الأقاليم على اثنين وعشرين إقليما ، ولا يقتصر ابن خرداذبه في حديثه عن(الأقاليم الإسلامية الأربعة) بل يتعدى إلى مناطق خارج نطاق هذه الأقاليم بخلاف منهج ابن حوقل ، والمتتبع لترتيب المادة العلمية عند ابن حوقل يتضح لك مدى دقة منهجه وأنه لم يتأثر بمنهج ابن خرداذبه.

---

١ - ابن خرداذبه، ص١٤،ص ١٥، ينظر: صورة الأرض، ص٢١٠- ص ٢١١.

٢ - ينظر: ابن خرداذبه، ص٣٣، صورة الأرض، ص٤٢٤، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة(غداد: ٧٧٣هـ/ ١٩٥٤م)، ص٣٦٥.

٣ - ابن خرداذبه، المسالك والممالك ص٤٢- ٤٣، وازن ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٢٣.

الجيهاني:

أبو عبد الله احمد بن محمد بن نصر وزير صاحب خراسان (نصر بن احمد بن نصر الساماني)[1] ، وله مؤلفات ذكرها ابن النديم في(الفهرست) ، وياقوت في معجم الأدباء والذي يهمنا منه كتابه(المسالك والممالك) الذي اطلع عليه ابن حوقل.

وإن كتاب الجيهاني فيه معلومات في الجغرافية الفلكية التي كانت لا تخلو منها كتب الجغرافية العربية في تلك الحقبة ، وقد اتبع في منهجه تقسيم العالم على سبعة أقاليم بحسب الكواكب ، وفيه معلومات عن بعض المعتقدات الدينية ، ولا يخلو من ذكر للموارد المالية ، ووصف لطرق المواصلات ، والمعالم الطبيعية لهذه الطرق ، وقد ذكر منازل مجهولة وطرق غير مسلوكة ولهذا السبب اصبح كتابه مطولا كما أنه لا يُفصل في معلوماته الإدارية لاسيما التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة آنذاك ، بجانب ذلك أغفل ذكر طرق المواصلات الرئيسة ، وأغفل وصف بعض المدن المهمة[2].

وقد أثار المقدسي شكوكه حول نسبة هذا الكتاب ، إلا أنه بعد ذلك يستدرك فيقول: أن كتاب الجيهاني هو كتاب ابن خرداذبه ولكنه زاد عليه بعض المعلومات اليسيرة[3].

أما مدى انتفاع ابن حوقل من الجيهاني فلا يذكر ابن حوقل صراحة اقتباساته عن هذا الجغرافي ، وان فقدان كتاب الجيهاني يجعل من الصعب جداً مطابقة النصوص التي نقلها ابن حوقل عنه.

---

١ - ينظر: ترجمته عند ابن النديم، الفهرست، ص١٣٨، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٤، ص١٩٠، حاجي خليفة، كشف الظنون، ٢٩، ص١٦٦٤، البغدادي، هدية العارفين، مجلد(١)، ص٣٦.

٢ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧، ص ٣، ص٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤.

قدامة بن جعفر:

أبو الفرج قدامة بن جعفر بن زيادة ، الكاتب البغدادي[1] ، وقد سمى ابن حوقل كتاب قدامة بـ(تذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر)[2] ، ولم يذكر ابن النديم في (الفهرست) ولا ياقوت الحموي في(معجم الأدباء) في ترجمتهم لـ(قدامة) كتاباً بهذا الاسم ، فهل هناك لـ(قدامة) كتاب بهذا الاسم لم يرد عند (ابن النديم) و(ياقوت) أم يقصد به ابن حوقل(كتاب الخراج)[3] ، وعلى الأرجح يقصد به ذلك لاسيما أن كتاب(الخراج وصناعة الكتابة) فيه مادة تقع ضمن اهتمامات ابن حوقل الجغرافية وان الموضوعات التي وردت في هذا الكتاب تشبه إلى حد ما موضوعات الكتب الأخرى التي اصطحبها ابن حوقل في رحلته مثل: (كتاب ابن خرداذبه) ، و(كتاب الجيهاني).

وعلى الرغم من إشارة ابن حوقل إلى قدامة ولكتابه ، واعترافه بأهمية ودقة ما كتبه ، بيد أنه لم يقتبس عن قدامة أية معلومات ، ويعلل ذلك لكونه يميل إلى الاختصار وعدم الإطالة من قوله:".... ثم رأيت أن أنفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه ، من غير أن ألُم بتذكرة أبي الفرج وإن كانت حقاً بأجمعها وصدقاً من سائر جهاتها ، وقد كان يجب أن أذكر منها طرفاً في هذا الكتاب لكن استقبحت الاستكثار بما تعب فيه سوّاي ونصّب فيه غيّري"[4].

---

١ - ينظر: ترجمته عند ابن النديم، الفهرست، ص١٤٤، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط١،(١٣٥٧هـ)، ج٦، ص٢٨٠، محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ج١، ص٢٨٩.

٢ - صورة الأرض، ص٢٨٤.

٣ - ينظر : الفهرست، ص١٤٤، معجم الأدباء، ج١٢، ص ص٤١٢- ٤١٥، وقد طبع(دي غويه) بعض من هذا الكتاب في نهاية الكتاب في نهاية كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، ونشرت وزارة الثقافة والأعلام العراقية كتاب قدامة بن جعفر(الخراج وصناعة الكتابة) سنة ١٩٨١م وقام بتحقيقه د.محمد حسين الزبيدي.

٤ - صورة الأرض، ص٢٨٤.

الاصطخري:

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد[1] ، المعروف بـ(أبي إسحاق) كما ذكره ابن حوقل[2] ، والكرخي كما جاء عند المقدسي[3] ، والاصطخري كما ورد عند ياقوت[4] ولم تذكر كتب التراجم شيئاً عن حياته ، وإن الشيء الوحيد الذي وصل إلينا عنه ، ما ذكره ابن حوقل عن لقائه به ، إلا أنه لم يحدد تاريخ ومكان اللقاء وسيتناول الحديث كتابَي الاصطخري(المسالك والممالك ، والأقاليم) ، ومناقشة مدى صحة نسبتها إليه ، لكون ابن حوقل اقتبس عن الاصطخري دون أن يشير إلى أي كتاب من كتبه ، فضلاً عن التشابه الحاصل بين ما ورد في كتاب الاصطخري وبين عبارات وردت في كتاب(صورة الأرض) ، ففي الوقت الذي يوجد تشابه أيضا بين كتابي الاصطخري ، و مخطوطة(كتاب الأقاليم)[5] المنسوبة إلى أبي زيد البلخي ، لنصل بعد ذلك إلى مدى تأثر ابن حوقل بـ(الاصطخري) في منهجه الجغرافي ومادته.

(١) كتاب المسالك والممالك:

أول من قام بنشر هذا الكتاب(دي غويه) من خمس مخطوطات سنة(١٨٧٠م) وقد ظهرت طبعة جديدة لهذا الكتاب قام بتحقيقها(محمد جابر الحيني)سنة ١٩٦١م[6] ، التي جاءت أوفى وأتم ، ولكنها في حاجة ماسة إلى الشروح والتعليقات[1].

---

١ - عن الاصطخري ينظر: المراجع التالية: البغدادي، هدية العارفين، مجلد(١)، ص٦، كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص١٠٤، الزركلي، الأعلام، مجلد١، ص٦١، كولد تسهير، مادة الاصطخري، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد٣، ص٤٦٩، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي ق١، ص٢٠٠، A. Maquel, Al- Istakhri, the Encuclopedio of Islam.

٢ - صورة الأرض، ص٣.

٣ - أحسن التقاسيم، ص٤٧٥.

٤ - معجم البلدان، ج١، ص٧.

٥ - مخطوطه في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد برقم(٣٢٩).

٦ - ينظر: مقدمة كتاب المسالك والممالك، تحقيق د.محمد جابر الحيني،(القاهرة: ١٩٦١م)، ص١١.

(٢) كتاب الأقاليم[٢] :

نشر مخطوطة هذا الكتاب المستشرق(**Mullar**) في سنة ١٨٣٩م ، ووضع لها مقدمة باللغة اللاتينية ، وتقع المخطوطة بمئة وست وعشرين صفحة غير منقطة وفيها أسطر غير واضحة ، واحتوت على تسع عشرة خريطة.

وقد اختلف الكّتاب القدامى في نسبة هذا الكتاب ، فبعضهم ينسبه إلى أبي زيد البلخي وبعضهم ينسبه إلى الاصطخري ، وأول من شكك بنسبة هذا الكتاب هو(المقدسي البشاري) ، ويبدو أنه عاصر الاصطخري وكان قريباً من عهد أبي زيد البلخي إذ يقول: "ورأيت كتاباً بخزانة الصاحب ينسب إلى أبي زيد البلخي بأشكال ورأيته بعيّنه بنيسابور..... ، زعموا أنه من تصنيف ابن المرزبان الكرخي ورأيته ببخارى مترجماً لإبراهيم بن محمد...(الاصطخري) وهذا أصح لأني لقيت جماعة ممن لقيه وشاهده يصنفه منهم الحاكم أبو حامد الهمداني والحاكم أبو نصر الحرير"[٣] ، ويتضح مما سبق أن هذا الكتاب يُنسب إلى أكثر من كاتب ، إلا أن المقدسي يُرجح أنه للاصطخري ، ويطالعنا المقدسي في مواضع أخرى من كتابه مشيراً إلى أن كتاب البلخي يحمل عنوان (الأمثلة وصورة الأرض) وهذا الاسم يخالف عنوان المخطوطة التي تحمل اسم(صور الأقاليم) ، ويضيف المقدسي أن البلخي لم يقم برحلات أو أسفاراً للأقاليم وأعمالها[٤].

أما(ابن النديم)[٥] فقد ذكر في ترجمته(للبلخي) مؤلفاته العديدة إلا أنه لم يشر إلى كتاب بعنوان(صور الأقاليم) ولا يمكن الاعتقاد أن(ابن النديم) قد أغفل ذكر هذا

ص١١.

١ - محمد محمود الصياد، مقاله عن(كتاب المسالك والممالك للاصطخري) منشورة في تراث الإنسانية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر، مجلد١، ص٧٣٠.

٢ - عن مخطوطات هذا الكتاب ينظر: إبراهيم شوكت، كتاب الأقاليم لمؤلفه الاصطخري، ص٢٢٧.

٣ - أحسن التقاسيم، ص٥.

٤ - المصدر نفسه، ص ٥.

٥ - الفهرست، ص١٥٣.

الكتاب في حالة صحة نسبه إلى(أبي زيد البلخي) لاسيما أنه أطال في ترجمته له.

أما(ياقوت الحموي) فقد ترجم(للبلخي) ترجمة طويلة في(معجم الأدباء) وذكر مؤلفاته[1] ، ولكن لم يلحظ بينها عنواناً لكتاب باسم(صور الأقاليم) فهل أغفل ياقوت هو الآخر ذكر هذا الكتاب من بين كتب(البلخي) أم أن عدم نسبه إلى(البلخي) حالت دون ذكره؟ ، إلا أن ياقوت في(معجم البلدان) أشار إلى الاختلاف في نسبة الكتاب ، لكنه تردد في نسبته بين(البلخي) و(الاصطخري) بقوله: "قرأت في الكتاب المتنازع بين أبي زيد البلخي وأبي اسحق الاصطخري في صفة البلدان....."[2] ، وما يؤكد تردده في نسبة الكتاب عندما يقتبس نصاً من(كتاب الصور) ويقصد به (صور الأقاليم) دون أن يشير إلى اسم مؤلفه فيقول: "قال صاحب كتاب الصور...."[3] ، والواضح أن ياقوت الحموي وقف موقفاً محايداً في موضوع نسبة الكتاب.

أما القزويني فإنه نسب الكتاب صراحةً إلى الاصطخري وذلك عند وصفه لمدينة (اصطخر) بقوله: "..... وينسب إليها الاصطخري صاحب كتاب الأقاليم"[4].

أما الكتاب المحدثون فإنهم أيضا اختلفوا في نسبة الكتاب ، فيرى (إبراهيم شوكت) أن(كتاب الأقاليم) للاصطخري قد نُسب في بعض النسخ إلى أبي زيد وبقيت نسخ أخرى تحمل اسم الاصطخري مؤلفه الحقيقي وقد بنى استنتاجه هذا على أساس أن مخطوطة(كتاب الأقاليم) أوشكت تُنسب إلى(الشيخ أبي علي النحوي)[5] ، لولا استدراك الناسخ خطأه في آخر لحظة على ما يظهر ونسبها إلى

---

١ - ينظر : معجم الأدباء، ج١، ص١٩٨.

٢ - معجم البلدان، ج٢، ص١٦٦.

٣ - المصدر نفسه ، ج١، ص٣٥٣.

٤ - آثار البلاد وأخبار العباد، اعتنى بنشره وستنفلد، ليبرك ١٨٤٨م، ص٩٩، وينقل عنه عبد الرشيد صالح بن نوري الباكوى هذا النص، ينظر: كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، مخطوطة، نشرها وعلق عليها الدكتور ضياء الدين بن موسى بونياتوف، موسكو: ١٩٧١م، رقم الصفحة (١٧a).

٥ - هو نحوي ألف في اللغة والأعراب، ينظر ترجمته في الفهرست لابن النديم، ص٩٥.

(الاصطخري) ، ويبدو من ذلك أن للنساخ أثر في عملية الالتباس الحاصل بنسبة الكتاب بين(البلخي) و(الاصطخري)[1].

أما آراء المستشرقين حول ما كتبه كل من(البلخي والاصطخري) فيرى(دي غويه) ، أن كتاب الاصطخري يمثل نُسخة أخرى موسعة وكبيرة لكتاب البلخي ، صنفت بين سنتي (٣١٨-٣٢١هـ/٩٣٠-٩٣٣م) في حياة البلخي[2] ، ولكن من المعروف أن الاصطخري قد جاب بعض الأقاليم وتنقل بين البلدان وإن كتابه محصل لجهودين ، إذ إنه أطلع ابن حوقل على ما كتبه وعلى خرائطه فوجد بها أخطاء فصححها ، وعزاها للاصطخري ، فكيف إذن تكون مطابقة لخرائط البلخي الذي لم يَّجّب البلدان كما أشار إلى ذلك المقدسي[3] ، فمن الطبيعي أن يكون بينهما اختلاف ولو كان بسيطاً نتيجة لجهود الاصطخري وتصحيحات ابن حوقل ، بينما هي تنطبق تماماً على خرائط الاصطخري ، وهذا يوصلنا إلى حكم واحد وهو أن الخرائط التي نُسبت إلى البلخي هي للاصطخري ذاته[4]. وأكد(كرامرز) و(كراتشكوفسكي) أن المخطوطات التي نُسبت في يوم من الأيام إلى البلخي ، قد ثُبتت الآن أنها للاصطخري[5].

على الرغم من كل ما سبق ، يجب أن لا ننكر اهتمامات (البلخي) في مجال الجغرافية ، وليس كما ذهب إليه(إبراهيم شوكت) أنه لم يُعنَّ بتقويم البلدان ورسم صور الأقاليم[6] ، إن ما يؤكد اشتغاله في هذا المجال هو اقتباسات الجغرافيين منه ،

---

١ - إبراهيم شوكت، كتاب الأقاليم لمؤلفه الاصطخري، ص٢٣٤- ص ٢٣٥.

٢ - نقلاً عن كرامرز، مادة جغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد١٢، ص١٢٩، وينظر أيضا ما ذهب إليه بروكلمان من أن كتاب الاصطخري نسخة موسعة عن كتاب(صور الأقاليم) أو(كتاب الأشكال) للبلخي، ينظر: تاريخ الأدب العربي،ج٤، ص ص٢٤٦- ٢٤٧.

٣ - أحسن التقاسيم، ص٦.

٤ - إبراهيم شوكت، المرجع السابق، ص٢٢٣- ص ٢٢٤.

٥ - ينظر: مادة الجغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد(١٢)، ص١٢٩ ، تاريخ الأدب الجغرافي، ق١، ص١٩٩.

٦ - أحسن التقاسيم، ص٦.

مثل(المقدسي[١] ، وياقوت الحموي)[٢] ، ومن الكُتاب(النويري)[٣].

أما عن تأثر ابن حوقل بالاصطخري ، فقد ذكر(ابن حوقل) أنه التقى الاصطخري ، وأن الأخير عرض عليه كتابه وخرائطه ، وسأله إصلاحها ، فأصلح ابن حوقل غير شكل منها ، ونسبها إلى الاصطخري ، ورأى أن ينفرد لنفسه بكتاب ، عندها ألَّف(صورة الأرض) ، ومن هذا اللقاء الذي ذكره ابن حوقل عن نفسه ، والتشابه في عبارات من الكتابين ، استنتج(دي غويه)[٤] وتبعه بعض المستشرقين والكتاب المحدثين[٥] بأن كتاب ابن حوقل ما هو إلا نسخة منقحة ومزيدة لكتاب الاصطخري. إن هذا الرأي فيه كثير من المبالغة ، سيما وأن الموازنة الدقيقة بين كتابي (الاصطخري وابن حوقل) تكشف عن قيمة وأهمية المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الأقاليم الإسلامية ، والتي جاءت عن طريق الرحلة والمشاهدة والاستفسار الدائم وقراءته في كتب من سبقه في هذا النمط من التأليف. والمُلاحظ أن حسه الجغرافي كان أفضل من الاصطخري ، حيث كان أكثر دقة في تحديد المواقع الجغرافية وأكثر اقتصاداً في الاستطرادات غير الجغرافية[٦] ، وأن مادة كتابه(صورة الأرض) معروضة عرضاً دقيقاً مفصلاً مع توضيح لبعض النقاط الجوهرية[٧] ، هذا وأن الاختلاف بين خرائط الاصطخري وابن حوقل تدل على تقدم ظاهر عند ابن حوقل في تصوير الأقاليم وتكفي خريطة دلتا النيل دليلاً لما تحفل به الخريطة العربية الإسلامية من ظواهر طبيعية وبشرية صحيحة[٨] ، إذ بلغ عدد الأسماء الواردة فيها

---

١ - ينظر: أحسن التقاسيم، ص٢٨٠- ص ٣٧٠.

٢ - معجم البلدان، ج١، ص١١.

٣ - نهاية الأرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العربية للتأليف والترجمة والنشر، نسخة مصورة عن دار الكتب، ج١، ص٢٠٩.

٤ - نقلاً عن شفيق عبد الرحمن علي، مدارس الجغرافية عند المسلمين، ص٢٤٤.

5 -R.Bla Cher, Gegraphes Arab.P. 130, A. Maquel, AL,Istakri, The) Encyclopedio of Islam.

٦ - شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص١٣٥- ص ١٣٦.

٧ - كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٣٠٢.

٨ - شفيق عبد الرحمن، مدارس الجغرافية عند المسلمين، ص٢٩٧.

(١٣٥) اسماً بينما خارطة الاصطخري جاء فيها(٤٧) اسماً ، ويُذكر في هذا المجال أيضا أن صورة بحر الروم (المتوسط) لابن حوقل وسواحل أوروبا الجنوبية وسواحل شمال أفريقيا هي أقرب صورة إلى خرائط هذا البحر الحديثة بينما لا يُلاحظ مثل ذلك عند الاصطخري ، وهذا ما يٌبرئ ساحة ابن حوقل من أنه أخذ ما عند الاصطخري من علم فانتحله لنفسه. إذ إن عماد كتبهم هذه الصور التي رسموها وأظهروا فيها جزءاً كبيراً من غزارة علمهم ومعرفتهم إذ إنها تمثل شخصيتهم العلمية إلى حد كبير أصدق تمثيل بميزاتها وفروقها[1] ، وسيتضح ذلك أكثر في المبحث الذي كُرس للموازنة بين نص الاصطخري وبين نص ابن حوقل ليؤكد انفراد الأخير بتأليف كتابه(صورة الأرض) ، ومما يجدر ذكره في هذا المجال أن قصة الشكوك بانتحال ابن حوقل لنص الاصطخري أثيرت من قبل المستشرقين والكتاب والمحدثين ، ولكن لا نجد ما يؤكدها عند الكتاب الأقدمين ، فهل يا ترى أغفل هؤلاء تشابه نصّي الأصطخري وابن حوقل ، ولم يُكتشف إلا فيما بعد؟ وإذا كان أمر الانتحال موجوداً حقاً من خلال التشابه في فقرات الكتابين ومما ذكره ابن حوقل عن نفسه في لقائه مع الاصطخري ، فكيف يُخفى هذا الأمر على المقدسي الذي عاصر الاثنين (الاصطخري ، وابن حوقل) ، لاسيما أنه قد أثار الشكوك حول تشابه بعض المؤلفات الجغرافية التي دونت قبله إذ أثار مسألة التشابه بين كتابي(ابن خرداذبه والجيهاني) والكتاب المتنازع عليه بين(البلخي والاصطخري)[2]. وكذلك الأمر إلى(ياقوت الحموي) صاحب أكبر معجم جغرافي آنذاك كيف يغفل هو الآخر مثل ذلك لاسيما أنه اقتبس من الأثنين نصوصاً كثيرة[3] ، ومعنى هذا أن ياقوت اطلع على كتابي

---

١ - إبراهيم شوكت، خرائط جغرافي العرب الأول، مجلة الأستاذ تصدرها كلية التربية – جامعة بغداد، مجلد(١٠)، (١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م)، ص٦٥.

٢ - ينظر: أحسن التقاسيم، ص٤٩، ص ٦.

٣ - وهذا ما سنوضحه في اقتباسات ياقوت عن ابن حوقل، أما اقتباسات ياقوت عن الاصطخري فأحصيت بـ(٨٧) مرة نذكر منها صفحات على سبيل المثال،ج١، صفحات١١، ١٤٣، ١٧٢، ١٧٣، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٢٢/ ج٢، ص١١٩، ص ١٦٦ ...الخ من النصوص.

(الاصطخري وابن حوقل) ، واقتبس منهما ، فكيف لا ينتبه إلى هذا الأمر (انتحال النص) ، سيما وأنه أثار أيضاً مسألة الكتاب المتنازع عليه بين(البلخي والاصطخري) كما مر سابقاً ، هذا من جهة ، ومن الجهة الأخرى كيف يجرؤ ابن حوقل انتحال نص لكاتب معاصر له(الاصطخري) الذي وصل كتابه من الشهرة ما يؤكده عدد نسخ المخطوطات التي وصلت إلينا[1] ، ولكن على الضد يُلاحظ أن ابن حوقل يشير إلى الاصطخري في ثلاثة مواضع ، وهذا ما يؤكد اعتراف ابن حوقل صراحة أنه اقتبس من الاصطخري وقد أشار إليه بـ(أبي إسحاق) دون الإشارة إلى أي كتاب من كتبه جاءت اقتباساته ، علماً أن نصوص هذه الاقتباسات متشابه في كتابي الاصطخري (الأقاليم والمسالك والممالك) ، ففي الموضع(الأول) اقتبس عنه وصفاً لبيوت قرية(الحجر) في إقليم ديار العرب[2] ، أما الموضع(الثاني) فنقل عنه ما ذكره عن مساحة الصين وحدودها[3] ، أما الموضع(الثالث) الذي ذكر به الاصطخري فهو الإشارة إلى اللقاء الذي تم بينهما[4].

وعلى الرغم من إشاراته القليلة إلى الاصطخري ، إلا أنه لا يُنكر أن ابن حوقل قد تأثر إلى حد كبير بمنهج(الاصطخري) لاسيما تقسيماته للأقاليم ، وفي اقتصار منهجه على الأقاليم الإسلامية ، إلا أن ابن حوقل قد تجاوز نطاق هذه الأقاليم ، فمثلاً لا تخلو روايته عن هزيمة الروس للبلغار والخزر حوالي عام(٣٥٨هـ/٩٦٩م) عن قيمة حين كان المؤلف نفسه آنذاك بجرجان[5].

ومما يجدر ذكره أن ابن حوقل اطلع على كتاب الاصطخري وانتفع به بلا شك ، إلا أنه لم يغفل ثمرات اجتهاداته الخاصة وهو يجوب الأقاليم ، واستفساراته الدائمة بمن التقاهم ، من أجل الحصول على المعلومات وهو يتصدى لتصنيف كتاب في وصف

---

١ - ينظر: مقدمة كتاب المسالك والممالك ، ص١١.

٢ - كتاب صور الأقاليم، ص٥، المسالك والممالك، ص٢٤، وازن صورة الأرض، ص٩.

٣ - المسالك والممالك، ص١٨، وازن صورة الأرض، ص١٨.

٤ - صورة الأرض، ص٢٤.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٣٢، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ص٢٠٤.

الأقاليم ، ولا يُعيب على ابن حوقل أنه اعتمد أفكار وحقائق جغرافيين سبقوه ، بشرط القيام بتوثيقها وإضافة أفكار جديدة حققها اجتهاده الشخصي ، من خلال دراسته الميدانية أو تجربته الذاتية.

موازنة بين كتاب(المسالك والممالك) للاصطخري

وبين كتاب(صورة الأرض) لابن حوقل :

إن الموازنة الدقيقة بين هذين الكتابين تكشف عن حجم وأهمية الإضافة العلمية التي جاء بها ابن حوقل للأفكار الجغرافية التي ذكرها الاصطخري ، وكذلك تتجلى في مشاهداته الشخصية للأقاليم التي زارها ، إذ من المعروف عنه أنه دوَّنَ ما شاهد ومحص ما سمع ، لذا جاءت أفكاره ووصفه على درجة من الشمولية والدقة أكثر من سابقيه ، ولا تتوخى هذه الموازنة استعراض كل هذه الإضافات ، وإنما تكتفي بالإشارة إلى مواضع هذه الإضافات وصفحاتها والوقوف على قسم منها تجنباً للإطالة.

وتتجلى هذه الإضافات في كل الأقاليم التي وصفها إلا أنها تختلف في حجمها وأهميتها بين إقليم وآخر. فمثلاً تبدو إضافاته في وصفه لـ(العراق ، الجزيرة ، الشام ، مصر ، المغرب ، الأندلس ، بحر الروم ، صقلية ، أرمينية ، أذربيجان والرآن ، الجبال ، خراسان ، بلاد ما وراء النهر) أكثر حجماً من بقية الأقاليم(ديار العرب ، خوزستان ، فارس ،كرمان ، السند ، الديلم وطبرستان ، بحر الخزر ، مفازة خراسان وفارس ، سجستان).

ففي مقدمة كلا الكتابين والتي وضحت بها الخطوط الأساسية للمنهج الذي اتبعه كلاً منهما ، يُلاحظ أن المقدمة التي وضعها ابن حوقل لكتابه جاء فيها شيء من التفصيل يتجلى في إشاراته إلى إهداء الكتاب ، وتوضيحه لمنهجه ، وقسمته للأرض ، وانتقاداته للأفكار الجغرافية الهندية ، وإشاراته إلى الأسباب التي دفعته إلى تأليف كتابه وذكره لتاريخ بداية رحيله من بغداد لزيارة أقاليم الدولة الإسلامية[1]. أما في حديثه عن(صورة الأرض) فقد ذكر منهجه في رسم صورة الأرض واختلافها عن

---

١ -صورة الأرض، ص٩- ص١١، ووازن ذلك مع الاصطخري، المسالك والممالك، ص١٥.

صورة(القواذيان) ، وذكر بعض الجغرافيين مثل(الجيهاني) في معرض موازنته مع ما كتبه ، وأضاف أسباباً أخرى دفعته إلى تأليف كتابه ، وتبدو منهجيته هنا أيضا في ذكر تبويب كتابه حسب الأقاليم التي وصفها وتوضيح ما سيشمله في وصفه لهذه الأقاليم ، بينما الاصطخري يقتصر فقط في مقدمته على ذكر أسماء الأقاليم. وفي وصف البحار جاء وصف(ابن حوقل) لبحر الخزر(قزوين) أكثر دقة واتساعاً مما جاء في وصف الاصطخري له ، وتتجلى إضافاته أيضا في حديثه عن (صورة الأرض) ذكره لرواية إبراهيم بن البتكين عن تجارات(بلد يأجوج ومأجوج) وكذلك ما ذكره عن أحداث تاريخية خارج إطار الدولة الإسلامية كما ذكر سابقاً روايته عن اكتساح الروس لمدينة البلغار ، ووصفه لأرض البجة ، والتوسع في وصف ناحية الحبشة ، أما الاختلاف فيما ذكره الاثنان عن(صورة الأرض) فيتضح في حدود الدولة العربية الإسلامية ، وفي تحديد ارض الهند ، ومقدار مسافات بحر الروم ، والمسافة بين بحر القلزم(الأحمر) وبين بحر الروم(المتوسط) ، وفي ذكره لطول أرض بلاد السودان ، وطول الدولة الإسلامية ، وفي ذكره للطريق من العراق إلى مصر[(١)].

أما إضافاته في وصف إقليم(العراق) ، فيتضح في وصفه لمدن(البصرة ، الكوفة ، وبغداد ، وسر من رأى ، والنهروان) وكذلك في وصفه لمدينة(كربلاء) التي لم يرد ذكرها عند الاصطخري ، وفي الجوانب الاقتصادية في ذكره لمقدار الخراج ، وضمان خراج البصرة ، وخراج واسط ، وذكره لارتفاع (ميزانية) العراق بمعزل عن البصرة وواسط لسنة(٣٥٨ هـ/٩٦٨م) ، ويُلاحظ الاختلاف في وصفهما لمدينة بغداد في ذكر عدد مساجد الجمعة والجسور في هذه المدينة[(٢)].

أما في وصف (إقليم الجزيرة) ، فتبدو الإضافات جلية فيما تركه ابن حوقل من وصف لثمان وأربعين مدينة [(٣)] ، بينما اقتصر وصف الاصطخري على ثمانية وعشرين

---

١ - صورة الأرض، الصفحات١٦، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ووازن الاصطخري الصفحات١٥، ١٦، ١٧، ١٩.

٢ - المصدر نفسه، ص٢١٢- ص ٢١٤ص،٢١٤- ص ٢١٥ص،٢١٥- ص٢١٧، ص ٢١٨، ووازن الاصطخري، الصفحات٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، وينظر: أيضا صورة الأرض، الصفحات ٢٢١، ٢١٤، ٢١٥.

٣ - صورة الأرض، الصفحات:١٩٠، ١٩١، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨- ٢٠٧.

مدينة [1] ، وقد جاءت الإضافات حتى في وصف المدن التي ذكراها[2] ، وكذلك في انتقاده لبعض الأفكار الجغرافية التي صورت الأرض بهيأة طائر. وكذلك في وصف أرض صفين ، وترجمته لبعض الشخصيات عند وصفه لمدينة الأنبار كأبي بكر محمد بن مجاهد ، وعند وصفه لمدينة هيت ترجم لـ(عبد الله بن مبارك) ، وتتضح من إضافاته أيضاً بما سجله من إشارات تاريخية عن دخول الحمدانيين مدن (نصبيين ، بلد ، والرافقة) ، وما آلت إليه هذه المدن أثر دخولهم إليها ، وكذلك دخول الروم مدينة(حران) وحصار الملك البيزنطي نقفور لمدينة(الرها) ، ومدينة(جزيرة أبي عمر) ، ووصفه لاختلال مدينة(رحبة مالك بن طوق) ، وأضاف أيضاً ما ذكره عن سكنى العرب في هذا الإقليم ، وعن المسافات بين مدنه[3].

أما في وصف(إقليم الشام) فتجلت إضافاته في وصفه للجوانب الاقتصادية ، وذكره عقود الخراج(لجندي فلسطين والأردن) وخراج الشام في عهد الأمويين ، ومقدار ارتفاع(ميزانية) هذا الإقليم ، وكذلك فيما ذكره عن الثروة الحيوانية ، فضلاً عمّا ذكره من أحداث تاريخية كدخول الروم لبعض مدن الشام(حمص ، انطرطوس ، حلب ، انطاكية ، ملطية ، الحدث ، مرعش)[4] ، وكذلك تُلاحظ إضافاته عندما توسع في وصف بعض المدن: (دمشق ، أنطرسوس ، قنسرين ، بالس ، منبج ، طرطوس)[5].

أما إضافاته في وصفه(ديار العرب) ، فتتجلى فيما ذكره عن حالتها السياسية منذ حقبة الفراعنة ، والتبابعة ، وتفصيله للموارد المالية لبلاد البحرين ، وفي إشاراته للموارد المائية ، وما ذكره عن الندوة ، وما جاء في وصفه لمناخ المدينة ، وإشاراته لسكنى الحرب

---

١ - المسالك والممالك، ص٥٢- ص ٥٥.

٢ - صورة الأرض، ينظر: مثلاً وصفه لمدينة نصيبين من ص١٩١- ص ١٩٤، بينما جاء وصفها عند الاصطخري في(خمسة) اسطر ينظر: ص٥٢، وينظر: وصفه لمدينة الموصل ص١٩٤- ص ١٩٨، بينما وصفها الاصطخري في(ثلاثة) أسطر ينظر: ص٥٣، وينظر بقية المدن الصفحات: ١٩٨، ١٩٩- ٢٠٠، ٢٠٢- ٢٠٣، ٢٠٤- ٢٠٥، ٢٠٦، ووازن الاصطخري، ص٥٣، ص٥٤.

٣ - صورة الأرض، الصفحات١٥٩:- ١٦٠، ١٦١- ١٦٢، ١٧٢- ١٧٣.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات١٦٢- ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨.

٥ - المصدر نفسه ، الصفحات،١٦٠، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨.

في اليمامة ، ومشاهداته لديار الحسينين ، وتوسعه في وصف رمل الهبير ، وبلاد خولان ، وجبل المذيخره ، ووصفه لنبات الورس وسكنى الخوارج في هذه الديار ، وتوسعه في وصف جبل شيام ، وكذلك في وصفه لطرق ديار العرب ، أما الاختلافات فيما ذكره الاثنان فتتضح فيما ذكر عن(باب الكعبة) ، وعن بعض المسافات بديار العرب[١].

وتتجلى إضافاته في إقليم (بحر فارس) في وصفه لجزائر بني حدان (في البحر الأحمر) وذكره للثروة السمكية في هذا البحر في محاذات آيلة. وفي وصفه للمد والجزر في البحر المحيط ، وكذلك فيما ذكره من أحداث عند وصفه لأقوام البجة(على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر وبين نهر النيل) ، وما ذكره عن علاقة أقوام البجة مع المسلمين إلى سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) ، واستيلاء أقوام البجة على مدينة انبو (مدينة في صعيد مصر) وذلك في زمن الخليفة المتوكل ، وكذلك تجلت إضافاته في وصفه لمدينة (أنبو) ، ونواحي علوة (شرق إفريقيا) ، وأمم البازين وبارية ، وأهل الكرسي من بلاد النوبة ، وأمة الجبليين وأمم الأحيدين[٢] ، وبلد الحبشة ، والأحوال السياسية لبلاد النوبة(بين شرق النيل والجنوب الغربي للبحر الأحمر) ، وأيضا ما جاء في وصفه لنهري باور واتمتي(تصب في نهر النيل) ، ونهر سوبة الذي يتصل بهذين النهرين ، وكذلك في وصفه لوادي بركة (يقع في المنطقة الممتدة من الحبشة إلى ناحية البجة) ، وفي وصفه للكثافة السكانية لبعض المواقع وهي(مَدين ، والجار ، وجده)[٣].

أما إضافات ابن حوقل في وصفه(إقليم مصر) فقد تجلت في عدد المدن التي وصفها وهي إحدى وخمسون مدينة[٤] ، بينما الاصطخري لم تطأ قدمه أرض مصر ،

---

١ - المصدر نفسه ، الصفحات،٣١، ٣١- ٣٥، ٣٧- ٣٨، ٤٠- ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦- ٤٧، ٣٦، ٤٧،= =ووازن الاصطخري، الصفحات،٢٢، ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٢١، ٢٨.

٢ - أمم البازين وبارية: وهم أمم كثيرة من البجة ذكر ابن حوقل بعض عاداتهم الاجتماعية، أما أهل الكرسي من بلاد النوبة فهم على نهر(اتمتى) أما أمة الجبلين، فهم سكان غرب النيل الأبيض في طاعة ملك دنقلة(ودنقلة مدينة على نهر النيل)، أما أمم الاحديين يسكنون بين علوة وبين أمة الجبلين، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض ، ص٥٩، ص٦٢.

٣ - صورة الأرض، الصفحات،٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦١، ووازن الاصطخري، ص٥٣.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات،١٣٧، ١٤١، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦.

وهذا ما يتضح من النصوص التي جاءت في وصفه لهذا الإقليم ، فقد اقتصر وصفه على سبع عشرة مدينة ، وحتى المدن التي ورد وصفها عند الاثنين يُلاحظ أن وصف ابن حوقل أكثر شمولية مما هي عند الاصطخري[1]. وكذلك تتجلى إضافاته في الجوانب الاقتصادية ، فذكر الخراج في مصر في العصر الراشدي وفي زمن الخليفة المأمون ، وتوسع في شرح طريقة جباية الخراج في إقليم مصر[2] ، وتوسع أيضا في وصف صناعة الثياب في مدينتي(تنيس ودمياط) ، والصناعات في مدن الفيوم[3] ، وتوسع في الكلام عن بحيرة تنيس واصفاً كيفية سير السفن فيها ، وأضاف أيضا في وصف الطرق البرية[4] ، وتوسع في وصفه(لبلد الواحات) الذي لم يُلاحظ له ذكر عند الاصطخري[5] ، وأشار إلى بعض الأحداث التاريخية حول دخول المغاربة (الفاطميين) أرض مصر وما آلت إليه البلاد على إثر ذلك[6] ، وتوسع أيضا في مظاهر السطح حيث وصف رمل الجفار[7].

أما في حديثه عن (إقليم المغرب) فتتضح إضافات ابن حوقل في وصفه لهذا الإقليم أكثر من بقية الأقاليم ، إذ إنه كتب مشاهداته وما سمعه من روايات أثناء تجواله فيه ، على غير الاصطخري الذي لم تطأ قدمه أرض المغرب ، إذ لم يلاحظ في وصفه لهذا الإقليم ما يشير إلى زيارته له ، لذا جاء وصفه معتمداً على ما يبدو أما على المدونات المكتوبة أو على السماع. فاقتصر وصف الاصطخري على ثماني عشرة مدينة[8] من مدن هذا الإقليم ، بينما وصف ابن حوقل مئة وثلاث مدن[9] ، وانفرد

---

١ - المسالك والممالك، الصفحات،٣٩- ٤٠، ٤١، ٤٢.

٢ - صورة الأرض، الصفحات، ١٢٨- ١٢٩، ١٢٩- ١٣٠، ١٥٢.

٣ - المصدر نفسه، ١٢٨- ١٢٩، ١٣٠، ١٢٥.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات،١٤٦، ١٤٤، ووازن الاصطخري، ص٤١.

٥ - المصدر نفسه، ص١٤٦، ووازن الاصطخري، ص٤١.

٦ - المصدر نفسه، ص١٣٥.

٧ - المصدر نفسه، ص١٤٧،ص ١٤٨.

٨ - المسالك والممالك، ص٣٣،ص ٣٤.

٩ - صورة الأرض، ص٦٩- ص ٩٣.

أيضا في وصف بعض مظاهر السطح في هذا الإقليم وهي: (جبل أوراس ، جبل نفوسه ، وادي باب زناته ، وادي قلورية ، وادي الصفاصف)[١] ، فضلاً عما ذكره عن الموارد المائية في هذا الإقليم[٢] ، وفي المجال الاقتصادي فإضافاته تتضح بما سجله عن تجارة هذا الإقليم[٣] ، أما الجوانب الاجتماعية فقيمة إضافاته تتضح بما رسمه من خارطة لتوزيع البربر وعاداتهم ، وذكره لأسماء أكثر من مئة قبيلة من قبائل البربر[٤] ، أما في الجانب الديني فذكر المدن التي سكنها الخوارج ، وتحدث عن نبوة رجل بربري الأصل ، وكذلك ما ذكره عن المذاهب الإسلامية[٥]. أما في الجانب الإداري ، فقد توسع في وصف حدود المغرب[٦] ، وفي الجوانب التاريخية أشار إلى ثورة أبي زيد مخلد بن كيداد وحصاره لمدينة المهدية[٧] ، وتتجلى إضافاته أيضا فيما ذكره عن الطرق والمسافات في هذا الإقليم[٨].

أما في حديثه عن الأندلس ، فقد جاء وصفه لما كانت عليه في عام (٣٣٧هـ/٩٤٨م) ، إذ دخلها ابن حوقل في هذه الحقبة ، بينما الاصطخري لم تطأ قدمه أرض الأندلس ، فقد أفرد ابن حوقل فصلاً في وصفه لهذا البلد ، وقد تجلت إضافاته فيما ذكره عن حالتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وتتضح إضافاته في وصفه لإحدى وأربعين مدينة ، بينما الاصطخري اقتصر في وصفه على أحدى عشرة مدينة[٩] ، فضلاً عن وصفه لبعض القرى التي لا نجد لها ذكراً عند الاصطخري وهي(أنبنش ، الغام) [١٠].

---

١ - المصدر نفسه، الصفحات،٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٢.

٢ - المصدر نفسه، ص٧٧،ص ٨٩.

٣ - صورة الأرض، الصفحات، ٩٤- ٩٥، ٦٥، ٧١، ٩٤- ٩٧.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات٨٥، ٩٠، ٩٣- ٩٤، ٩١، ٩٣، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠- ١٠٢.

٥ - المصدر نفسه، الصفحات،٩٢، ٩٣، ٨٥، ٩٠، ٩٣- ٩٤.

٦ - المصدر نفسه، ص٦٥، ووازن الاصطخري، ص٩٣.

٧ - المصدر نفسه، ص٧٤.

٨ - المصدر نفسه، الصفحات،٦٥، ٨٤، ٨٧، ووازن الاصطخري، ص٣٨.

٩ - المصدر نفسه، الصفحات، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨- ١٠٩، ووازن الاصطخري، ص٣٥- ص ٣٦.

١٠ - المصدر نفسه، ص ١١١.

أما وصفه لـ (صقلية) فقد أفرد ابن حوقل فصلاً في وصف هذه الجزيرة ، مشيراً إلى حالتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ووصف مدنها ، بينما لم يُلاحظ ذلك عند الاصطخري ، إذ تحدث عن هذه الجزيرة في وصفه لبحر الروم في ثلاثة أسطر[١].

أما في وصف بحر الروم(المتوسط) فتتضح إضافاته في وصفه للمدن الواقعة على ساحل هذا البحر فقد وصف اثنتين وعشرين مدينة[٢] ، بينما الاصطخري اقتصر وصفه على ثلاث مدن فقط [٣] ، وتجلت إضافاته في ذكره للمناصب الإدارية في بلد الروم ووصفه للسجون ، وكذلك ما ذكره عن الموارد المالية ولاسيما الضرائب ، وأيضا إضافاته عندما ذكر المسافات وحدود هذا البلد ، وسبب قلة المدن النفيسة فيه ، وفي وصفه للموارد المائية ، وتلاحظ إضافاته في الإشارات التاريخية التي تكشف جانباً من الصراع بين الروم والعرب المسلمون حيث أشار إلى استيلاء الروم على جزر(قبرس وأقريطش) ومن ثم تحريرها من قبل العرب المسلمين وفتحهم لمدينة اقلمية[٤] ، وقد اختلفا في وصفهما لجزيرتي(قبرس وأقريطش) إذ جاء وصف كل منهما في حقبة تاريخية مختلفة[٥].

أما في وصف إقليم (خوزستان) ، فتبدو إضافات ابن حوقل واضحة في وصفه لمدينتي(بصنى والطيب) وكذلك في وصفه لأهل الاهواز واشتهارهم بعلم الكلام وذكر مشاهداته بهذا الخصوص ، وكذلك ما ذكره عن مقدار ارتفاع هذا الإقليم سنة(٣٥٨هـ/٩٦٨م)[٦] ، أما الاختلافات فجاءت في تسمية بعض الكور والمواقع

---

١ - المصدر نفسه، ص ص١١٣- ١٢٥، ووازن الاصطخري، ص٥١.

٢ - صورة الأرض ، الصفحات،١٧٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤.

٣ - المسالك والممالك، ص٥٠ –ص ٥١.

٤ - صورة الأرض، الصفحات،١٧٨- ١٧٩، ١٨٣، ١٧٩، ١٨٠- ١٨١، ١٨٢، ١٧٤، ١٧٩- ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥- ١٨٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٨٤، ووازن الاصطخري، ص٥١.

٦ - المصدر نفسه ، الصفحات،٢١٨، ٢٣٢، ٢٣٣، ووازن الاصطخري، ص٦٣،ص ٦٤.

وتحديد بعض المسافات[١].

أما عن(إقليم فارس) فقد جاء وصف الاصطخري لهذا الإقليم أكثر إضافة من وصف ابن حوقل ، إلا أن بعض الاختلافات جاءت في تسمية بعض المواقع[٢] ، وكذلك في ذكر مدن بعض الكور[٣].

أما في وصف(إقليم كرمان) فتبدو إضافات ابن حوقل واضحة فيما ذكره عن جبال القفص ، وفي وصفه لمدينة(بسم) ، وفي ذكره للواردات المالية لهذا الإقليم[٤] ، أما أما الاختلافات فجاءت في تسمية بعض المواقع وفي ذكر المسافات[٥].

أما إضافاته في وصفه لـ(إقليم السند) فقد جاءت في وصفه لمدن(أنرى ، قالرى ، بانيه ، قامهل ، سندان ، وقنبلى) ولوادي طوران ، وكذلك في وصفه لأقوام(الميذ والزط)[٦]. أما الاختلافات بينهما فقد جاءت في تسميات بعض المواقع في هذا الإقليم[٧].

وفي وصفه لـ (إقليم إرمينية وأذربيجان والرآن) ، فتتضح إضافاته في وصفه لبعض المدن مثل (أردبيل ، مراغة ، برذعة ، تفليس ، دبيل ، والميانج) ، وتُلاحظ إضافاته أيضا فيما ذكره عن الجوانب الاقتصادية فقد ترك وصفاً رائعاً لسوق كورسره والحركة التجارية فيه ، فضلاً عما ذكره لتجارة البغال في ناحية الزوزان ونواحي أرمينية والرآن وما ذكره عن الموارد المائية[٨] ، وقد اختلف ابن حوقل مع الاصطخري في أسباب

---

١ - المصدر نفسه ، الصفحات،٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٢، ووازن الاصطخري، ص٦٢،ص ٦٥.

٢ - صورة الأرض، الصفحات،٢٣٧،٢٣٦، ٢٣٨، ووازن الاصطخري، الصفحات،٦٧، ٦٨، ٦٩.

٣ - صورة الأرض ، ص٢٣٨، ووازن الاصطخري، ص٧٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٦٩، ٢٧١، ووازن الاصطخري، ص٩٩.

٥ - المصدر نفسه ، الصفحات٦٦، ٦٨، ٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ووازن الاصطخري الصفحات ،ص٩٧- ٩٨، ١٠٠- ١٠١.

٦ - المصدر نفسه، الصفحات،٢٧٩- ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ووازن الاصطخري، الصفحات، ١٠٥، ١٠٧.

٧ - المصدر نفسه، الصفحات٢٧٩- ٢٨١،٢٨٠، ٢٨٣،ووازن الاصطخري،الصفحات، ١٠٥،١٠٤، ١٠٧.

٨ - المصدر نفسه، الصفحات،٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٠٢، ٣٠٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٠١، ووازن الاصطخري، الصفحات،١٠٨، ١١٠، ١١١.

جعل (أرمينية وأذربيجان والرآن) إقليماً واحداً ، وفي وصفهما لبحيرة كبوذان (آرمية) وكذلك في ذكر بعض المسافات[١].

أما في وصف إقليم(الجبال) فتتجلى إضافاته في وصفه لمدن (همذان ، أسد أباد ، أبهر ، رامن ، بروجرد ، الدينور ، أصبهان ، ماربانان ، خان لنجان ، حلوان ، الحجر ، شهروز ، قزوين)[٢] ويُلاحظ أنه وصف مدناً لم يذكرها الاصطخري وهي (ساوه ، ماربانان ، والحجر) وترك وصفاً رائعاً لسوق كرينية ، وكذلك لمظاهر السطح في هذا الإقليم ، وفي وصفه لإقليم الروذارور ، ومدينتي(يزوكان ، ومهربان) وفي ترجمته لبعض الشخصيات كابن قتيبة الدينوري ، وأبي القاسم بن معشر واختلف مع الاصطخري في تسمية بعض المواقع ، وكذلك في وصف ما يحيط بالجبال وساكنيها من الأكراد[٣].

وإضافته في وصفه لإقليم(الديلم وطبرستان) تتضح فيما ذكره عن أصل الديلم ، وفي وصفه لصناعات(طبرستان) ، فضلاً عما ذكره من أعمال جرجان ، واحتلال مدينة دهستان ، وفي ترجمته لبعض الشخصيات ، وكذلك ما ذكره عن مقدار ارتفاع جرجان ، واحتلال مدينة دهستان ، وفي ترجمته لبعض الشخصيات ، وكذلك ما ذكره عن مقدار ارتفاع جرجان[٤] ، واختلف مع الاصطخري في تسمية بعض المواقع[٥].

وفي وصف إقليم(الخزر) تتضح إضافات ابن حوقل فيما ذكره عن المناصب الإدارية ، نوع الحكم ، سياسة الخزر وأمر مملكتهم ، فضلاً عما جاء في وصفه لتجار جلود الخز ، وما ذكره عن الأديان والمذاهب ، وأورد إشارات تاريخية عن دخول الروس إلى مدينتي(بلغار وخزران)سنة(٣٥٨هـ/٩٦٨م) ودخولهم جرجان وتخريبهم لها ،

---

١ - المصدر نفسه ، الصفحات،٢٩٦، ٣٠٢، ٣٠٣، ووازن الاصطخري، الصفحات،١١١، ١١٣، ١١٤.

٢ - صورة الأرض ، الصفحات٣٠٦، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣٠٦، ٣١٥- ٣١٧، ٣١٦، ووازن الاصطخري، الصفحات ،١١٥، ١١٧، ١١٦، ١١٨.

٣ - صورة الأرض ، ص ، ص٣١٥،٣٠٦،ووازن الاصطخري، ص ص١١٥ ، ١١٩.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات ٣٢١،٣٢٠- ٣٢٢، ٣٢٣- ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص ص٣٢١،٣٢٠، ووازن الاصطخري، ص ص١٢١، ١٢٢.

وكـذلك استيلائـهم على نهر اتل(الغولغا)[1].

أمـا في وصـفه(مفـازة خراسـان وفـارس) ، فتتضـح إضـافاته في وصـفه لمدينـة(دزة) وقريـة(خزانـة) وكـذلك في ذكـره لـبعض الطـرق التجاريـة فيهـا[2]. وقـد اختلـف مـع الاصطخري فيما ذكره عن المراكز السكانية في هذه المفازة ، فيرى ابن حوقل أنه ليس في هذه المفازة قرية ولا مدينة ، بينما الاصطخري يذكر وجود قرى في هذه المفازة ، وكذلك ما ذكره عن بعض الطرق التجارية التي تمر في المفازة [3].

وفي وصـف إقلـيم (سجسـتان) أضـاف ابـن حوقـل معلومـات سمعهـا مـن أحـد المسافرين إذ جمعها الطريق في زيارتهما مصر سنة(٣٦٠هـ/٩٧٠م) حول شدة الرياح في هذا الإقليم وكيفية مواجهتها ، فضلاً عن ذكره مقدار ارتفاع هـذا الإقلـيم والوظـائف الإدارية فيه[4] ، أما الاختلافات بينهما فقد جاءت في تسميتهم لأبـواب مدينـة(زرنـج) وفي تسميتهم لبعض أنهار الإقليم ، وفي بعض المسافات بـين المـدن وفي تسـمية بعـض المواقع

أما في وصف إقليم(خراسان) فتبدو إضافاته واضحة فيما ذكره عن الجوانب الإداريـة في كور هذا الإقليم ، وكـذلك في وصـفه لـبعض المـدن(نيسابور ، هـراة ، الفاريـاب ، انبـار ، اليهودية ، بذخشان ، نوقان ، كابل ، وبلخ) ولرستاق كينج والمسافات في الجوزجـان ووصـفه لبلاد الغور ، وعمل الباميان ، وناحية شاوغر ، وتجارة الرقيق الترك[5].

أما في وصف(ما وراء النهر) ، ففـي مجـال المـدن ، تبـدو إضـافاته واضـحة في وصـف العديد مـن مـدن: (القوذيـان ، الصـغانيان ، أخسيسـك ، فربـر ، سمرقنـد ، كـش ، نسـف ، ينكث ، اسبيجاب ، ويذار) ووصفه لسماحة وكرم أهل مـا وراء النـهر وكـذلك في وصـفه لأهل السغد ، ووصفه لاقليمي(فرغانـة وأشروسـنة) ووصـفه لجبـال البـتم ، ولمـدن (الشـاش

---

١ - صورة الأرض، الصفحات ٣٣١- ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٦، ووازن الاصطخري، ص١٣١.

٢ - المصدر نفسه، الصفحات ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ووازن الاصطخري، ص ص١٣٧،١٣٤.

٣ - صورة الأرض ، ص ص٣٤١، ٣٤٢، ووازن الاصطخري، ص ص١٣٤، ١٣٥.

٤ - المصدر نفسه ، الصفحات ، ٢٥٦- ٣٥٧.

٥ - المصدر نفسه، الصفحات ، ٣٧٠- ٣٧٩.

وإيلاق) ، ولنهر جيحون ، وفي الجوانب الاقتصادية ذكر الموارد المالية ، وتجارة أهل خوارزم ، والنقود المتداولة في هذا الإقليم[١] ، واختلف مع الاصطخري في تسمية بعض المواقع[٢].

ومن خلال هذه الموازنة تبدو الموضوعات التي أولاها ابن حوقل شيئاً كثيراً من إضافاته هي الجوانب الاقتصادية ، إذ يمكن أن ننعته بالجغرافي العربي الوحيد لهذه الحقبة والذي رسم بحق صورة واضحة للإنتاج. وتتجلى إضافاته في ذكره للأحداث التاريخية وفي ترجمته لبعض الشخصيات أثناء وصفه لمدن الأقاليم التي زارها ، ولا تقتصر الموازنة هذه على الإضافات التي جاء بها ابن حوقل بل تؤشر أيضا الاختلافات في تحديد المواقع في بعض الأحيان ، أو في مقدار المسافات بين المدن ، أو في تسمية بعض المواقع ، لذا فإن غاية الموازنة كانت للكشف عن أصالة ابن حوقل بالموازنة مع معاصره الاصطخري.

ابن حوقل وأفكار بطليموس الجغرافية
والأفكار الجغرافية الهندية

لا تتوخى هذه الدراسة عرضاً لأفكار بطليموس الجغرافية والأفكار الجغرافية الهندية ، أو توضيح علاقة هذه الأفكار بالفكر الجغرافي العربي الإسلامي[٣] ، وإنما سيتناول الحديث هل اقتبس ابن حوقل من هذه الأفكار في تصنيف كتابه أم لا؟ ففي مجال(أفكار بطليموس الجغرافية) ذكر ابن حوقل ، بطليموس في ثلاثة مواضع

---

١ - المصدر نفسه ، الصفحات:٣٨٦، ٣٩٠، ٤٠٣- ٤٠٤، ٤٢٠- ٤٢١، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٥، ٣٨٨، ٣٩٨، ٣٩٧، ووازن الاصطخري، ص١٦٢، ١٦٤، ١٧٥، ١٨٣- ١٨٤، ١٧٠، ١٧٦، ١٦٩- ١٧٠.

٢- المصدر نفسه، الصفحات:٣٨٣، ٣٩٣، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ووازن الاصطخري، الصفحات:١٦٣، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣.

٣ - ينظر ما كتب بهذا الخصوص: محمد بهجت الأثري، الجغرافية عند المسلمين والشريف الإدريسي، مجلة المجمع العلمي العراقي، إبراهيم شوكت، تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به، ص٨، محمد بن احمد العقيلي، جهود المسلمين في رسم الخرائط، بحث منشور في المؤتمر الجغرافي الأول، ج٣، ص٣٣٥.

من كتابه فقط(الأول) عندما وصف بحر الخزر(قزوين) إذ يقول: "ولقد قرأت في غير نسخة الجغرافيا[1] أنه يستمد من بحر الروم عن بطليموس ، وأعوذ بالله أن يكون مثل بطليموس يذكر المجال أو يصف شيئاً بخلاف ما هو به"[2] وفي إشارة ابن حوقل هذه يتضح وجود أكثر من نسخة لكتاب بطليموس(الجغرافيا) وما يؤكد هذه الإشارة ما ذكره ابن النديم في(الفهرست)[3] أن هناك أكثر من ترجمة إلى العربية لهذا الكتاب. ويُلاحظ أيضا أن ابن حوقل قد برأ(بطليموس) من وقوعه بمثل هذه الأخطاء الجغرافية الفادحة ، وهذا ما يؤكد أن النسخة التي اطلع عليها ابن حوقل من كتاب (الجغرافيا) قد أُقحمت عليها مادة غريبة لا تُنسب إلى الكتاب الأصلي [4].

أما الموضع الثاني ، فهو من منابع النيل التي لم يعزا أصلها إلى مكان ويشير بهذا الاقتباس صراحة إلى بطليموس وإلى كتابه (الجغرافيا)[5]. أما الموضع (الثالث) فذكره ابن حوقل في خاتمة كتابه عندما وازن كتابه بأشهر الكتب التي صنفت في هذا المجال ويشير إلى أن أشهرها بالتأليف قد اقتبس عن بطليموس[6]. ويبدو مما سبق أن ابن حوقل لم يتأثر بمنهج بطليموس الجغرافي الذي يرى قسمة الأرض على سبعة أقاليم ، وإنما سار على منهج تقسيم الأقاليم وتبويب المادة يخالف هذا المنهج ، كما اتضح ذلك عند الحديث عن (منهج ابن حوقل) ، وقد اقتصر هذا التأثير على اقتباس واحد فقط ، كما وإن أفكار بطليموس الجغرافية كانت تحظى بتقدير ابن حوقل.

---

١ - توجد نسخة لهذا الكتاب في مكتبة قسم الجغرافيا، كلية الآداب- جامعة بغداد بعنوان (ترجمة كتاب بطليموس بالعربية في تفصيل الأقاليم مع صورها المعروف بالجغرافيا).

٢ - صورة الأرض، ص٢٢.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٢٨.

٤ - مقبول أحمد، مقالة جغرافية، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد ١٢، ص١٢٠.

٥ - صورة الأرض، ص٤٣٩.

٦ - المصدر نفسه، ص٤٢٩.

أما الأفكار الجغرافية الهندية[1] فأشار ابن حوقل إلى الخارطة الهندية بمدينة القوانيان في موضعين من كتابه(الموضع الأول) في مقدمة الكتاب بقوله:"... ولم اقصد الأقاليم السبعة التي عليها قسمة الأرض لأن الصورة الهندية التي بالقوانيان ، وإن كانت صحيحة فكثيرة التخليط"[2]. أما الموضع الثاني فورد ذكره(صورة القوانيان) ضمن قوله: "وقد حررت المسافات واستوفيت صور المدن وسائر ما وجب ذكره ، واتخذت لجميع الأرض التي يشتمل عليها البحر المحيط الذي لا يسلك ، صورة تضاهي صورة القوانيان من جهة وتخالفها في مواضع"[3] ، ويتضح مما سبق أن ابن حوقل اطلع على الخارطة الهندية في مدينة(القوانيان) ، ولكنه لم يتخذها أساساً في رسمه لخارطة جميع الأرض وذلك لأنها تخالف منهجه في رسم الخرائط إذ إنها تقوم على منهج قسمة الأرض على سبعة أقاليم من جهة ، ومن الجهة الأخرى أنها مليئة بالأخطاء ، وهذا ما يؤشر تقدماً ظاهراً في خرائط ابن حوقل عما كانت عليه الخارطة الهندية.

أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي الإسلامي:

تتجلى أهمية ابن حوقل فيما قدمه من مادة في كتابه والتي شملت جوانب مختلفة (إدارية ، اجتماعية ، دينية ، اقتصادية ، أحداث تاريخية ، وصف المدن ، تفصيلات طبيعية...) ، وتتجلى أهميته أيضا في منهجه حيث اعتمد الرحلة والمشاهدة فلا تقتصر معلوماته على الكتب النظرية والاستفسار عن الأقاليم من بعيد ، لذا جاءت معلوماته على درجة كبيرة من العلمية يمكن الركون إليها ، وهذا المنهج يمثل درجة عالية في البحث المبني على التحقيق والمشاهدة للأقاليم التي وصفها ، وهو أسلوب صحيح في كتابة الجغرافية الوصفية وهذا الأسلوب عينه اعتمد في المنهج

---

١ - عن هذه الأفكار الجغرافية انظر مقالة مقبول أحمد، جغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، مجلد(١٢) ، ص ص١١٧، ١١٩.

٢ - صورة الأرض ، ص١٠.

٣ - صورة الأرض ، ص١٥.

الجغرافي الحديث[1].

وتتجلى أهميته أيضا في خرائطه التي رسمها للأقاليم الإسلامية وخارطة لجميع الأرض التي تعد نوعاً فريداً في حد ذاته ، فيما يخص خرائط هذه الحقبة ، إذ رسم فيها السواحل خطوطاً مستقيمة وأقواساً ، وأظهر الجزر والبحار الداخلية(قزوين وآرال) في صورة دوائر كاملة الاستدارة ، كل ذلك بطريقة هندسية تخطيطية[2].

وقد وصف المستشرق(آدم متز)[3] أهمية ما كتبه ابن حوقل من حيث بلوغه الذروة في وصفه للبلدان ، حيث إنه سافر حتى دوخ الأقاليم ، وحمله تيار الأسفار واستهوته حياة الارتحال والسياحة على طريقة العرب ، وقد اطلع على الكتب التي صنفت في هذا الفن. وقد انتهت إليه اللغة أكثر انصقالاً ودقة وأسلس قياداً مما وجدها المؤلفون المتقدمون.

وقد اكتسب كتاب ابن حوقل شهرة في الأندلس إذ كتب ابن سعيد الأندلسي تكملة لكتاب ابن حوقل[4] ، وفي حدود سنة(٥٤٥هـ/١٢٥٠م) اختصر مؤلف أندلسي نص ابن حوقل وأكمله بمعلومات من عنده وبخريطة النيل التي وضعها الخوارزمي في كتابه(صورة الأرض)[5] ، أما قيمة وصفه للأندلس فتتجلى ، فيما يسوقه من أدلة نادرة عن حياة البلاد الاجتماعية الاقتصادية[6] ، فضلاً عن ذلك أنه جاء بمعلومات قيمة في وصفه لصقلية والشمال الأفريقي لا نجدها عند غيره من الجغرافيين الذين سبقوه ، لذا وصفه كراتشكوفسكي[7] بأنه الخبير الأول في شؤون المغرب من بين

---

١ - شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص١٢٣- ص ١٢٤.

٢ - شفيق عبد الرحمن علي، مدارس الجغرافية عند المسلمين، ص٢٦٣.

٣ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو رويدة، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، المجلد الثاني، ص١٢، ص ١٤.

٤ - المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور محمد محي الدين عبد الحميد، (بيروت- لبنان: ١٩٤٩م)، ج١، ص١٩٧.

٥ - بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج٤، ص٢٤٨.

٦ - بروفنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص٣٦- ص٣٧.

٧ - تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٢٠٤.

جغرافي(المدرسة الكلاسيكية في القرن الرابع الهجري) ، وجاءت معلوماته عن البربر من الأهمية بحيث إنها كانت أوسع وأدق مما جاءت عند الجغرافيين المتقدمين ، فقد ذكر ما يقرب من مئتي قبيلة من قبائل البربر.

ويمكن مُلاحظة أهمية ابن حوقل في الفكر الجغرافي الإسلامي من خلال تأثر الجغرافيين والكتاب الذين جاءوا بعده وانتهلوا من فكره الجغرافي ومن هؤلاء الجغرافيين والكُتَّاب:

١- صاحب مخطوطة(قطعة من كتاب في الجغرافيا):

مؤلف هذه المخطوطة مجهول عاش في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ، ويبدو أن هذه القطعة جزء من مؤلف لم يصلنا منه سوى هذه القطعة وفيها وصفاً لإقليم الشام وفيها باب في وصف البحار وما فيها من عجائب الآثار ، وربما اعتمد صاحب هذه المخطوطة على ابن حوقل في مواضع عديدة ، إذ إن هذه القطعة الصغيرة(من الورقة٦٥ إلى الورقة ٨٣) ورد فيها اسم ابن حوقل(خمس مرات)[1] ، وقد أشار إلى ابن حوقل في اقتباساته هذه ، أو يشير أحياناً إلى كتابه. ولكن يطالعنا هذه المرة عنوان جديد لكتاب ابن حوقل ذكره صاحب هذه المخطوطة باسم(كتاب الأقاليم) ، وهذا العنوان كما ذكر سابقاً حملته إحدى مخطوطات كتاب ابن حوقل ، التي ربما لم يطلع عليها الجغرافيون والكتاب الآخرون ، أو اطلعوا عليها ولم يشيروا إليها.

٢- الشريف الإدريسي(٢):

---

١ - ينظر: المخطوطة، ورقة ٦٨، ٧٠، ٧٣، ٧٨، ٨٠، وقد وردت هذه الاقتباسات عند ابن حوقل، ص١٥٤، ٤٢، ٢٠، ٢١، ١٠٤.

٢ - عن الإدريسي ينظر: صلاح الدين خليل ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، نشر باعتناء المستشرق هلموت ريتر، ١٩٦٢، ج١، ص١٦٣. حاجي خليفة كشف الظنون، ج٢، ١٩٤٧، مقدمة كتاب المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي حققه محمد حاج صادق،(باريس ١٩٨٣م) كراتشكوفسكي تاريخ الأدب الجغرافي العربي،ق١، ص٢٨٠- ٢٩٤،د٠أحمد سوسه، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية(جزآن)، محمد عبد الغني حسين، الشريف الإدريسي،

أبو عبد الله ، محمد بن محمد بن عبد الله بن ادرسي المتوفى بعد سنة (٥٤٨هـ/١١٥٤م) ، ألف أكثر من كتاب منها كتاب تحت عنوان (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، وقد اعتمد الإدريسي في مصنفه هذا على عدد من الجغرافيين والكتاب ، ذكرهم في مقدمة كتابه ومن بينهم أبي القاسم محمد الحوقلي البغدادي (ابن حوقل) ، وقد أشار في اقتباساته إليه في ثلاثة مواضع باسم الحوقلي[١] ، وهناك اثنان وثلاثون نصاً اقتبسهما الإدريسي من ابن حوقل دون الإشارة إليه[٢].

٣- ياقوت الحموي ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م)[٣]:

شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، الذي يعنينا من مؤلفاته فيهما عن ابن حوقل هما:-

آ- مُعجم البلدان:

وهو مُعجم جغرافي ضخم مرتب على الترتيب الألفبائي ، وقد قدم له ياقوت في

اشهر جغرافي العرب والإسلام، الهيئة العامة للتأليف والنشر، سلسلة أعلام العرب رقم(٩٧)، حسين مؤنس، الجغرافية والجغرافيون العرب في الأندلس، ص١٦٥ وما بعدها.

١ - نزهة المشتاق، ق١، ص٤٠، ق٢، ص١٧٧، وينظر: صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل(ليدن: ١٨٦٤)، ص١٦٣، وقد وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، ينظر: صورة الأرض، الصفحات :١٤٣، ٢٧٨، ١٥٠- ١٥١.

٢ - ينظر : تحقيق الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق إبراهيم شوكت، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد(٢٣) سنة ١٩٧٣، الصفحات،٣،٤، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ١٧، ١٩، ١٩- ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٧- ٢٨، ٣٠ وقد وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، ينظر:صورة الأرض، الصفحات،١٩٣، ٩١، ١٤٨، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٣، ٢٠٥، ١٩٤ وما بعدها، ص١٩٩، ١٩١، ٢٠١، ١٧٩، ٢٠٤، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١- ٢١٥، وما بعدها ٢١٨، ٢١٨- ٢١٩، ٢٢٠، ٢١٩، ٢١٥، ٢١٤- ٢١٥، ٢١٢، ٢١٤، وينظر: جزيرة العرب من نزهة المشتاق- الشريف الإدريسي، تحقيق إبراهيم شوكت، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد(٢١) سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، الصفحات، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٠- ٤١، ٤٢، ٤٣ ٤٣- ٤٤ ٤٩، ٥٦، ٥٨، وازن ابن حوقل، صورة الأرض، الصفحات،٣٧، ٤٠، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٣، ٥١، ٣٩- ٤٠، ٣٥، ٤٤، ٤٤- ٤٥، ٤٧، ٤٩.

٣ - ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٦، ص١٢٧، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م، ج٨، ص١٨٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، عنيت بنشره مكتبة القدس(مصر: القاهرة: ١٣٥١هـ)، ج٥، ص٥١٣.

خمسة أبواب ليكمل فائدته ، وقد عده(كرامرز)[1] أكمل مصنف للمعلومات الجغرافية الوصفية والفلكية واللغوية وأخبار الرحالين التي جمعها السلف. وقد اقتبس ياقوت الحموي في معجمه واحد وعشرين نصاً[2] ، وكان أميناً في نقله ، وقد أشار إليه بابن حوقل ، وأحياناً باسم(التاجر الموصلي). وقد كانت المعلومات التي نقلها عن ابن حوقل تحظى باحترام ياقوت ، مما جعله يركن إليها إذ إنه يؤكد مشاهدات ابن حوقل للأقاليم التي وصفها[3] ويحظى الفصل الذي كتبه ابن حوقل عن (صقلية) باهتمام ياقوت ، فقد لخص ماذكره ابن حوقل عن صقلية ، ويتضح ذلك في قوله: "وقرأت لابن حوقل التاجر فصلاً في صفة صقلية ذكرته على وجهة فقيه مستمتع للناظر في هذا الكتاب"[4] ، ويُلاحظ في اقتباسات ياقوت الحموي أنها اقتصرت على بلدان المغرب باستثناء اقتباس واحد عن مدينة سامراء.

ب- المشترك وضعاً والمفترق صقعا :

هذا الكتاب البلداني الثاني للياقوت الحموي ، وقد ذكر في مقدمته أنه انتحله من كتابه(معجم البلدان) مرتباً على حروف المعجم[5] ، إلا أن المشترك يمثل إضافة كبيرة مستقلة عن المعجم وليس مستخرجاً منه ، وإن كل كتاب منهما قد جاء منفصلاً في تأليفه عن الآخر ، نتيجة لاختلاف المصادر المكتوبة والمنقولة مشافهة[6] ،

---

١ - مقالة جغرافيا، دائرة المعارف الإسلامية، ص٩٨.

٢ - معجم البلدان، ج١، ص١٤٤، ١٦٢، ١٧٠، ٢٦٢، ١٩٨، ٢٢٥، ٢٣٧، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٦٨، ٣٩، ٤٤٠، ٤٨٣، ص٣٣٩، ج٣، ص٤١٨- ٤١٩، ج٤، ص٤٣، ٣٩٣، ٣٢٤، ٤٤٥، ٣٨٣، ٣٤٨، ٢٤٩، وقد وردت عند ابن حوقل، انظر صورة الأرض، ص١٠٦، ٨٠، ١١٠، ٩٠، ٨٠- ٨١، ٩١، ٩١- ٩٣، ٨١، ١١٤- ١١٨، ١١٤، ١١٣- ١٢٤، ٨٠، ١٠٧- ١١٠، ٩٢، ١٧٧، ٨٩.

٣ - صورة الأرض، ج١، ص٥٤٢.

٤ - المصدر نفسه، ج٢، ص ص٤٠٩- ٤١٠.

٥ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، نشر باعتناء وستنفلد ١٨٤٦م، ص ص٣- ٤.

٦ - عبد العال عبد المنعم الشامي، مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، (الكويت: ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص١١.

وقد اقتبس في كتابه هذا عن ابن حوقل نصين[1] ، وعلى الرغم من إشارته إليه إلا أن النصين جاءا مختلفين عما في(صورة الأرض) ، والمعروف عن ياقوت أنه دقيق في اقتباساته ، إلا أنه ربما نقل في كتابه المشترك من نسخة لكتاب ابن حوقل لم تصل إلينا فيها بعض الاختلاف.

٤- ابن خلكان(ت٦٨١هـ/١٢٨١م)[2]:

هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان ، قاضي القضاة ، نقل عن ابن حوقل في ترجمته لبعض الشخصيات في كتابه (وفيات الأعيان) بعض النصوص البلدانية ، وكان صريحاً في اقتباساته بذكره اسم(ابن حوقل) وكتابه الذي ذكره بعنوان(المسالك والممالك) وجاءت اقتباساته في سبعة مواضع [3].

٥- القزويني(ت٦٢٨هـ/١٢٨٣م)[4]:

هو زكريا بن محمد بن محمود القزويني(أبو يحيى ، عماد الدين) مؤرخ وجغرافي ، ومن مؤلفاته(عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات)[5] ، وهو كتاب جغرافي ، وله كتاب(آثار البلاد وأخبار العباد) وقد اقتبس القزويني في كتابه الأخير عن ابن حوقل وذكره باسم(ابن حوقل الموصلي)في موضعين [6].

---

١ - المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص٥٧، ٣٢٥، ووازن هذه الاقتباسات عند ابن حوقل، ص٨١، ٨٩.

٢ - ينظر: ترجمة: الصفدى، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٠٣، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مصر: ١٩٥١م، ج١، ص١٠٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٧، ص٣٥٣- ٣٥٥، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٧١.

٣ - ينظر: وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٩٨، ج٤، ص١٧٣، ٢٦٨، ج٦، ص٤٢١، ج٧، ص٧٤،ص ١١٥، ص ١٣٨، وقد وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، ينظر: صورة الأرض، الصفحات،٣٩، ٢٣١، ٥٤، ٩١، ١١٠.

٤ - ينظر: ترجمته، حاجي خليفة، كشف الظنون، ج١، ص٩، الزركلي، الأعلام، مجلد ٣، ص٤٦، كحالة، معجم المؤلفين، ج٤، ص١٨٣، مقدمة كتاب عجائب المخلوقات، سركيس، معجم المطبوعات، ج٢، ص١٥٠٧- ص ١٥٠٨.

٥ - نشر هذا الكتاب وستنفلد في ليبسك عام ١٨٤٨م.

٦ - ينظر: آثار البلاد وأخبار العباد، اعتنى بنشره وستنفلد(ليبزك: عام ١٨٤٨م) ص١٠٦، ص ١١٠،

٦- ابن شداد(ت٦٤٨هـ/١٢٨٥م):

الصاحب عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن البراهيم بن شداد الأنصاري الحلبي[١] ، وفي كتابه(الإعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) ذكر اسم ابن حوقل في القسم الخاص بلبنان والاردن وفلسطين في خمسة مواضع ثلاثة منها اقتبس فيها من ابن حوقل نصوصاً[٢] ، وفي(موضعين) أشار إلى أنه لم يصف مدينتي (بانياس ، وحيفا)[٣] ، أما في القسم الذي يضم كل ما يتعلق بديار مضر وديار ربيعة وبعض ما يتعلق بديار بكر ، فقد اقتبس عن ابن حوقل في(ستة) مواضع ، ثلاثة منها يشير فيها إلى اسم ابن حوقل[٤] ، أما البقية فلا يشير إلى اسمه أو إلى كتابه فيها[٥] ، ويتضح من نقولاته بأنه كان يميل إلى اختصار نص ابن حوقل.

٦- ابن سعيد المغربي[٦] (ت٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م):

أبو الحسن علي بن سعيد ، وقد اقتبس من ابن حوقل(نصين)[١]جاء في كتابه

وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، ص١١٣، ص٩١.

١ - عن ترجمته ينظر: الصفدى، الوافي بالوفيات،ج٤، ص١٨٩- ١٩٠، أبو عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، بيروت- لبنان: ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ج٤، ص٢٠١، عماد الدين إسماعيل ابن كثير، البداية والنهاية،ط٢، مكتبة المعارف(مصر: ١٩٧٧م)، ج٣، ص٣٥٠، الحنبلي، شذرات الذهب، ج٥، ص٣٨٨.

٢- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، تحقيق سامي الدهان، دمشق:(١٣٨٢- ١٩٦٢م)،ج٢، الصفحات، ٣٢٩،١٣٦،٦٧،٢٣٩، وينظر هذه النصوص عند ابن حوقل،ص١٦٩،ص١٦٠، ص ١٥٩.

٣ - ابن شداد، المصدر نفسه، ص١٢٣، ص١٢٤.

٤ - ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، تحقيق يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق: ١٩٧٨، ج٣، ق١، الصفحات٦٩، ١٤٠، ١٥٤- ١٥٥، وينظر هذه النصوص عند ابن حوقل، ص٢٠٣،ص ١٩٩.

٥ - ابن شداد، المصدر نفسه، الصفحات،٨٥، ١٢٤، ١٤٥، وينظر هذه النصوص عند ابن حوقل، ص٢٠٤،ص ١٩١، ص ٢٠٠.

٦ - عن ترجمته ينظر: ابن شاكر الكبتي، فوات الوفيات، ج٢، ص١٠، المقرى التلمساني، نفح الطيب، ج٣، ص٣٧- ص ٣٩.

(المغرب في حلى المغرب) في الجزء الخاص بمصر ، وإن ما كتبه ابن حوقل عن أهل الأندلس تصدى له(ابن سعيد المغربي) وألف كتاباً للرد عليه سماه(الشهب الثاقبة في الأنصاف بين المشارقة والمغاربة) ونقل عن ابن حوقل وصفه للأندلس ، ومن ثم كرس فصلاً للرد عليه من خلال موازنة ثبات أهل الأندلس بما آل على المشرق من ويلات أثر دخول الروم إلى الشام والجزيرة[2].

٧- شيخ الربوة[3] (ت٧٢٧هـ/١٣٢٧م):

شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي طالب الأنصاري الدمشقي الصوفي المعروف بشيخ الربوة ، ومن كتبه التي نقل فيها عن ابن حوقل(نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) ونقل عنه في(موضعين)[4] ، ولكن من خلال مقابلتنا لهذه النصوص مع ما جاء عند ابن حوقل لم نعثر على مثل هذه النصوص في كتابه وربما قد يكون اقتبسها من نسخة لم تصل إلينا.

٨- أبو الفداء(ت٧٣٢هـ/١٣٣١م):

إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر: الملك المؤيد ، صاحب حماة[5] ، له في

---

١ - ينظر: المغرب في حلى المغرب، الجزء الخاص بمصر، اعتنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه د.زكي محمد حسن، د.شوقي ضيف، د. سيدة كاشف، مطبعة جامعة فؤاد الأول مصر: ١٩٥٣م، ق١، ص٢،ص ٣، ص ٨، ووازن هذه النصوص عند ابن حوقل، صورة الأرض، ص١٣٧.

٢ - المقرى التلمساني، نفح الطيب، ج١، ص١٩٦- ص ١٩٧.

٣ - عن ترجمته ينظر: الصفدى، الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٦٣، حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١٠١١، سركيس، معجم المطبوعات، ص٨٨١، الزركلي، الأعلام، مجلد٦، ص١٧٠، وعن جغرافيته، ينظر: كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب العربي، ق١، ص٣٨٦- ص ٣٨٧ .

٤ - نخبة الدهر في عجائب البر والبحر،(ليبزك: ١٩٢٣)، ص١٢٢،ص ١٤٣.

٥ - عن ترجمته ينظر: الصفدى، الوافي بالوفيات، ج١، ص٢٠٣، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص١٠٠، تاج الدين بن نصر عبد الوهاب السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ط٢، دار المعرفة، (بيروت – لبنان)، ج٦، ص٨٢، شهاب الدين أحمد بن العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط٢، دار الكتب الحديثة،(مصر ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، ج١،

الجغرافية كتاب(تقويم البلدان) ، ويرى المستشرق(رينو)[1] أن جغرافية(أبو الفدا) لم تقدم طابعاً أصيلا إلا في بعض أجزاءه ، إذ إنه لم يزر إلا سوريا ومصر والجزء الواقع في شمال المدينة ومكة والأقطار التي تمتد إلى شمال سوريا وأرض الجزيرة ، أما الأقطار التي لم يزرها أبو الفدا ، فقد استعان بالمؤلفات المدونة قبله ، ومن بين المؤلفات الأكثر أهمية مؤلف ابن حوقل ، إذ إنه قد اعترف صراحة باتباع منهجه من قوله: "وأما ترتيب الأماكن وتقديم بعضها على بعض في الذكر فإنه أمر لم يتهيأ لنا فيه ترتيب يرضينا ، فتبعنا ابن حوقل"[2].

وقد اقتبس أبو الفدا في(تقويم البلدان) من ابن حوقل اقتباسات كثيرة أحصيناها في مئتين وواحد وأربعين نصاً[3] والملاحظ كثرة اقتباسات أبي الفدا من ابن حوقل ، إذ يرد

ص٣٩٦- ص ٣٩٩، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩٢.

1 - M.Renaud, Ge gra phie D Abaulfe da Prais, p. XXXVll

٢ - تقويم البلدان، نشره رينو(باريس: ١٨٤٨م)، ص٧٢- ٧٣.

٣ - ينظر : تقويم البلدان، الصفحات٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٧١، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٤، ٨٩، ١٥٤، ١٠٦، ١٠٩، ١٣٩، ١٤٩، ١٧٩، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٦- ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥١، ٣٧٣، ٣٨١، ٣٨٥، ٣٨٦- ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٥، ٤٠٤- ٤٠٥، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٣، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٧، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٤١- ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦١، ٤٦٤، ٤٦٦- ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٥، ووازن هذه النصوص عند ابن حوقل، صورة الأرض، الصفحات ، ٢٣٦- ٢٤٢، ٣٥١، ٢٣٧، ٢٩٦، ٣٩٣، ٢٧٩، ٣٠٦، ٢٩، ٣٠، ٣٥، ٣٧، ٣٥، ٣٧، ٤٥، ٤٦، ٣٩، ٤٠، ١٥٠، ١٤٩، ١٣٦، ٩٣، ٦٩، ١١٢، ١٨٣، ١٥٧، ١٥٨، ١٧١، ١٦١، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٥٩، ١٦٨، ١٦٧- ١٦٨، ١٦٥، ١٦٩، ١٦٢، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٤، ١٦٦، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٤، ١٨٩، ٢٠٣، ٢٠٠، ١٩٤، ١٧٩، ٢٠٦، ١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢١٩، ٢١٨، ٢٢٠، ٢١٤، ٢٣١، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٩- ٢٦٠، ٢٤٦، ٢٦٠، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٣٨، ٢٦٨، ٢٣٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٦٨، ٢٧٣، ٢٦٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧١، ٣٤٧، ٣٥٠- ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٤٩- ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٥٣، ٢٧٤، ٢٨٢، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٧، ٥٢، ٢٨٥، ٢٩٥، ٣٠٢- ٣٠٣، ٢٩١- ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٤، ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٨٩، ٣٠٠، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩١، ٣٠٨، ٣٠٣، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٦، ٣٠٩، ٣٠٣، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٦، ٣٢٢، ٣٢٩، ٣٥٨، ٣٣٨، ٣٦١، ٣٧٢، ٣٦١، ٣٧٢، ٣٦٣، ٣٧٢، ٣٦٨، ٣٧٩، ٣٧١، ٣٦٦- ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٦٤، ٣٦٧، ٣٧٩، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٣- ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٤، ٣٧٣، ٣٧٣، ٣٩٦- ٣٩٧، ٤٠٣، ٤٠٨، ٤١٥، ٤٢١، ٤٢٦، ٣٩٢، ٤٠٣، ٤١٢، ٤١١، ٤٠٦- ٤٠٧، ٤١٢، ٤١٨، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٦- ٤١٧، ٤١٩، ٤١٥، ٤١٨،

اسم ابن حوقل في الصفحة الواحدة أحيانا(خمس مرات) أو(اربع مرات)…. ، وعلى الرغم من إشارات أبي الفدا في اقتباساته إلى اسم(ابن حوقل) إلا أنه لم يكن أحياناً دقيقاً في نقولاته ، ولا نعني بدقة النقل هنا نقل النص حرفياً ، بل نقل المعلومات بصورة صحيحة ودقيقة بحيث لا تجد اختلافاً في المادة المنقولة عند المقابلة[1].

٩- النويري(ت سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٣م):

أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التميمي البكري شهاب الدين النويري[2] ، وقد صنف كتاباً كبيراً أشبه بدائرة معارف يقع في ثلاثين مجلداً بعنوان(نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب) صدر منه ثمانية عشر مجلداً ، وكان الهدف من موسوعته تلخيص جميع العلوم الاجتماعية مما يحتاج إليها كبار الكتاب[3].

ويشتمل الكتاب على قسم جغرافي جاء في القسمين الرابع والخامس من الفن الأول ، وقد اقتبس عن ابن حوقل في هذا القسم وأشار إلى اسمه في(ثلاثة) مواضع[4].

١٠- ابن دقماق (ت٨٠٩هـ/١٤٠٧م):

إبراهيم بن محمد بن ايدمر بن دقماق القاهري[5] ، مؤرخ ، اعتمد على ابن حوقل

٤٢١، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٣٩٤، ٤٢٠، ٣٩٣.

١ - تقويم البلدان، نشره رينو(باريس: ١٨٤٨م)، ينظر مثلاً، الصفحات٦١، ٨٤، ٣٠١، ٣٠٩، ٣١٧، ٣١٩، ٣٩٠- ٣٩١، ٤٠٥، ٤٢٧، ووازن هذه النصوص باختلافها عند ابن حوقل، الصفحات٣٩٣، ٤٥- ٤٦، ٢٠٥، ٢١٤، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٩١- ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٢٠.

٢ - عن ترجمته: ينظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج١، ص٢٠٩- ص ٢١٠، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٩٩، كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٣٠٦، الزركلي، الأعلام، ج١، ص١٦٥، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٤٠٨.

٣ - كراتشكوفسكي، المرجع نفسه.

٤ - ينظر : النويري، نهاية الأرب، ج١، الصفحات٢١٩، ٢٤٧، ٢٧١- ٢٧٢، ووازن هذه النصوص عند ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢٢،ص ٤١٩.

٥ - عن ترجمته ينظر: ابن تغرى بردى، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق احمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ج١، ص١٢٠- ص ١٢١، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى، الضوء اللامع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ج١، ص١٤٥- ص١٤٦، البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ص٤٥، كحالة، معجم المؤلفين، ج١، ص٨٦.

في كتابه(الانتصار لواسطة عقد الأمصار) وهو في تاريخ مصر طبع منه جزآن(الرابع والخامس) ، وقد اقتبس من ابن حوقل في هذين الجزئين في أربعة مواضع[1].

١١- القلقشندي (ت٨٢١هـ/١٤١٨م):

احمد بن علي بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن أبي اليمن القلقشندي[2] ، وضع مصنفاً ضخماً باسم(صبح الأعشى في صناعة الانشا) وفيه تلخيص جميع المعارف التي يحتاج إليها كاتب الديوان ، وذكر القلقشندي في المقالة الثانية من كتابه معلومات جغرافية جاءت في الأجزاء(الثالث والرابع والخامس)من الكتاب ، وفيها اقتبس من ابن حوقل مئة وخمسة وأربعين نصاً[3] ، وتلاحظ كثرة اقتباساته إذ يرد

---

١ - ينظر: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص١٣، ٤٢، ٥٢، ٥٣، ووازن هذه النصوص عند ابن حوقل، الصفحات:١٤٣، ١٥٠، ١٣٦، ١٤٩.

٢ - عن ترجمته ينظر: ابن تغرى بردى، المنهل الصافي، ج١، ص٣٣٠- ص ٣٣١، السخاوى، الضوء اللامع، ج١، ص١٤٥، ص١٤٦، حاجي خليفة، كشف الظنون، ص١٠٧، البغدادي، إيضاح المكنون، ج١، ٤٢٢، كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق١، ص٤١٥- ص٤٢١.

٣ - صبح الأعشى في صناعة الانشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م، ج٣، الصفحات:٢٤٥، ٣٣٣، ٣٨٢، (ج٤)، الصفحات :٧٧، ٨٩، ١٠٣، ١١٣، ١٢٢، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٥٧، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٥، ٢٩١، ٣٠٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٨، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٠، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥،٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤،٤٤٥، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٩،(ج٥)، الصفحات:٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ١١١، ٣٤٥، ٤٠٣، ووازن هذه النصوص عند ابن حوقل ، ينظر: صورة الأرض، الصفحات:٤٢٩، ١٣٧، ١٤٩، ١٧٠، ١٥٧، ١٥٧- ١٥٨، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٩، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٢، ١٦٩- ١٧٠، ٢٩، ٣٠، ٣٧، ٤٦، ١٩٤، ٢٠٤، ١٨٩، ٢٠٠، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠١، ٢١٩، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٤٧، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٩، ٢٤٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤٦، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٤٧، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢١٤، ٢١٨، ٢٣٩،٢٤٨، ٢٣١، ٢٣٢،٢٤٦، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٧١، ٣٥٠- ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٥٢، ٢٩٧، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٨، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٨٩، ٢٩٩، ٢٩١- ٢٩٢، ٣٠٩، ٣١٤، ٣٠٨، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٣، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٠٦، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٠، ٣٢٦، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٤- ٣٢٥، ٣٢٢، ٣٦١، ٣٧٢، ٣٧١- ٣٧٢، ٣٦٨، ٣٦٦- ٣٦٧، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٣، ٣٥١- ٣٥٢، ٢٤٩- ٢٥١، ٢٩٩، ٣٢٦، ٢٥٩- ٢٦٠، ٣٩١، ٣١٣، ٤٢١، ٤٠٣، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٢٠، ٣٩٤، ٣٩٣، ٤١٨، ٤١٩، ٣٧٤، ٣٧٣، ٤١٩، ٣٩٧، ٣٩٥، ٤٠٣، ٣٩٥، ٤٠٣، ٣٩٧، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٨٦، ١٨٣.

في الصفحة الواحدة اسم ابن حوقل اربع أو ثلاث مرات.

١٢- المقريزي:

هو تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني المعروف بالمقريزي[١] ، وفي كتابه(المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) المختص بأخبار مصر والنيل وذكر القاهرة وما يتعلق بأقاليمها ، اقتبس من ابن حوقل عدد من النصوص ، أشار المقريزي إلى ابن حوقل في واحد من اقتباساته وذكره باسم (الحوقلي)[٢] ، بينما نقل منه في ثمانية مواضع دون الإشارة إلى ابن حوقل أو إلى كتابه[٣].

١٣- علي بن عيسى صاحب مخطوطة (عجائب البلدان والجبال والأحجار)[٤]:

ربما يكون مؤلف هذه المخطوطة هو علي بن عيسى(مجهول الوفاة) ، استناداً إلى ما ذكره ناسخها في نهاية المخطوطة ، وأشار ايضاً إلى سنة تأليفها(٨٧٣هـ/١٦٤٨م) ، وفيها معلومات جغرافية وتاريخية تقع في ستة عشر فصلاً[٥] ، وقد اقتبس مؤلف هذه المخطوطة من ابن حوقل وأشار إليه باسم(الحوقلي) في ستة مواضع[٦] ، وقد اقتبس منه في مواضع أخرى دون الإشارة إليه أو إلى كتاب[٧].

---

١ - عن ترجمته ينظر: السخاوى، الضوء اللامع، ج٢، ص٢١.

٢ - ينظر: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، نشر فييت سنة (١٩٢٤م)، ص١٢٢، وينظر :هذا النص عند ابن حوقل، ص١٢٩.

٣ - ينظر: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج٤، الصفحات:١٣١، ١٤٢- ١٤٣، ٢٠٠، ٢٢٠، ج٥، ص٢٨، ص١٢٦، وينظر: هذه النصوص عند ابن حوقل، الصفحات:١٤١، ١٣١، ١٤٣، ١٤٦، ١٤٩، ٤٠، ١٤٩.

٤ - مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا- كلية الآداب- جامعة بغداد برقم(١٤).

٥ - ينظر: فهرست فصول المخطوطة السابقة ورقة(٢٩).

٦ - ينظر : المخطوطة ورقة ٤٣، ٤٦، ١٣٦، ١٤١، ١٥٨، ١٦١، ومن خلال موازنة النصوص مع ابن حوقل يلاحظ نصا منها ورد عند ابن حوقل، ص١٣٧، بينما لا تنطبق بقية النصوص مع ما ذكره ابن حوقل.

٧ - ينظر: المخطوطة السابقة ورقة ١١- ورقة ١٩، وقد وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، ص٢٠- ص ٢٦.

صاحب(رسالة في أسماء البلدان)[1] **:**

لا نعرف اسم صاحب هذه المخطوطة ، ولم يؤرخ أيضاً تاريخ تأليفها أو نسخها ، ويبدو أنها ناقصة لم تصل منها سوى(عشر) صفحات وهي في أسماء البلدان ولم يتبع الكاتب منهجاً في ترتيبها ، وقد اقتبس من ابن حوقل في(ثلاثة مواضع) وقد أشار في اقتباساته إلى اسم ابن حوقل[2].

الفصل الثاني

الجوانب الإدارية والاجتماعية

أولا :- الجوانب الإدارية.

أ- الاصطلاحات الإدارية.

ب- التقسيمات الإدارية .

ج- المناصب الإدارية.

---

١ - مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد، وبرقم(٣٩٩).

٢ - المخطوطة غير مرقمة، لا يمكن الإشارة إلى أرقام أوراقها، واقتباساته جاءت عن مدينة قزوين في(بلاد الجبال) ،وعن مدينة أصبهان في (بلاد الجبال)، وعن مدينة اخميم في(مصر) وقد وردت هذه النصوص عند ابن حوقل، الصفحات:٣١٤، ٣٠٩، ١٤٨.

ثانيا:- الجوانب الاجتماعية:-

أ- السكان وعاداتهم.

ب- القبائل والأقوام.

ج- اللغات.

د- الأزياء والملابس.

ه- توزيع الأديان.

الجوانب الإدارية والاجتماعية

أولا :- الجوانب الإدارية :

أ- الاصطلاحات الإدارية :

من الصعب تقديم صورة كاملة عن إدارة الأقاليم من خلال ما ذكره ابن حوقل من نصوص بهذا الشأن ، وإن هذه الصعوبة تكمن في عدم ذكره للتقسيمات التي كانت سائدة آنذاك لكل الأقاليم التي زارها ، ولم يوضح بدقة ، ما تعنيه الاصطلاحات الإدارية ، كما فعل قسم من الجغرافيين[1].

---

١ - كما يلاحظ ذلك عند المقدسي الذي يشير إلى التقسيمات الإدارية بقوله: "وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حله السلطان الأعظم وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال إليه مدن الإقليم مثل دمشق... وربما كان للمصر أو للقضية نواح فالإقليم أربعة عشر، ستة منها

وسنحاول أولاً أن نفهم الاصطلاحات الإدارية[١] عند ابن حوقل قبل الخوض في التقسيمات الإدارية وهذه الاصطلاحات هي:-

(١) الإقليم:

للإقليم عند ابن حوقل أكثر من مفهوم ، فتارة يستخدمه معبراً عن التقسيمات الرئيسة للأقاليم ، حيث قسمها إلى اثنين وعشرين إقليما ، وهو يريد بالإقليم هنا "مناطق صرفة تتعاقب ممتدة من الشرق على الغرب ، وقد تم وصف كل هذه الرقع الأرضية حسب مميزاتها الطبيعية ، مدن ، طرق ، منتجات الأرض ، وتفصيلات أخرى عجيبة وصحيحة بشكل مستفيض للغاية"[٢]. فالإقليم عنده ليس منطقة من الأرض ، تحكمها دولة بعينها ، وإنما هو منطقة جغرافية ، ذات مظاهر طبيعية ، تكسبها شخصية متميزة[٣]. ويتضح ذلك ، عندما ميَّز بين إقليمي خراسان ، وما وراء النهر ، على الرغم من أنهما تحت الحكم الساماني. ويتضح أيضاً أن ابن حوقل لم يعد ينظر لمفهوم الإقليم ، فكرة فلكية كما جاءت في الأفكار الجغرافية اليونانية ، بل فكرة جغرافية بحتة ، لذا فإنه عندما قسم أقاليم العالم جاء تقسيمه أقرب إلى التقسيم الطبيعي. وبجانب استخدام هذا التعبير بمعنى الأقسام الإدارية الرئيسة ، يستخدم هذا

عربية... وثمانية أعجمية... ولا بد لكل إقليم من كور ثم لا بد لكل كورة من قصبة ثم لكل قصبة من مدن... وليس كل قصبة مصرا"، ويشبه المقدسي الأمصار بالملوك، والقصبات بالحجاب، والمدن بالجند، والقرى برجاله، ينظر: احسن التقاسيم،ص١٥٤،ص٤٧ وكذلك يلاحظ ياقوت الحموي الذي وضع هذه التعابير الإدارية في مقدمة معجمه، ينظر: معجم البلدان، ج١، ص٣٥، وما بعدها.

١ - ينظر: مناقشة صالح العلي للمصطلحات الإدارية الواردة عند البلدانيين العرب فيما يخص إقليم خراسان، إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد(١٥) سنة ١٩٧٢م، ص٣١١، وينظر: مناقشة نقولا زيادة للمصطلحات الإدارية فيما يخص بلاد الشام انظر جغرافية الشام عند جغرافي القرن الرابع الهجري، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية(عمان: ١٩٧٤م)، ص١٥٠- ص ١٥١.

٢ - مينورسكي، الجغرافية والرحالون المسلمون، ترجمة عبد الرحمن حميدة(الكويت: ١٩٨٥م)، ص١١.

٣ - محمد محمود الصياد من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي،(بيروت: ١٩٧١م)، ص٢٥.

التعبير مرة أخرى ، ويريد به بعض الوحدات الإدارية التابعة للوحدات الإدارية الرئيسة ، ويتضح ذلك عندما ذكر إقليم(ما وراء النهر) ، حيث يشير إلى(خوارزم ، السغد ، أشروسنة ، الشاش ، وفرغانة) على أنها أقاليم[١] ، ويبدو أن استخدام هذا التعبير للإقليم أقل شمولية من الاستخدام الأول له. ويرد مفهوم ثالث للإقليم ، ويقصد به هذه المرة الوحدة الإدارية التابعة للمدينة ، كما جاء في ذكره لمدينة الموصل: "ولها إقليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة إليها"[٢].

(٢) الكورة[٣]:

يقصد ابن حوقل بهذا التعبير الوحدة الإدارية الأصغر من الإقليم أي أنه تقسيم إداري أخص أو أقل من الإقليم ، يشتمل على عدة مدن وله قصبة يتضح ذلك في قوله: "ومن معاظم كور الاندلس ريه ومدينتها ارجذونة..."[٤] ، أو في وصفه لإقليم فارس إذ يقول: "كورة اصطخر ومدينتها اصطخر.... وكورة اردشير خرة ومدينتها جور...."[٥]. وأحياناً يقدم ابن حوقل في حديثه المدينة على الكورة ، كما هو الحال في ذكره لمدينة قنسرين في(بلاد الشام) فيقول: "وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها"[٦] ، ويبدو أن هذا الاستخدام لغرض الإيضاح. ويأتي مفهوم آخر للكورة على أنه الوحدة الإدارية الأصغر من المدينة ، ويتضح ذلك في حديثه عن مدينة حران في (إقليم

---

١ - صورة الأرض، ص٣٩٥.

٢ - المصدر نفسه، ص١٩٤.

٣ - ومفهوم الكورة عند ياقوت الحموي، كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة، أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة فمثلا نهر الملك فإنه نهر عظيم مخرجه من الفرات ويصب في دجلة عليه نحو ثلاثمائة قرية ويقال لذلك جميعه نهر الملك. ينظر: معجم البلدان، ج١، ص٣٦.

٤ - صورة الأرض، ص١٠٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢٣٧، ٢٣٨، وانظر ما ذكره عن كور إقليم الأهواز، ص٢٢٧.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٦٤.

الجزيرة) إذ يقول: "وكان لها غير رستاق وكورة جليلة"[1].

(٣) الناحية:

يرد عند ابن حوقل ، تعبير الناحية ، ويشير هذا التعبير إلى الوحدة الأساسية في الإقليم ، أي أنه قسم الأقاليم هنا على نواح ، كما جاء في تقسيمه الإداري لإقليم (السند) إذ ذكر نواحيها" ناحية مكران ، ناحية طوران..."[2] ، وتشتمل الناحية على عدة مدن ولها قصبة ، ويرد هذا التعبير مرة أخرى بمعنى الوحدة الإدارية الأصغر من الكورة ، كما في وصفه لناحية (يزد) من كورة اصطخر في (إقليم خراسان) بقوله: "ناحية يزد هي أكبر ناحية فيها-كورة اصطخر- وبها من المدن: كثة وهي القصبة وميبذ ونايين والفهرج...."[3] ، ويرد تعبير آخر للناحية وتعني الوحدة الإدارية الأصغر من المدينة ، مثال ذلك ، ما ذكره عن مدينة سر من رأى "وليس بنواحيها كماء يجري إلا أنهار القاطول"[4] ، أو في حديثه عن مدينة أصبهان في (إقليم الجبال) بقوله: "وفي ضمن أصبهان ناحيتان جليلتان يقال لأحدهما برخوار... والناحية الأخرى تعرف برستاق كه كاوسان....."[5].

(٤) الجند[6]:

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٠٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٧٤، وينظر: ما ذكره عن تقسيمات إقليم(الديلم وطبرستان) على خمس نواحي، ص٣٢٠.

٣ - صورة الأرض ، ص٢٣٧.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣١٢.

٦ - ولم يستخدم هذا الاصطلاح إلا في بلاد الشام، وقد سمى المسلمون كل واحد من أجناد الشام جندا لأنه جمع كورا والتجنيد على هذا التجمع وجندت جنداً أي جمعت جمعاً، وقيل سمى المسلمون لكل صقع جندا بجند عينوا له يقبضون أُعطياتهم فيه منه فكانوا يقولون: هؤلاء جند كذا حتى غلب عليهم وعلى الناحية، ينظر: احمد بن يحيى البلاذري، فتوح البلدان، المطبعة المصرية في الأزهر، (مصر: ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م)، ص١٣٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣١٢.

وقد ورد هذا التعبير في تقسيمات ابن حوقل الإدارية لبلاد الشام ، إذ إنه الوحدة الإدارية الرئيسة في الإقليم ، إذ يُعدد أجناد الشام وهي: جند فلسطين ، جند الأردن ، جند دمشق ، جند حمص ، جند قنسرين ، ولكل جند من هذه الأجناد قصبة وعدة مدن [١].

(٥) المدينة، القصبة :

ويقصد ابن حوقل من هذين التعبيرين على أنهما الوحدة الإدارية التي تدخل في ضمن التقسيمات الإدارية الأكبر كالكورة والعمل والناحية والأجناد[٢] ، ويرد تعبير المدينة ، بمعنى العاصمة عندما يذكره بصيغة (مدينتهما) ، كما في قوله: "وأما الأردن فمدينتها الكبرى طبرية"[٣]. ويرد تعبير(القصبة) مشيراً إلى المفهوم الإداري السابق (العاصمة) عندما ذكر مدينة سمرقند في بلاد(ما وراء النهر) أنها قصبة إقليم السغد[٤] ، ويرد تعبير آخر بخصوص(العاصمة) يلاحظ ذلك في وصفه لمدينة برذعة عاصمة ناحية الرآن في إقليم(ارمينية وأذربيجان والرآن) إذ يقول: "ومدينة برذعة فهي أم الرآن"[٥].

(٦) الرستاق :

يعني هذا التعبير عند ابن حوقل المنطقة الزراعية التابعة إدارياً للمدينة ، ويتضح ذلك في ذكره لمدن كورة أردشير في(إقليم فارس) إذ وصفها أن لها رساتيق[٦].

وأن الرساتيق تزود المدن بحاجتها من المحاصيل الزراعية ويبدو ذلك واضحاً عند

---

١ - صورة الأرض، الصفحات : ١٥٧– ١٥٨، ١٦٥.

٢ - ينظر ما ذكره ابن حوقل عن مدن كورة اردشير خرة في إقليم فارس، ص٢٣٨، أوعن مدينة سبيج وهي من عمل كرمان، ص٣١٤، وما ذكره عن مدن نواحي هراة في إقليم خراسان، ص٣٦٧، وما ذكره عن مدن أجناد الشام، ينظر مثال جند الأردن، ص١٦٠.

٣ - صورة الأرض، ص١٦٠.

٤ - المصدر نفسه ، ص٤٠٥.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢٩٠.

٦ - المصدر نفسه ، ص٢١٨.

ذكره رستاقي (قردى وبازبدى) في إقليم الجزيرة وما تنتجه من الحبوب والقطن[١].

ويشير إلى أن بعض الرساتيق لها مركز إداري ، كما هو واضح في حديثه عن رستاق سروج في (إقليم الجزيرة) بقوله: "وسروج رستاق له مدينة خصبة تعرف بسروج"[٢].

(٧) القرية:

تعني عند ابن حوقل ، الوحدة الإدارية الأصغر من المدينة ولا تمتلك مقومات المدينة [٣]. ويُميّز في حديثه القرى إلى كبيرة وصغيرة ، فمثلاً ذكر قرية (جرتيل) في إقليم المغرب بأنها قرية كبيرة [٤].

وذكر ابن حوقل في الحجم السكاني للقرية إذ يتراوح عدد سكانها بين ثلثمائة فرد كما هو واضح في تعداد سكان قرية (باشتذران) في مفازة خراسان وفارس[٥] ، وبين عشرة آلاف كما هو الحال في تعداد سكان بعض القرى في مدينة الري التي ذكرها بقوله: "سد وورامين وارنبوية وورزنين ودزك وقوسين ، وغير ذلك من القرى التي بلغني أن في أحدها ما يزيد من أهلها على عشرة آلاف رجل"[٦].

(٨) المنبر[٧]:

وهو من رسوم المدن ، ولا ريب أن وجوده دليل على كون المكان تقام فيه صلاة

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٩٦.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٠٧، وينظر: أيضا ما ذكره عن رستاق المرج في إقليم الجزيرة، ص١٩٦.

٣ - وسنوضح ذلك في الفصل الرابع.

٤ - صورة الأرض، ص١٦٠.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٤٥.

٦ - المصدر نفسه ، ص٣٢٢.

٧ - وقد درس عبد الجبار ناجي (المنبر وأهميته في خصائص المدينة)، عند البلدانيين العرب دراسة مستفيضة يمكن الرجوع إليها، ينظر: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، مطبعة جامعة البصرة: ١٩٨٦م، ص٨٥- ص ٩٥.

الجمعة وله وال[1]. ففي حديث ابن حوقل عن مدينة الري ، يتضح أن المنبر علامة في في التمييز بين المدينة والقرية بقوله: "وأما ويمة وشلنبة .... وهما مدينتان صغيرتان أصغر من خوار الري[2]..... والري سوى هذه المدن قرى تزيد في قدرها وجلالتها على هذه المدن كثيراً ولا منابر فيها مثل سد ووارمين وارنبويه وورزنين ودزك وقوسين"[3] ، ويتضح أن هذه القرى التي ذكرها لها من المقومات ما يؤهلها لأن تكون مدينة صغيرة ، إلا أن خلوها من المنبر حال دون ارتقائها إلى مصاف المدن.

ويرد تعبير المنبر على أنه وحدة إدارية ، كما ورد في وصف ابن حوقل للجامعين في(الفرات الأوسط): "عبارة عن منبر صغير يحيطه رستاق عامر وخصب جداً "[4].

(٩) عمل:

يرد هذا التعبير عند ابن حوقل على أنه الوحدة الإدارية العملية ، فمثلاً في إشارته إلى ناحيتي الشراة والجبال في (إقليم الشام) أنها مضمومة إلى جند فلسطين ، وهي منها في العمل إلى آيلة [5] ، أو ما ذكره عن مدينة ميافارقين: "إذ قوم يعدونها من أعمال الجزيرة ، وهي من شرقي دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب من أرمينية" [6] ، أو ما ذكره عن ناحيتي جرجان وطبرستان إذ يقول: "وجرجان وطبرستان منذ سنين بين عملي خراسان والري"[7] ، ويتضح من ذلك ، أن العمل قد

---

١ - صالح أحمد العلي: الأحواز في العهود الإسلامية الأولى، مركز البحوث والمعلومات- جامعة بغداد، ص٢٩.

٢ - خوار الري: مدينة من أعمال الري بينها وبين الري نحو عشرين فرسخاً، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٩٤.

٣ - صورة الأرض، ص٣٢٢.

٤ - صورة الأرض، ص٢١٩.

٥ - المصدر نفسه، ص١٥٧، وآيلة مدينة صغيرة على ساحل بحر القلزم (الأحمر).

٦ - المصدر نفسه، ص٢٩٥.

٧ - المصدر نفسه، ص٣٢٥.

قد يحتوي على أكثر من وحدة إدارية [١] ، أو أحياناً يذكر لتوضيح واقع إداري[٢].

ب- التقسيمات الإدارية:

لم يقصد ابن حوقل في كتابه إلى دراسة التقسيمات الإدارية للأقاليم التي ذكرها في عصره ، ولم يتوخ أيضا استعراض التطور الإداري لهذه الأقاليم بل أنه قدم صورة تبدو ناقصة في كثير من جوانبها للتقسيمات الإدارية المعمول بها آنذاك في هذه الأقاليم. وقد جاءت تقسيماته الإدارية للأقاليم كما يلي [٣]:-

(١) ديار العرب:

يشمل هذا الإقليم الحجاز ، نجد الحجاز ، وبادية العراق ، وبادية الجزيرة ، وبادية الشام ، واليمن[٤] ، ومن الواضح أن ابن حوقل ، ارتضى مدلولاً سياسياً وضع به حدود بلاد العرب ، ويقوم على أساس السيطرة العربية ، فشبه جزيرة سيناء تدخل ضمن حدود مصر ، وكانت قديماً تحت سيطرة الروم والقبط ، وليس للعرب بها مياه ولا مراع[٥].

(٢) إقليم المغرب[٦]:

يشمل المساحة الممتدة على ساحل البحر المتوسط من برقة إلى ناحية تنيس[٧]

---

١ - صالح أحمد العلي، إدارة خراسان في العهود الإسلامية، ص٣٢٩ .

٢ - نقولا زيادة، جغرافية الشام عند جغرافيي القرن الرابع الهجري، ص١٥١.

٣ - ولم يقصد بذلك تقسيم ابن حوقل للأقاليم(التقسيم الجغرافي) على(٢٢) إقليماً.

٤ - صورة الأرض، ص٢٩.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢٩.

٦ - ويشمل حالياً الأندلس، والمغرب، والجزائر، وتونس، وليبيا، والصحراء العربية الكبرى.

٧ - ناحية تنس: مدينة بينها وبين البحر(المتوسط) ميلان، وهي آخر أفريقية مما يلي المغرب، بينها وبين وهران ثماني مراحل، ينظر : ابن حوقل، صورة الأرض، ص٧٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٤٨.

إلى سبتة وطنجة ، وقد جعل ابن حوقل الأندلس في جملة المغرب[1] ، ولم يذكر ما كانت عليه التقسيمات الإدارية للمغرب آنذاك [2] ، وكذلك الحال فيما يخص بلاد الأندلس ، فعلى الرغم من أنه قد قسمها إداريا إلى كور إلا أن كلامه في هذا المجال عام ، وغير دقيق ، ولا يمكن التعويل عليه[3].

(٣) مصر[4]:

إن تقسيماتها الإدارية غير واضحة عند ابن حوقل. ويعلل سبب ذلك اضطراب أحوالها السياسية إذ يقول: "وقد تغيرت مذ وقت دخل المغاربة(الفاطميين) أرضها ورزحت من جميع أسبابها ، وبقيت منها رسوم وبقايا دمن خالية تشهد بما سلف من الأمور الرفيعة العالية ، فلذلك حررت أوصافها ولم استقص حالها"[5].

(٤) بلاد الشام[6]:

ذكر ابن حوقل تقسيماتها الإدارية على أجناد ، ويبدو أن هذا التقسيم عُمل به منذ العصور الإسلامية الأولى ، وأجنادها هي: جند فلسطين ، وهي أول أجناد الشام

---

١ - المصدر نفسه ، ص٣٢٥.

٢ - ذكر المقدسي تقسيم بلاد المغرب إلى سبعة كور : برقة، أفريقية، تاهرت، سجلماسة، فارس، السوس الأقصى، صقلية، ولم يُعد الأندلس تابعة إلى بلاد المغرب لأنها كانت مستقلة إداريا تحت الحكم الأموي في الأندلس، بينما بلاد المغرب كانت تحت حكم الفاطميين.

٣ -عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٥٩.

٤ - ويراد بمصر حالياً حدود مصر الحالية فضلا عن الجزء الشمالي الشرقي من السودان (أرض البجة)، واذا وازنا ما ذكره ابن حوقل مع ما ذكره المقدسي عن تقسيمات مصر الإدارية يتضح أن معلومات الأخير انضج إذ إنه قسم مصر على سبعة كور، ينظر: احسن التقاسيم، ص١٩٣.

٥ - صورة الأرض، ص١٣٥.

٦ - وتشمل بلاد الشام حالياً، سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن، ويختلف تقسيم ابن حوقل عما جاء عند المقدسي إذ قسمها الأخير على كور وبهذا انفرد بتقسيمه هذا من بين الجغرافيين، ينظر :أحسن التقاسيم، ص١٥٤- ص ١٥٥.

ومدينتها الرملة ، وجند الأردن ومدينتها طبرية. وجند دمشق ، ومدينتها دمشق ، وجند حمص ، ومدينتها حمص ، وجند قسرين ومدينتها حلب[1].

وفضلاً عن هذه الأجناد فقد جمعت الثغور[2] والعواصم[3] إلى بلاد الشام كما جاء في وصف ابن حوقل[4]: وقد جمعت الثغور إلى الشام وبعض الثغور كانت تعرف بثغور الشام ، وبعضها تعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام ، وذلك أن كلما كان وراء الفرات فمن الشام وإنما سمي من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة لأن أهل الجزيرة كانوا يرابطون ويغزون ، أما العواصم فهي اسم الناحية وليس مدينة تسمّى بذلك ، وقصبتها انطاكية[5].

(٥) الجزيرة[6]:

يسمى القسم الشمالي من بلاد ما بين النهرين بالجزيرة (المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات) والجنوبي بالعراق ، والحد الفاصل بينهما تكريت على نهر دجلة ، والأنبار على نهر الفرات ، أما أقسام هذا الإقليم الإدارية فهي: ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر[7].

(٦) العراق:

---

١ - صورة الأرض، الصفحات:١٥٧- ١٥٨، ١٦٥.

٢ - الثغور: جمع ثغر، وهو كل موضع قريب من العدو يسمى ثغرا، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، دار صادر، ج٢، ص٧٩.

٣ - العواصم: جمع عاصم، وهو المانع: وهي حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الأعداء وأكثرها في الجبال فسميت العواصم، ياقوت الحموي، المصدر نفسه ، ج٤، ص١٦٥.

٤ - صورة الأرض، ص١٥٤، ويحدد ابن حوقل ثغور الجزيرة وهي(ملطية والحدث ومرعش والهارونية والكنيسة وعين زربة والمصيصة وأذنة وطرطوس)، ينظر: المصدر نفسه، ص١٥٣.

٥ - صورة الأرض، ص١٦٥.

٦ - وتشمل حالياً منطقة الجزيرة في العراق مع جزء من البادية الشمالية.

٧ - صورة الأرض، ص٢٠٣.

جعل ابن حوقل حدود[1] هذا الإقليم من تكريت شمالاً إلى الخليج العربي جنوباً ومن حلوان شرقاً إلى القادسية غرباً كما أنه جعل حديه في القسم الأوسط بين واسط والطيب وفي القسم الجنوبي بين البصرة وجبى ، أما تقسيماته الإدارية فلا يذكر ما كانت عليه آنذاك[2].

(٧) **خوزستان**[3]:

ذكر ابن حوقل تقسيماتها الإدارية على كور بوصفه: كورتها العظمى الأهواز التي ينسب إليها سائر المدن والكور ، وعسكر مكرم ، وتستر ، وجُندي سابور ، والسوس ، ورام هرمز ، والسرَّق ، وكلما ذكرته من كورة فهو اسم المدينة غير السرق فإن مدينتهُ الدورق..... وابذج ونهر تيرى وحومة الزُط والجايزان وهما واحد ، وحومة الثينان وسوق سنبيل ومَناذُر الكبرى ومناذر الصغرى وجبّى والطيب وكليوان ، فهذه مدن ولكل مدينة كور[4].

(٨) **فارس** (٥):

ذكر ابن حوقل تقسيماتها الإدارية على خمس كور هي: كورة اصطخر ومدينتها اصطخر ، وكورة اردشير خُرَّه ومدينتها جور ، وكورة دارابجرد ومدينتها داربجرد ، وكورة

---

١ - كلمة حدود تعني النهايات، بمعنى الاتساع لمنطقة ما، ينظر: عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، مطبعة المعارف، (بغداد: ١٩٥٤م)، ص٥.

٢ - صورة الأرض، ص٢٠٨، بينما ذكر المسعودي تقسيم السواد على عشرة كور، أما المقدسي فقد جعله ستة كور وناحية، ينظر: التنبيه والإشراف، ص٣٦،ص٣٧، احسن التقاسيم، ص١١٤،ص ١١٥.

٣ - ويشمل هذا الإقليم حالياً منطقة الأهواز(عربستان).

٤ - صورة الأرض، ص٢٢٧- ص٢٢٨، أما المقدسي فقد ذكر التقسيم الإداري لهذا الإقليم على سبعة كور، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤٠٦.

٥ - ويشمل حالياً القسم الأوسط والغربي من إيران.

الرّجان ومدينتها الرّجان ، وكورة سابور ومدينتها سابور[1] ، فضلاً عن الكور الخمس التي ذكرناها فهناك خمسة زموم[2] للأكراد وهي زم جيلوية ويعرف بزم الرميجان هو أكبرها ، وزم احمد بن الليث ويعرف بزم المازنجان[3] ، وزم احمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان وهو زم اردشير[4].

(٩) كرمان[5]:

لم يذكر ابن حوقل التقسيمات الإدارية السائدة آنذاك لهذا الإقليم.

(١٠) السند[6]:

ذكر ابن حوقل الأقسام الإدارية لهذا الإقليم وهي: ناحية مكران ، ناحية طوران ، نواحي البدهة ، ومدن الهند[7].

(١١) أرمينية وأذربيجان والرآن[8]:

جعل ابن حوقل أرمينية وأذربيجان والرآن إقليما واحدا لكونها "مملكة أنسان

---

١ - صورة الأرض، ص٢٠٣.

٢ - زموم الأكراد: محالهم واحدها زم، انظر الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٧٤- ص ٧٥.

٣ - المازنجان: قبيلة من قبائل الأكراد في حدود اصبهان، ينظر: ابن حوقل ، ص٢٣٦.

٤ - صورة الأرض، ص٢٣٦، ويختلف مع ابن خرداذبه إذ ذكر تقسيماتها الإدارية إلى ست كور بإضافة نسا، أما زمومها فذكر أربعة فقط ، ينظر: المسالك والممالك، ص٤٧- ٤٨، ويتفق ابن حوقل مع ما ذكره قدامة بن جعفر بتقسيم فارس إلى خمسة كور، انظر: الخراج وصناعة الكتابة، ص٧١، أما المقدسي فيضيف إلى تقسيم ابن حوقل كورة شيراز ليجعل من فارس ستة كور، وثلاث نواحٍ، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤٢١.

٥ - وتشمل حالياً القسم الجنوبي الشرقي من إيران.

٦ - وتشمل حالياً بعض أجزاء باكستان.

٧ - صورة الأرض، ص٢٧٦، ويختلف هذا التقسيم مع ما جاء عند المقدسي إذ إنه أضاف إليها مكران لقربها، وذكر تقسيماتها الإدارية بالشكل التالي، مكران، طوران، السند، ويهند، قنوج، الملتان، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤٧٤- ص ٤٧٨.

٨ - ويشمل هذا الإقليم المنطقة التي تقع ضمن جبال القوقاز بين البحر الأسود وبحر الخزر.

واحد....."[1] ويبدو أن السبب يعود إلى التشابه الطوبوغرافي بينهما ، فضلاً عن تمكين الأمير العربي من منحه القوة الإضافية في مجابهة الأحداث لاسيما فيما يتعلق بأمر الخزر وغاراتهم على أرمينية وأذربيجان على حد سواء[2].

أما التقسيمات الإدارية لهذا الإقليم فهي: ناحية أذربيجان وقصبتها أردبيل ، وناحية الرآن ومدينتها برذعة ، أما أرمينية فقصبتها دبيل ، وذكر تقسيماتها على أرمينيتين ، الأولى: الداخلة وهي دبيل ، ونشوى ، وقليقلا وما إلى ذلك من الشمال ، والثانية: وهي بر كرى وخلاط وارجيش ووسطان والزوزان وما بين ذلك من البقاع والقلاع والنواحي والأعمال[3].

وعد ابن حوقل مدينة(ميافارقين) من أعمال أرمينية ويعلل ذلك بقوله: "أكثر العلماء بحدود النواحي يرون أن ميافارقين من أرمينية وقوم يعدونها من أعمال الجزيرة ، وهي من شرقي دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب من أرمينية"[4].

(١٢) الجبال[5]:

ذكر ابن حوقل[6]: إن عمل هذا الإقليم يشمل ماهَّي الكوفة والبصرة[7] ، وما يتصل بهما مما أدخله في أضعافها ، وقد أفرد الري وقزوين وابهر وزنجان عن إقليم الجبال ، وضمها إلى الديلم ، لأنها مُحتفة بجبالها وهذا ما يؤكد التزامه بالعامل

---

١ - صورة الأرض، ص٢٨٥.

٢ - صلاح الدين أمين، الحياة العامة في أرمينية، رسالة دكتوراه(غير منشورة)، مقدمة إلى جامعة بغداد، كلية الآداب سنة ١٩٧٩م، ص١٠٦،ص ١٠٧.

٣ - صورة الأرض، الصفحات:٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩٥.

٤ - صورة الأرض، ص٢٩٥- ص٢٩٥.

٥ - يشمل هذا الإقليم حالياً الجزء الغربي من ايران.

٦ - صورة الأرض، ص٣٠٤.

٧ - ما هَّي الكوفة والبصرة: سميت نهاوند ماه البصرة والدينور ماه والكوفة وذلك في خلافة معاوية بن أبي سفيان وذلك لأن الأولى من فتوح أهل البصرة والثانية من فتوح أهل الكوفة وخراجها لهم، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٩.

الطبيعي في تقسيمه ، ولم يذكر ابن حوقل التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة في هذا الإقليم[1].

(١٣) الديلم وطبرستان[2]:

ذكر ابن حوقل التقسيمات الإدارية لهذا الإقليم ، وهي خمس نواح: الديلم ، وقزوين وأعظم مدنها الري ، وقومس وأكبر مدنها الدامغان ، وطبرستان وأكبر مدنها آمل ، وجرجان جانبان شرقي وغربي[3].

(١٤) الخزر[4]:

أشار ابن حوقل إلى أن اسم الإقليم الخزر وقصبته(أتل) ، ويمتد هذا الإقليم على غربي وشرقي نهر آتل(الفولغا) الذي يصب في بحر الخزر[5].

(١٥) سجستان[6]:

هي البلاد السهلية حول بحيرة زره ، وفي شرقيها ، وقد ذكر ابن حوقل تقسيماتها الإدارية إلى مدن وهي: زرنج وهي مدينتها العظمى ، وكش ، ونه ، الطاق ، خواش ، فره ، جزه ، بست ، سروان ، الزالقان ، بغنين ، درغش ، درتل ، بشلنك ، فنجواي ، كُهك ، غزنه ، القصر ، سيوى ، اسفنجاي ، ماهكان[7].

---

١ - ذكر المقدسي تقسيماته الإدارية على ثلاث كور سبع نواح والكور هي الري، همذان، أصفهان ، أما النواحي فهي، قم، قاشان، الصيمرة، كرج، ماه الكوفة، ماه البصرة، شهرزور، ينظر: أحسن التقاسيم، ص٣٨٥، وما بعدها.

٢ - ويشمل حالياً المناطق الجبلية المشرفة على سهول بحر الخزر الجنوبية .

٣ - صورة الأرض، ص٣٢٠.

٤ - ويشمل هذا الإقليم حاليا منطقة بحر الخزر أي الأجزاء المحيطة به ولاسيما الشرقية.

٥ - صورة الأرض، ص٣٣٠.

٦ - ويشمل حالياً جزء من أفغانستان.

٧ - صورة الأرض، ص٣٤٩.

(١٦) خراسان[١]:

ذكر ابن حوقل التقسيم الإداري السائد آنذاك لهذا الإقليم ، وهو الكور وإن أعظم كورها: نيسابور ، مرو ، هراة ، بلخ ، وبجانب هذه الكور العظام هناك كور دونها في الكبر منها: قوهستان ، طوس ، نسا ، ابيورد ، سرخس ، اسفزار ، بوسنج ، باذغيس ، كنج رستاق ، مرو الروذ ، جوزجان ، غرج الشار ، الباميان ، طخيرستان ، زم ، امل[٢]. وعلى الرغم من أن ابن حوقل ذكر عند تعداد كور خراسان كلمة(منها) التي قد تدل لغوياً أن قائمته غير كاملة ، إلا أنها قائمة شاملة[٣].

أما كورة الختل فجعلها ضمن بلاد ما وراء النهر لأنها بين نهري وخشاب وفرباب ، وجعل خوارزم ضمن بلاد ما وراء النهر ايضا ، لأن مدينتها العظمى (كات درخاش) وراء النهر ، وهي أقرب إلى بخارا منها إلى مدن خراسان[٤]. ويبدو أن التقسيمات الإدارية التي جاءت عند ابن حوقل قد استمدها من الدواوين ، ويتضح ذلك من قوله: "ولنيسابور كور لا تنفرد عنها لأنها مجموعة إليها في الأعمال وسأذكر كُلّما هو مضاف إلى غيره من أعمال نيسابور وطخيرستان المضافة إلى بلخ والمجموعة إليها ، وهي في الدواوين مفردة ومدنها وبقاعها عنها متميزة منفصلة "[٥].

(١٧) ما وراء النهر[٦]:

---

١ - ويشمل إقليم خراسان حالياً الجزء الشمالي الغربي من أفغانستان والأطراف الشمالية الشرقية من ايران.

٢ - صورة الأرض، ص٣٦١ .

٣ - صالح احمد العلي، تقسيمات خراسان الإدارية في العهود الإسلامية الأولى، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، سنة١٩٧٠، العدد الرابع عشر، ص٢٥.

٤ - صورة الأرض، ص٣٦١.

٥ - المصدر نفسه.

٦ - يذكر لسترنج بأن نهر جيحون يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية، فما كان في شماله، أي ورائه من الأقاليم فقد سماها العرب ما وراء النهر(وهو نهر جيحون) وكذلك سموها(الهيطل)، ينظر: بلدان الخلافة الشرقية ، ص٤٧٦، ويشمل هذا الإقليم حالياً

ذكر ابن حوقل التقسيمات الإدارية لبلاد ما وراء النهر خمسة أقاليم هي: خُوارزم وقصبته الجُرّجانية ، السُغد وقصبته سمرقند ، اشروسنة ومدينتها التي يسكنها الولاة بومجكث ، الشاش قصبته بنكث ، فرغانة ، وقصبته اخشيكث[1].

ويتضح مما سبق أن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن التقسيمات الإدارية للأقاليم جاءت غير متكاملة إذ إنه لم يذكر التقسيمات الإدارية لكل الأقاليم التي وردت في كتابه.

ومما يُلاحظ أيضا أنه على الرغم من دقة واتساع معلوماته عن (مصر ، والمغرب والأندلس) إلا أنه لم يذكر شيئاً عن تقسيماتها الإدارية ، أما التقسيمات الإدارية التي ذكرها عن(بلاد الشام ، والأهواز ، وفارس ، وأرمينية ، وأذربيجان والرآن ، والديلم وطبرستان ، وخراسان ، وما وراء النهر) ففيها شيء من التفصيل والدقة يمكن الركون إليها لمعرفة التقسيمات الإدارية التي كانت سائدة آنذاك.

أما معلوماته عن التقسيمات الإدارية للأقاليم (الجزيرة ، العراق ، كرمان ، الجبال ، سجستان) ، فلم تكن واضحة بحيث يكون من الصعب معرفة تقسيماتها الإدارية آنذاك.

ج- المناصب الإدارية:

ذكر ابن حوقل معلومات عن بعض المناصب الإدارية للأقاليم التي زارها ، تكشف عن بعض النظم الإدارية التي كانت سائدة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، ولو أن معلوماته هذه لا تعطي صورة واضحة ومكتملة الجوانب عن النظم الإدارية آنذاك ، وسنحاول أن نعرض معلوماته بهذا الخصوص:

الأراضي المحيطة بنهري سيحون وجيحون(سرداريا وامواداريا) في تركستان الكبرى، وهي جمهوريات تركستان واوزيكستان وقرغيزية وتاجسكتان.

١ - صورة الأرض، ص٣٩٥، وما بعدها. وجاء هذا التقسيم يختلف مع ما ذكره المقدسي بتقسيم هذا الإقليم إلى ست كور وأربعة نواح فأولها من قبل مطلع الشمس وحد الترك فرغانة ثم ابييجاب ثم الشاش ثم اشروسنة ثم الصغد ثم بخارا، والنواحي هي: ايلاق ونسف والصغانيان، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤٧٦.

(١) الوالي:

تبدو المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن هذا المنصب ، قليلة جداً ، إذ إنه لم يطلعنا على واجبات الوالي وسلطته ، أو أية تفصيلات أخرى ، بل اكتفت إشاراته ، إلى ذكر هذا المنصب في بعض الأقاليم ، كذكره لوالي مدينة(منوف) في إقليم مصر[١] ، وذكره الوالي على مدينة (اجدابية) ، وكذلك والي جزيرة (أوجلة) في إقليم المغرب[٢]. وذكر اسم والي الثغور(احمد بن يعلي) في بلاد الأندلس[٣]. وأشار إلى هذا المنصب أيضا في ناحية الرآن في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن)[٤] ، وفي بلاد ما وراء النهر[٥].

إن هذه الإشارات المبعثرة لا تكشف على وجه التحديد والدقة ما كان عليه هذا المنصب في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

(٢) القاضي:

من المعروف أن لعاصمة كل ولاية وكذلك لكل مدينة مهمة في الولاية قاضيها[٦] ، أما المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن هذا المنصب ، فقد أوردها بشكل إشارات مبعثرة عند وصفه لبعض مدن الأقاليم الإسلامية ، ولا تكشف هذه المعلومات عن أية تفصيلات أخرى ، توضح ما كانت عليه سلطة القاضي وواجباته في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. وقد أشار ابن حوقل إلى هذا المنصب في إقليم مصر بمدينة(محلة المحروم) ، وذكره أيضا في صقلية حيث تولى القضاء فيها (عثمان الخزار) وكان ورعاً وقد ركن إلى قوم منهم في العدالة والشهادة ، ووصف ابن حوقل جلسة للقضاء في صقلية[٧] ، وأشار إلى هذا المنصب أيضاً في بلاد

---

١ - صورة الأرض، ص١٣٣.

٢ - المصدر نفسه، ص٧٠ .

٣ - المصدر نفسه ، ص١١١.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٩٢.

٥ - المصدر نفسه ، ص ٣٨٨.

٦ - صورة الأرض ، ص١٣٣.

٧ - المصدر نفسه ، ص١١٩، ص ١٢٠.

الأنـدلس[1] ، وذكـره أيضـاً في ناحيـة الـرآن ، وأشـار إليـه في إقلـيم السـند بمدينـة (طـوران)[2] ، وفي إقلـيم سجسـتان [3] ، وفي إقلـيم خراسـان[4] ، وفي بـلاد مـا وراء النهر[5].

(٣) العامل[6]:

يتضح من خلال ما ذكره ابن حوقل عن هذا المنصب أن واجباته اقتصرت على استيفاء الموارد المالية ، مثال ذلك مـا ذكـره عـن مدينـة الحديثة في(إقليم الجزيـرة) إذ يقول: "ولها عامل بذاته على استيفاء أموالهـا" [7] ، وقد يـتم تعين العامـل مـن قبـل السلطان ، أو الوالي ، كما هو الحال في مدينة سفاقس في (إقليم المغرب): "ولها عامل عليهـا السـلطان" [8] ، أو ربما يكـون مسـتقلاً بذاتـه ، كمـا هـو الحـال في مدينـة قـابس في(إقليم المغرب) فيقول: "ولها عامل بنفسه"[9]. أو ما ذكره عن عامل مدينة(سـنهور) في إقليم مصر ، "ولها عامل كبير بنفسه"[10].

وقد كان للعامل قوة مـن الجنـد ، تساعده على تأدية واجباتـه ، ويتضـح ذلـك عنـدما ذكـر عامـل مدينـة(ترنـوط)في إقلـيم مصـر بقولـه:"ولهـا عامـل بعسـكر ذي عـدة وغـلات واسعة"[11].

---

١ - المصدر نفسه ، ص١١١.
٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٢.
٣ - صورة الأرض ، ص٣٥٦.
٤ - المصدر نفسه ، ص٣٦١.
٥ - المصدر نفسه ، ص٣٨٨.
٦ - العامل: هو الذي ينظم الحسابات ويكتبها، وقد كان هذا اللقب في الأصل يقع على الأمير المتولي العمل ثم نقله العرف إلى هذا الكاتب، ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٤٦، والعمال هم جباة الضرائب عندما انفصلت الأمور المالية عن الإدارية في العصر الأموي.
٧ - صورة الأرض، ص١٩٨.
٨ - المصدر نفسه ، ص٧٣.
٩ - المصدر نفسه، ص٧٢.
١٠ - المصدر نفسه ، ص١٣١.
١١ - المصدر نفسه ، ص١٣٢.

(٤) صاحب المعونة[١]:

يرتبط هذا المنصب إدارياً بصاحب الشرطة ، وأهميته تبرز في مساعدة الوالي لقمع الاضطرابات والفتن التي تحدث في المنطقة[٢] ، وأشار ابن حوقل إلى واجباته باقتضاب من خلال ما ذكره عن صاحب المعونة بمدينة سر من رأى بقوله: "وصاحب المعونة يصرفهم في أمورهم"[٣] ، وترد إشارة إلى هذا المنصب في إقليم المغرب بمدينة (بنزرت) وإقليم(سطفوره)[٤] ، وكذلك في إقليم مصر بمدن (محلة مسروق ومحلة ابن خراشة)[٥] ، وفي إقليم سجستان[٦] ، وفي إقليم خراسان حيث كان لكل عمل من أعماله صاحب معونة [٧] ، أما في بلاد ما وراء النهر فإن مكان تواجده في كل ناحية. وتبدو أهمية مركزه الإداري واضحة من خلال مقدار ما كان يتقاضاه من راتب ، بحيث كان مساوياً لما كان يتقاضاه القاضي وصاحب البريد[٨].

(٥) صاحب الصلاة:

يشير ابن حوقل إلى واجبات صاحب الصلاة عندما ذكر هذا المنصب في مدينة سرت في(إقليم المغرب) بقوله: "والمتلي صدقاتهم وجباياتهم وخراجاتهم وما يجب على القوافل المجتازة بهم صاحب صلاتهم ، وإليه جميع مجاري أمر البلد والنظر فيه

---

١ - صاحب المعونة: يسمى أيضاً عامل المعونة، أو والي المعونة، أو ناظر المعونة جمعها المعاون وهو على ما قال الحريري في مقاماته المرتب لتقويم أمور العامة فكأنه معين للمظلوم على الظالم، يعني الوالي، أي والي الجنايات، والمعونة ما يظهر من قبل العوام تخلصاً لهم من المحن والبلايا، انظر: ميخائيل عواد، صورة مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، ط٢، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الشؤون الثقافية(العراق: ١٩٨٦م)، حاشية(٥)، ص٨٥.

٢ - قحطان الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٣٢٢.

٣ - صورة الأرض، ص٢١٨.

٤ - المصدر نفسه ، ص٧٥.

٥ - صورة الأرض ، ص١٣٤.

٦ - المصدر نفسه ، ص٣٥٦.

٧ - المصدر نفسه ، ص٣٦٥، ص ٣٦١.

٨ - المصدر نفسه ، ص٣٨٩.

وفيما ورد إليه وصدر في استيفاء ضرائبه ولوازمه واعتبار السجلات والمناشير بموجب ما على الأمتعة وتصفحها خوف الحيلة...."[1] ويتضح من ذلك أن واجباته لا تقتصر على الشؤون المالية ، من جباية للموارد المالية وتدقيق سجلاتها فحسب ، وإنما تمتد إلى النظر في جميع أمور البلد ، وترد إشارة إلى هذا المنصب أيضاً في قرية(مرسى الخرز) في إقليم المغرب ، ويسميه ابن حوقل ناظر يلي صلاتها[2]. وكذلك أشار إليه في مدينة (باغاي) في الإقليم نفسه[3]. ويبدو أن هذا المنصب لا يقتصر على إقليم المغرب ، بل ذكره أيضاً في إقليم خراسان ، إذ شغل هذا المنصب من قبل (أبي علي أحمد بن المظفر بن محتاج)[4] ، صاحب جيش (نوح بن نصر بن احمد) ، وكان على المعونة والصلاة لجميع خراسان[5].

(٦) صاحب السكة :

على الرغم من إشارات ابن حوقل عن دور سك النقود في بعض الأقاليم الإسلامية ، إلا أنه ذكر منصب صاحب السكة في بلاد الأندلس فقط ، إذ كان يشغل من قبل (أبي عامر بن عامر) [6]ويبدو أنه يتولى مسؤولية الأشراف على دار سك العملة فيه.

---

١ - المصدر نفسه، ص٧٠ – ص ٧١.

٢ - المصدر نفسه ، ص٧٦.

٣ - المصدر نفسه ، ص٨٤.

٤ - احمد، أبو علي بن أبي بكر محمد بن المظفر بن محتاج من أسرة الأمراء الصغانية، استعمل عام(٣٢٧هـ/ ٩٣٩م) على خراسان مكان أبيه، واستولى على جرجان والري وعلى بلد الجبل...= =وعزل عن الولاية سنة (٣٣١هـ/ ٩٤٣م) وعاد مرة أخرى سنة(٣٤٠هـ/ ٩٥٢م) وتوفي في آخر رجب عام ٣٤٤هـ/ تشرين الثاني ٩٥٥م)، ينظر: محمد بن عبد الملك الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، المنشور ضمن ذيول تاريخ الطبري، ط٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، مصر، مجلد ١١، ص٣٢٤ وما بعدها، وينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٤٤٣ وما بعدها.

٥ - صورة الأرض، ص٤٢٤.

٦ - صورة الأرض ، ص١٠٨.

(٧) صاحب البريد:

كان صاحب البريد ذا سلطة واسعة ، فبجانب الأشراف على بريد المدينة كان من حقه كتابة التقارير عن أحوال الإقليم عامة[١] ، لذا سمي بصاحب خبر وبريد ، وقد ذكر ابن حوقل هذا المنصب في إقليم(سجستان) إذ يوجد(صاحب خبر وبريد) في كل ناحية من نواحيه[٢]. وقد كان أصحاب البريد في المدينة مرتبطين بصاحب البريد في الناحية ، حيث يزودوه بالتقارير والأخبار[٣] ، وذكر هذا المنصب في كور ومدن إقليم(خراسان) ، وقد كانت رواتبهم متساوية مع بقية عمال الدولة السامانية. ولكنها تختلف من مدينة إلى أخرى ، وهذا ما تشير إليه قائمة أرزاق أصحاب البريد بكور هذا الإقليم[٤]. وأشار ابن حوقل إلى صاحب بريد(نيسابور) ، وكان آنذاك(أبو منصور البغوي) وكان ميسور الحال ، بما يملكه من الضياع والكراع وكان أكثرهم كتابة ، واحسنهم أنشاءً ، ويتكلم اللغة العربية ، فضلاً عن اللغة المحلية ، وكانت له علاقة وثيقة مع صاحب البريد في العاصمة(بخارا)[٥]. ويتضح من ذلك أن في إقليم خراسان أيام الدولة السامانية ، صاحب بريد في العاصمة ، يشرف على أصحاب البريد في الكور ، وهؤلاء يشرفون على أصحاب البريد في المدن التابعة لكورهم.

ويتحدث ابن حوقل عن منصب المخلفين على رفع الأخبار في بلاد الأندلس ، ويقال لأحدهم مخل[٦] ، ويعتقد أنهم كانوا يمثلون بما يشبه جهاز الأمن أو الاستخبارات الذي تعتمده الدولة ، وربما كان ارتباط المخلف بالخليفة مباشرة ، لتزويده بتقارير عن الأوضاع في المنطقة التي يعمل فيها. وهذا الأمر شبيه بما كان يجري في الدولة العباسية في المشرق ، إذ كان صاحب الخبر يرتبط مباشرة بالخليفة ، ومنصبه

---

١ - مولوى س٠أ٠ق حسيني، الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم احمد العدوي، مكتبة الآداب، (القاهرة: ١٩٤٩م)، ص٣٠٠.

٢ - صورة الأرض، ص٣٦١.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٦١.

٤ - صورة الأرض ، ص٣٨٩.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٦٩.

٦ - المصدر نفسه ، ١١١.

مستقل عن منصب صاحب الشرطة[1].

(٨) صاحب الجيش:

تبدو إشارات ابن حوقل إلى هذا المنصب مقتضبة واقتصرت على بعض الأقاليم ، إذ ذكر هذا المنصب في إقليم المغرب ، فقد شغل من قبل(ميسور الخادم)[2]. وقد ذكر هذا المنصب في إقليم الأندلس وشغله(غالب بن عبد الرحمن)[3]. وفي إقليم خراسان شغل من قبل(أبي علي بن محمد بن المظفر بن محتاج)[4].

(٩) البندار:

وتقتصر إشارة ابن حوقل إلى هذا المنصب على الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية ، ومهمته ربما تقابل ما يقوم به العامل في أقاليم المغرب ، إذ يقتصر واجبه على المطالبة بالخراج والأموال الواجبة للسلطان ، فقد ذكر ابن حوقل هذا المنصب في إقليم سجستان[5] ، وكذلك في إقليم فارس ، إذ إن هذا المنصب شغل من قبل(الحسن بن المرزبان) ، فقد كان بنداراً لـ(محمد بن واصل) ، ومن بعده(يعقوب بن الليث الصفار)[6] ، وفي إقليم كرمان ذكر ابن حوقل(البنادرة) ، حيث كانوا أحد مصادر معلوماته عن جباية أموال هذا الإقليم[7]. وقد تجمع البندرة والأمارة والقضاء بيد رجل واحد كما حصل في مدينة طوران(قصبة وادي طوران) في إقليم السند ، حيث جعلت إلى(أبي القاسم البصري)[8]. وقد كان منصب البندار أحد المناصب الإدارية في الدولة

---

١ - عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض، ص٥٩، وانظر: للمؤلف نفسه، مقال(جهاز الأمن والشرطة السرية في العصر العباسي)، مجلة الشرطة، العدد٣، بغداد: ١٩٧٥م، ص٥٦- ص ٦٠.

٢ - صورة الأرض، ص١١٤.

٣ - المصدر نفسه، ص١١٢.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٩٤.

٥ - صورة الأرض ، ص٣٥٦.

٦ - المصدر نفسه ، ص٢٥٦- ص٢٥٧.

٧ - المصدر نفسه ، ص٢٧٣.

٨ - المصدر نفسه ، ص٢٨٠.

السامانية (خراسان وما وراء النهر) ، ويكون مقره في كل ناحية من نواحي خراسان ويكون مسؤولاً أمام العامل على جباية الأموال من البنادرة ، الذي مقره قصبة الكورة[1].

(١٠) السلطان:

من الواضح أن كلمة(السلطان) عامة غير محددة ، فهي تعني صاحب السلطة أطلاقاً ، علماً أن السلطة كانت تمارسها عدة جهات ، منها الخليفة ، الوزير ، والوالي ، والقاضي ، وصاحب الشرطة ، والعامل على السوق والمحتسب. ويبدو أن هذا التعبّير العام ، يرجع إلى تداخل سلطات العمال ، وعدم استقرار اختصاصات هذه الوظائف أو تبلور قواعدها ، التي تحدد عمل كل منهما[2] ، فقد ذكر ابن حوقل هذا المنصب في(القيروان) ، لكونها أعظم مدينة بالمغرب ، وهي مقر الدواوين لجميع المغرب ، وإليها تجبى أموالها[3] ، وربما قصد بهذا التعبير-صاحب المغرب- أي حاكمها ، وكذلك الحال في صقلية ، إذ سلطانها يسكن مدينتها الرئيسة وبها جيش للسلطان[4] ، وترد إشارة إلى هذا المنصب في إقليم فارس[5] ، وإقليم كرمان[6]. وبجانب ما ذكره ابن حوقل عن وجود هذا المنصب في الأقاليم الرئيسة فقد ورد ذكره في بعض مدن مصر وهي: (قليب العمال ، فرنوة ، محلة المحروم)[7] ، إن هذه الإشارات المبسترة لا تكشف صلاحيات ومسؤوليات من شغل هذا المنصب.

(١١) المناصب الأخرى:

من المناصب الإدارية التي ورد ذكرها عند ابن حوقل منصب الملك ، فيذكر أن للبربر في(إقليم المغرب) ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم

---

١ - المصدر نفسه ، ص٣٦١، ص ٣٨٩.

٢ - صالح العلي، إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى، ص٣٢١.

٣ - صورة الأرض، ص٩٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٥٣.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢٥٣.

٦ - المصدر نفسه ، ص٢٦٩.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٣٣، ١٣٤.

ولا يخالفونهم مثل ملك صنهاجة ، وملك أودغست[1]. ويبدو أن ابن حوقل يقصد في إشارته تلك إلى أن هذا المنصب يمثل السلطة الأولى في هذه القبائل. وترد الإشارة إلى هذا المنصب أيضاً في(إقليم الخزر) ، فقد كان ملكها يملك من الحاشية أربعة آلاف وله حكام من أديان مختلفة ، وإذا عرض للخاصة والعامة أمر حكم فيه هؤلاء الحكام ، ولا يصل أهل الحوائج إلى الملك نفسه ، وإنما يصل إلى هؤلاء فيخاطبون في الحوائج وفيما يعرض ، وبين هؤلاء الحكام وبين الملك سفيراً يراسلونه فيما يجري ويطلعونه على ما يكون منهم ، فيرد عليهم أمره عند ذلك بما يعملون عليه[2]. ويشير ابن حوقل إلى منصب الملك أيضاً في بلاد الروم[3] ، وفي إقليم السند[4].

ومن المناصب التي ذكرها ابن حوقل خاقان الخزر ، ويبدو من كلام ابن حوقل أن هذا المنصب أجل من الملك حيث أشار إلى أن الخاقان هو الذي ينصب الملك في هذا الإقليم ، بعد موت ملكهم. والخاقانية محصورة في أهل بيت معروفين ، وفيهم المؤسر والمعسر فإذا بلغته الخاقانية عقد له ولا ينظر إلى حاله ، وكان هذا الخاقان يحظى بالاحترام والقدسية من قبل سكان الخزر حتى أنه لا يتدخل في الأمور ، إلا أن الجميع يسجد له حتى الملك إذا دخل عليه ، ومن عاداتهم السائدة ، أن لا يدخل إلى الخاقان إلا أصحاب الحاجة ، وإذا دخل تمرغ له في التراب ، وسجد وقام من بعد ، حتى يأذن له بالقعود ، وإذا حزبهم أمراً عظيم أو حرب ، فعند خروجه لا يراه أحد من الأتراك ولا من غيرهم ممن يعاقبهم من أصناف الكفر إلا انصرف له ، ولم يقاتله تعظيماً له ، وإذا مات الخاقان ودفن لم يمر بقبره أحد إلا ترجل له ، وسجد ولا يركب ما لم يغب عن قبره[5].

ومن المناصب الإدارية التي ذكرها ابن حوقل منصب الحاكم ، ولكن إشارته

---

١ - المصدر نفسه، ص٩٧، ص ٩٨ .

٢ - المصدر نفسه، ص٣٣١.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٧٨.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٠٧، إذ أشار إلى أن ناحية(كنباية) يدع ملكهم باسمهم.

٥ - صورة الأرض، ص٣٣٤– ص٣٣٥.

مقتضبة لا تكشف عن واجباته وسلطته ، وترد الإشارة إليه في إقليم(مصر) ، في مدن (قليب العمال ، وصا ، وفرنوه ، ومحلة مسروق ، ومحلة أبي خراشه ، وفي ضياع دياس ، وسنديون)[1] ، وترد الإشارة إليه في إقليم العراق ، في مدينة سر من رأى[2].

ومن المناصب الإدارية التي جاء ذكرها عند ابن حوقل عامل الماء ، فقد أشار إليه في مدينة شبرلنه في(إقليم مصر) ومسؤوليته تقتصر على قسمة الماء في هذه المدينة[3] ، وذكره أيضاً في مدينة مرو في(إقليم خراسان) إذ سماه متولي الماء ، مسؤوليته الأشراف على مقاسم الماء في هذه المدينة. وهذا المنصب أجل من منصب والي المعونة في هذه المدينة[4].

ومن المناصب الإدارية التي ذكرها منصب الناظر[5] ، وأشار إليه في حديثه عن مدينة سر من رأى[6] ، إلا أنه لم يذكر معلومات عن واجباته وسلطاته.

وذكر ابن حوقل منصب الأمير ، عند أشارته إلى أمير الملتان في إقليم السند[7] ، وكذلك أشار إليه في ناحية الرآن في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن)[8].

ومن المناصب الإدارية التي جاءت الإشارة إليها مقتضبة أيضاً عند ابن حوقل منصب الشحنة[9]. فقد ذكر هذا المنصب في إقليم مصر[1] ، وذكر شحنة دار الخلافة من

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٣٤- ص١٣٥.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٣ - المصدر نفسه، ص١٣١.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٦٥.

٥ - الناظر: وهو من ينظر في الأموال وينفذ تصرفاتها ويرفع إليه حسابها لينظر فيه ويتأملها وهو مأخوذ أما من النظر الذي هو رُأى العين: لأنه يدير نظره في أمورها ينظر فيه، وأما من النظر الذي هو بمعنى الفكر: لأنه يفكر فيما فيه المصلحة من ذلك، ثم هو يختلف باختلاف ما يضاف إليه هناك(ناظر الجيش)، و(الناظر الخاص) ... و(ناظر الناظر) و(ناظر المملكة)، ينظر: القلقشندى، صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٥.

٦ - صورة الأرض، ص٢١٨.

٧ - المصدر نفسه، ص ٢٧٨.

٨ - صورة الأرض، ص٢٩٢.

٩ - الشحنة: بكسر السين ولا تفتح، وهو اسم للرابطة من الخيل في البلد لضبط أهله في أولياء السلطان، وهي كلمة عربية واشتقاقها: شحنت البلد بالخيل إذ ملأته بها، ينظر: أبو منصور

الأتراك[2].

وهناك مناصب إدارية أخرى كما ذكر ابن حوقل[3] وهي: صاحب ديوان المغرب ، وصاحب بيت مال أهل المغرب ، ومنصب صاحب الخراج[4] ، بأفريقية وجميع المغرب. وكان يشغله خلال زيارة ابن حوقل لهذا الإقليم عام (٣٦٠هـ/ ٩٧٠م) ، (زيادة الله أبي نصر بن عبد الله بن القديم) ، ولا يذكر ابن حوقل شيئاً عن واجبات تلك المناصب.

ومما يجدر ذكره أن هناك مناصباً إدارية في أقاليم الدولة الإسلامية أغفل ابن حوقل ذكرها كمنصب الكاتب ، ومنصب المحتسب.

أما عن المناصب الإدارية في بلاد الروم ، فضلاً عما ذكره عن منصب الملك التي سبقت الإشارة إليه ، ذكر اللغثيط ، وهو الوزير ، والفرخ من بعده ، وللفرخ من المنزلة أنه يلبس خفين أحدهما أحمر والآخر أسود ، ولا يتزين غيره بهذا الزي ، ومنحه الملك صلاحيات(الحكم والقطع والقود والأدب) ، وبعدها يأتي الدمستق ، ومن بعده البطارقة وهم اثنا عشر رجلاً ، لا ينقصون ولا يزيدون ، وإن هلك أحدهم قام مقامه من يصلح للبطرقة. ثم يلي ذلك الزراورة وهم كثرة لا يحصون ثم الطرا مخة وهم التُناءُ وأرباب النعم من أهل القسطنطينية ، ومنهم يكون الارتفاع إلى الزرورة والبطرقة[5].

ثانياً: الجوانب الاجتماعية:

آ- السكان وعاداتهم:

الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي، تحقيق أحمد محمد شاكر،(القاهرة: ١٣٦١هـ)، ص٤٨.

١ - صورة الأرض، ص١٣٣.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٨٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٩٤، وعن ديوان المغرب ينظر: حسام السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧- ٣٣٤هـ/ ٨٦١- ٩٦١م ، دمشق: ١٩٧١م، ص٢٠٠- ص٢٠١.

٤ - صاحب الخراج: وهو الأمين المالي للولاية، وكان يتولى جمع وتوزيع كل دخل للولاية انظر: حسيني، الإدارة العربية، ص٢٠٨.

٥ - صورة الأرض، ص١٧٨.

إن من جملة ما اهتم به ابن حوقل ذكر سكان الأقاليم ، وتدوين رسومهم وعاداتهم ، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره ، أن الجوانب الاجتماعية قد احتلت جانباً من وصفه لمدن وسكان أقاليم الدولة الإسلامية. فقد سجل ما كان عليه أهل (العراق) ، بذكره أن هذا الإقليم أعظم أقاليم الأرض ، وأجملها أهلاً ، وأهله فأوفرهم عقولاً وأوسعهم حلوماً وأفسحهم فطنة في سالف الزمان والأمم الخالية وبمثله تجري أمور أمة الآخرة يقر بذلك لهم أهل الطاعة والفضائل[١].

أما أقاليم الجزيرة ، فوصفها بأنها: "معدن الأبطال وعنصر الرجال ..."[٢].

وعن أهالي الشام ، فذكر ما يمتاز به أهل مدينة (دمشق) من حسن الأخلاق ، وغلظ الطباع ، وفيهم إذا دعي إلى الخير أجاب وأصغى[٣].

أما أهل المغرب ، فذكر ما اتصف به أهالي مدينة (طرابلس) فهم يتميزون بالتجمل في اللباس وحسن الصورة ، والقصد في المعاش ، وطاعة السلطان ، ومحبة للغريب وحبهم للخير وذكر مثال على ذلك: "إذا وردت المراكب ميناءهم عرضت لهم دائماً الريح البحرية فيشتد الموج لانكشافه ويصعب الإرساء ، فيبادر أهل البلد بقواربهم ومراسيهم وحبالهم متطوعين ، فيقيد المركب ويرسى به في أسرع وقت بغير كُلفة لأحد ولا غرامة حبة ولا جزاء بثقال"[٤]. ويصف أهالي مدينة (البصرة) في هذا الإقليم بحبهم للعلم[٥] ، وأهل مدينة(سجلجمانة) بأنهم أصحاب مروءة وسماحة ورجاحة[٦] ، ويصف قبائل البربر بين أودغست وسلجاسة ، أنهم يمتازون بالجلد ، والفتوة ، والبسالة ، والجرأة ، والفروسية ، والخفة في الجري ، والمعرفة بأوضاع البر

---

١ - المصدر نفسه، ص٢١٠.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٠.

٣ - صورة الأرض ، ص١٦٢.

٤ - المصدر نفسه، ص٧٢.

٥ - المصدر نفسه ، ص٨١.

٦ - المصدر نفسه ، ص٩٠.

وأشكال الهداية فيه[1].

أما أهالي الأندلس ، فبجانب حديث ابن حوقل عن ازدهار الحياة الاقتصادية في هذا البلد ، إلا أنه يحاول أن يقدم صورة سلبية عن شجاعة أهل الأندلس ، إذ إنه تهجم على نظامهم الحربي والإداري ، وصب جام غضبه على أهاليها ، فوصفهم بقوله: "صغر أحلام أهلها وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعدهم من اليأس والشجاعة والفروسية ولقاء الرجال"[2] ، أما عن همتهم في القتال فيقول: "وليس لجيوشهم حلاوة في العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها ، وإن شجعت انفسهم ومرنوا بالقتال فإن أكثر حروبهم تتصرّف على الكيد والحيلة ...."[3] ويتضح مما سبق ، أن ابن حوقل كان قاسياً في حكمه على أهل الأندلس أو تبدو المبالغة واضحة عندما نعتهم بالجبن وصغر الأحلام ونقص العقول ...الخ ، ولم تكن تلك المعلومات التي ذكرها عن هذا البلد على درجة من الدقة ، فمثلاً ما ذكره ابن حوقل عن عدد الفرسان المسجلين في قوائم الدولة في عهد عبد الرحمن بن محمد ، وفي عهد من سبقه من آله وأبنائه يتناقض مع ما ذكره بعض مؤرخي الأندلس(ابن حيان وابن الخطيب)[4].

أما وصف ابن حوقل لسكان صقلية ، فيبدو أكثر قسوة مما ذكره عن أهل الأندلس ، فقد نعتهم بقلة المروءة ، وشهادة الزور ، وقلة الفطنة ، وحدة الجهل ، وسرعة البطش ، وموت اليقظة ، وبراعة اللؤم ، ويمتد هذا النقد إلى شريحة المعلمين في هذه الجزيرة ، فوصفهم بالحماقة والنقص والجهل ، حتى أنه عزى سبب كثرتهم لكي يفروا من الجهاد ، إذ هناك رسم قديم يقضي بإعفاء المعلمين من هذه الفريضة ، على الرغم من أن بلدهم ثغر مواجه لدولة الروم [5]. ولم يقتصر الأمر على أهل بلرم

---

١ - المصدر نفسه ، ص٩٨.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٠٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٠٨.

٤ - عبد الواحد ذنون، الأندلس من خلال صورة الأرض، ص٥١.

٥ - صورة الأرض، ص١٢٠.

حاضرة (صقلية) ومعلميها ، بل وجه نقده الشديد إلى أهل بواديها ، إذ تغلب عليهم بهيمية غامرة لإلبابهم ، وغفلة عن الحقوق والمواجب ظاهرة في معاملاتهم ، وقول من الحق بعيد ، لا يألفون ولا يؤلفون ، وهم في كرههم للغرباء يشبهون أهل بلرم حاضرتهم ، فقد طبع أهلها على بغض التجار والغرباء المجهزين ، علماً أن مصالحهم تقوم على هؤلاء التجار ، لأن صقلية لم تختص بوجه من فضائل البلدان غير القمح والصوف والشعر والخمر وصبابة من القند[1]. ويمتد نقد ابن حوقل إلى أغذيتهم السيئة ، وإكثارهم من أكل البصل ، الذي يفسد الدماغ ، ويتلف الأبدان ، ويذهب الأنفس[2]. ووصف أيضاً قذارة مساكنهم بقوله : "وليس يشبه وسخهم في دورهم وسخ أقذر اليهود ولا ظلمة منازلهم وسوادها سواد الأتانين والأفران ، وأجلَّهم منزلةً يسرح الدجاجُ على مقعده وتذرق الطيور على مصلاَّه و مخدَّته"[3]. ومهما يكن من أمر فليس من الضروري أن نصدق ابن حوقل في كل ما يقول ، لأنه كره صقلية ، إذ إنه غريب ، لم يجد التقدير الذي يتطلع إليه غريب مثله. وهو عندئذٍ ذو حساسية ، لاسيما بما يلقى من معاملة ، وإذا صح أن الصقليين كانوا يكرهون الغرباء ، فإن من السهل أن نعلل تحامل ابن حوقل على صقلية. وتدل رحلته على أنه لم يختلط إلا بطبقات معينة ، وأنه كان يألف الغرباء ، ويطمئن عليهم ، أكثر من أهل صقلية ، وفي هذه الحقبة يُلاحظ أنه ذم أهل البوادي التابعة لبلرم ولكن يا ترى هل زارها؟ وإن كان قد زارها فأين الوصف الدقيق الذي سجلته عينه النفاذة وجرأته النفسية [4]. ومن مستغرب ما ذكره ابن حوقل عن أهل صقلية كرههم للغريب وهو شيء شاذ في بيئة تجارية تعتمد على الغرباء ، ولعل هذا الكره ، نشأ في نفوسهم أو لا نحو المهاجرين ، ثم عُمم حتى شمل كل الغرباء المقيم منهم والعابر ، واصبحوا يظنون أن كل غريب

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٢٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص١١٨.

٣ - صورة الأرض ، ص١٢٤- ص ١٢٥.

٤ - إحسان عباس، العرب في صقلية، ط٢، دار الثقافة، (بيروت: ١٩٧٥م) ص٧٦- ص ٧٧ .

فإنما جاء ينافسهم في بلدهم ويستولي على أرزاقهم [1]. ومهما يكن من أمر ، فإن ما سجله ابن حوقل عن المجتمع الصقلي ، إنما يمثل ما شاهده في مدة معينة ، مما قد لا ينطبق على صقلية من بعده ، لأن المدة التي زارها فيها كانت صقلية قد تحولت من الخصب إلى الجدب ، كما لا نستطيع أن ننكر أن أهل البلاد الأصليين الذين كان يعنيهم ابن حوقل بالتسمية الصقلية ، كان أغلبهم من الموالي والعبيد [2].

أما وصفه لأهالي خوزستان ، فالغالب على خلقهم ، صفرة اللون ، والنحافة وخفة اللحى ، والضخامة ، ووفرة الشعر فيهم أقل مما في غيرهم من المدن [3]. أما أهالي(بلاد فارس) ، فالغالب على خلقهم النحافة ، وخفة الشعر ، وسمرة الألوان ، وأهل الصرود(المناطق الباردة) في هذا الإقليم ، أضخم أبداناً ، وأكثر شعوراً ، وأشد بياضاً[4] ، وتحدث عن بعض العادات الدينية في هذا الإقليم ، فذكر أن المرأة من دين المجوس ، إذا زنت في حملها ، أو حيضها ، لم تُطهر ، إلا بعد أن تأتي إلى أحد بيوت نيران الفرس فتتعرى لبعض الهرابذة [5] ، ليطهرها ببول البقرة ، أما عن عاداتهم الأخرى فيقول: "والغالب على أخلاق ملوكهم وخدمهم و الثناء منهم والمخالطين للسلطان من عمال الدواوين وغيرهم والداخلين عليهم استعمال المروءة في أحوالهم ، وإقامة الوظائف والمطابخ وتحسين الموائد بالمطاعم وكثرة الطعام"[6].

أما إقليم(كرمان) فالغالب على أهلها نحافة الجسم ، والسمرة لغلبة الحر ، وذكر ما يمتاز به أهل جبال البارز ، بأنهم أهل سلامة ، لا يرون أذية أحد ، ويغلب على أهالي ناحية(ده بارست) اللصوصية[7].

---

١ - المرجع نفسه ص٧٧- ص ٧٨.

٢ - المرجع نفسه، ٧٨.

٣ - صورة الأرض، ص٢٩٩.

٤ - صورة الأرض، ص٢٤٢.

٥ - الهرابذة: وهم خدم النار. ينظر: الجواليقي، المعرب، ص٣٥١.

٦ - صورة الأرض، ص٢٥٤.

٧ - المصدر نفسه ، ص٢٧٠.

أما سكان إقليم (الجبال) ، فوصف أهالي مدينتي(همذان والدينور) بأنهم أهل أدب ، وفضل ، ومروءة [١] ومدينة(قزوين) بيسار أهلها ، وتمكنهم من الأدب ، ونفوذهم في العلم ، وتعلق أهلها بجمع وجوهه. وهم أصحاب مروءة وسيادة ، وكرم ، وعلو النفس والهمم[٢]. ووصف ابن حوقل رسوم الاحتفال بأعياد النيروز في هذا الإقليم ، حيث هناك سوق يسمى(سوق كرينية) ، يجتمع فيه الناس احتفالاً بهذا العيد سبعة أيام. للشرب والعزف وأنواع الملاذ وغرائب الزينة ، ويتأنق الحاضرون استعداداً لمآكلهم ومشاربهم ، ويدخر أهل البلد ومن قصدوا من الأماكن البعيدة ، وأطراف النواحي النفقات الواسعة والزينة الرائعة والملابس الحسنة والاحتفال واللعب والطرب ، فيعتكفون على لذاتهم ويتبارون في مجالسهم بحذاق المسمعين والمسمعات على شاطئ الوادي ، وفي القصور قد ركبوا السطوح وغصوا الأسواق بنهاية الاحتفال في المآكل والمشارب ، وكان احتفالهم متصل ليلاً ونهاراً ، وكان سلاطينهم يقدمون التسهيلات ولا يعارضون ذلك ، ويقال أن نفقاتهم في هذا السوق تبلغ مائتي الف درهم [٣].

ووصف ابن حوقل سكان(الديلم) ، فالغالب على خلقهم النحافة ، وخفة الشعر والعجلة والطيش ، وقلة اللامبالاة ، والاكتراث[٤] ، ووصف أهل مدينة(الري) أنهم أصحاب مروءة ، وأهل دهاء ، وفيهم تجارب[٥] وأهالي مدينة (خوار) فهم أصحاب مروءة ، وسر ، وعلم ، وديانات[٦]. وأهل مدينة (زنجان). فتغلب عليهم الغفلة ، والخبال موجود فيهم[٧] ، ويغلب على أهل(طبرستان) وفرة الشعر واقتران الحواجب ، وسرعة

---

١ - المصدر نفسه ، ص٣٠٨- ص ٣٠٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٠٨.

٣ - صورة الأرض، ص٣١٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٢٠.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٢١.

٦ - المصدر نفسه، ص٣٢٢.

٧ - المصدر نفسه، ص٢٢٣.

الكلام ، والعجلة ، والطيش[1] ، وعن أهالي(جرجان) ذكر أنهم أهل مروءة يتبارون فيها فيها [2].

وتحدث ابن حوقل عن عادات إقليم(الخزر) ، فذكر أهالي مدينة أرثا(مدينة للروس) ، أنهم يقتلون الغرباء الذين يطئون أرضهم ، وأنهم ينحدرون في الماء للتجارة ولا يخبرون بأي شيء من أمرهم ومتاجرهم ، ولا يتركون أحداً يصحبهم ولا يدخل بلادهم ، ومن عادات الروس أيضاً ، أنهم يحرقون موتاهم ، أما ذوي اليسار منهم فإن جواريهم تحرق معهم بطيبة أنفسهن ، كما يفعل أهالي الهند ، وغانة ، وكوغة (في إقليم السند) وغيرهم. ومن عاداتهم أيضاً أنهم يحلقون لحاهم ، وبعضهم يَفتِلها ، مثل أعراف الدواب ويضفرها[3]. ومن عاداتهم الدينية أن أهل الخزر من الوثنيين ، يجيزون بيع أولادهم ، واسترقاق بعضهم لبعض ، أما اليهود والنصارى منهم فيحرمون ذلك[4].

أما أهالي(سجستان) فوصفهم بأنهم أهل مروءة ويسار[5]. أما إقليم (خراسان) ، فقد نعت أهالي مدينة (بنجهير) ، أنه يغلب عليهم العبث والفساد[6]. أما أهالي بلاد (ما وراء النهر) فعندهم رغبة في الخير واستجابة لمن دعاهم إليه ، وسماحة بما ملكت أيديهم مع شدة شوكة ومنعة وبأس ونجدة وعدة وبسالة ، وسلاح وعلم وصلاح. فذكر سماحتهم وان اكثر الناس في (ما وراء النهر) ، كأنهم في دار واحدة ، وإن صاحب الضيعة يتوق إلى اقتناء قصر فسيح ومنزل للأضياف رحب. وأكثر ابن حوقل في وصفه سماحة أهل ما وراء النهر ، وربما بالغ أحيانا ، عندما ذكر أن أهل الناحية إذ دخلهم ضيفا يتنافسون فيه وتنازعوه ، وكذلك في وصفه لما شاهد من آثار منزل بالسغد معروف أنه قد ضربت الأوتاد على باب داره ، حتى إن بابها مكث لم يغلق

---

١ - المصدر نفسه.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٢٤.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٣٦.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٣٤.

٥ - صورة الأرض، ص٣٥٣.

٦ - المصدر نفسه، ص٣٧٥.

زيادة على مائة سنة لا يمتنع من نزولها طارق ، وربما نـزل بـه لـيلاً عن بغتـة مـن غـير استعداد المائـة والمائتين أو أكثـر مـن النـاس بـدوابهم وحشـمهم ، فيجـدون مـن علـف دوابهم وطعامهم وآثارهم ما يغنيهم عن استعمال رحالهم من غير أن يتكلف صـاحب المنزل أمرا بذلك أو يتجشم عناء لدوام ذلك منهم ومنه قد أقيم على كل عمـل مـن يستقل به وأعد ما يحتاج إليه على دوام الأوقات مما لا يحتاج معه إلى تجديد أمـر عنـد طروقهم إياه[1] ، وتحدث عـن مـا ينفـق مـن أمـوالهم خدمـة للمصـلحة العامـة ، حيـث كان أغلب الأثرياء ينفقون من ثرواتهم علـى الرباطـات وعمـارة الطـرق والوقـوف علـى سبل الجهاد ووجوه الخير وعقـد القنـاطر[2] ، أمـا بأسـهم وشـوكتهم فقـد وصـفها ابـن حوقـل بقولـه: "أنـه لـيس للإسـلام دار حـرب أشـد شـوكة مـن الـترك وهـم ثغـر للمسـلمين... ويـبلغهم الـنفير والإنـذار بالعـدو والعشـي"[3]. ويصـف أهـالي(خـوارزم) وينعتـهم باليسـار ، والقيـام علـى أنفسـهم بـالمروءة الظـاهرة[4]. وأهـالي (بخـارا) بـالأدب ، والعلم ، والفقه ، والديانـة ، والأمانـة ، وحسـن السـيرة ، وجميـل المعاملـة ، وقلـة الشـر ، وإفاضـة الخـير وبـذل المعـروف وسـلامة النيـة ، ونقـاء الطويـة[5]. أمـا أهـالي (سمرقنـد) فيصفهم بالجمال ، والإفراط في إظهار المروؤات ، وتكلف النفقات والقيام على أنفسهم بما يزيدون على أكثر بلاد خراسان [6].

ويتضح مما سبق أن المعلومات التي ذكرها ابـن حوقـل عـن الجوانـب الاجتماعيـة للأقاليم التي زارها جاءت غير منتظمة ، إذ إنه توسع في حديثه عن السكان وعاداتهم في (المغـرب ، والأنـدلس ، وصـقلية ، والجبـال ، والخـزر ، وبـلاد مـا وراء النـهر) بينمـا جاءت معلوماته عن بقية الأقاليم مقتضبة حتـى إنـه أغفـل الإشـارة إلى سكان بـلاد

---

١ - المصدر نفسه، ص٣٨٦.

٢ - المصدر نفسه.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٨٧.

٤ - صورة الأرض، ص٣٩٧.

٥ - المصدر نفسه ، ٤٠٣- ص ٤٠٤.

٦ - المصدر نفسه ، ص٤٠٧.

العرب ، ومصر ، وجاءت في معلوماته أحياناً بعض التحامل كما هو واضح في حديثه عن أهل صقلية والأندلس ، إذ كانت معلوماته قاسية في وصفه لأهل هذين البلدين ، ويتضح أيضاً في وصفه لسماحة أهل ما وراء النهر ، إن المبالغات قد تسربت إلى حديثه. ومهما يكن من أمر ، فإن معلومات ابن حوقل الاجتماعية فيها من القيمة التاريخية لكونها توضح ما كان عليه سكان أكثر الأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي.

ب- القبائل والأقوام:

من خلال ما ذكره ابن حوقل عن سكنى القبائل والأقوام ، يلاحظ ثمة إشارات عامة عن هذا الموضوع ، وإشارات أخرى كان حريصاً بها على تعين مواطن استقرارهم في الأقاليم الإسلامية ، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، إذ من المعروف كانت هذه الأقاليم في هذا القرن تضم خليطاً من الأقوام والقبائل ، وذلك لسعة رقعة امتدادها. وما تتوخاه هذه الدراسة اقتطاع هذه الإشارات التي ورد ذكرها عند ابن حوقل ، كي يتبين من خلالها أسماء ومواطن القبائل والأقوام.

١- العرب[1]:

لقد كان المد العربي قوياً بعد حروب الفتح الإسلامي ، حيث فكر القادة العرب بإنشاء قواعد دائمة في الأقاليم التي تم تحريرها من السيطرة الأجنبية ، وذلك لسكنى المقاتلة العرب وعوائلهم ، فأمروا بأنشاء الأمصار. وبهذا فقد سكنت هذه الأقاليم أناس من العرب[2]. ويستثنى من ذلك جزيرة العرب التي ذكر ابن حوقل أنها بلد العرب

---

١ - عن سكنى العرب في الأقاليم الإسلامية، ينظر: صالح العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١،٢،٣،٤، المجلد الثاني والثلاثون(١٩٨١م)، ص٣- ص ٥٦، وينظر: ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق، منشورات اتحاد المؤرخين العرب سنة ١٩٨٠، عبد الواحد ذنون طه، الفتح العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، وزارة الثقافة والأعلام، العراق، ١٩٨٢م.

٢ - ينظر: صالح العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، ج١، ج٢، ص٢٧.

وأوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم[1]. وقد أسهب إلى حد ما في ذكر سكنى القبائل العربية في هذا الإقليم بقوله: "ولا أعلم فيما بين العراق والشام واليمن مكاناً إلا وهو في ديار طائفة من العرب ، ينتجعون في مراعيهم ومياههم ألا أن يكون بين اليمامة والبحرين وبين عمان ، ومن وراء عبد القيس برية خالية من الآبار والسكان والمراعي قفرة لا تسلك ولا تسكن. فأما ما بين القادسية إلى الشقوق في الطول والعرض من قرب السماوة[2] إلى حد بادية البصرة فسكنتها قبائل من (بني أسد) ، فإذا جزت الشقوق[3] فأنت في(ديار طيء) إلى أن تتجاوز معدن النقرة[4] ، في الطول وفي العرض من وراء جبل طيء محاذياً لوادي القرى ، إلى أن تتصل بحدود نجد من اليمامة والبحرين. ثم إذا جزت المعدن عن يسار المدينة فأنت في(بني سُليم) وإذا جزته عن يمين المدينة فأنت في(جهينة) وفيما بين المدينة ومكة (بكر بن وائل) في قبائل من مضر من الحسنيين والجعفريين والغالب على نواحي مكة مما يلي المشرق (بنو هلال وبنو سعد في قبائل من هذيل) وعن غربيها(مُدلج) وغيرها من قبائل (مضر) وأما بادية البصرة فهي أكثر من هذه النواحي أحياءً وقبائل وأكثرهم(تميم) حتى يتصلوا بالبحرين واليمامة ثم وراءهم عبد القيس"[5] ، ويضيف ابن حوقل عن سكنى العرب في هذا الإقليم ذاكراً القبائل العربية التي سكنت بادية الجزيرة بقوله:"....أحياء من ربيعة واليمن وأكثرهم كلب اليمن وفي قبيلة منهم يعرفون ببني الغليص"[6]. أما بادية الشام فإنها :"ديار لفزارة ولخم وجذام وبلي وقبائل مختلفة من

---

١ - صورة الأرض، ص٢٧.

٢ - السماوة: سميت السماوة لأنها ارض مستوية لا حجر بها، والسماوة ماء بالبادية، وبادية السماوة بين الكوفة والشام، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٤٥.

٣ - الشقوق: وهي منزل بطريق مكة ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٥٦.

٤ - معدن النقرة: كل أرض متصوبة في وهدة فهي نقرة، وبها سميت النقرة بطريق مكة التي يقال لها معدن النقرة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٥، ص٢٩٨.

٥ - صورة الأرض، ص٤١.

٦ - المصدر نفسه، ص٤١.

اليمن وربيعة ومضر وأكثرها يمن"[١].

أما عن سكناهم في جنوب الجزيرة فذكر ذلك بقوله: "وبأرض سبأ من اليمن طوائف حمير وكذلك بحضرموت وديار همدان واشعر وكندة وخولان فبلاد مفترشة من قبائل اليمن"[٢]. وذكر سكناهم في جزائر بني حمدان (عند منتهى بحر القلزم) وهي ثلاث جزر سكنها قوم من ربيعة ومارسوا مهنة التجارة[٣].

أما عن سكن العرب في إقليم(العراق) ، فقد اختط العرب المسلمون مدنا سكنتها القبائل العربية كالبصرة ، إذ قال ابن حوقل عنها: "فهي خطط وقبائل كلها"[٤] ، والكوفة التي "مصرها سعد بن أبي وقاص وهي خطط لقبائل العرب"[٥] ، ومدينة واسط التي استحدثها الحجاج بن يوسف الثقفي ، وبغداد التي ابتناها المنصور وجعل عليها قطائع لحاشيته ومواليه[٦].

أما عن استقرارهم في إقليم (الجزيرة) فقد ذكر ابن حوقل معلومات فيها شيء من التفصيل ، إذ أشار إلى أن نواحي هذا الإقليم حملت أسماء قبائل عربية سكنتها(ديار مضر ، ديار بكر ، ديار ربيعة)[٧] وأشار إلى أن أهالي(مدينة الموصل) عرب ، ولهم خطط وأكثرهم جاء من الكوفة والبصرة[٨] ، وذكر بيوتات العرب فيها بقوله: "وكانت بها بيوتات فاخرة وقوم أهل مروءة ظاهرة ..... كبني فهد وبني عمران من وجوه الأزد وأشراف اليمن ، وبني شحاج ، وبني أود وبني زبيد وبني الجارود وبني أبي خداش والصداميين والعمريين وبني هاشم وغير ذلك"[٩] ، وذكر سكنى

---

١ - المصدر نفسه ، ص٤٢.

٢ - المصدر نفسه ، ص٤٥.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤٨.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢١٢.

٥ - صورة الأرض ، ص٢١٥.

٦ - صورة الأرض ، ص٢١٤، ص ٢١٥.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٨٩.

٨ - المصدر نفسه ، ص ١٩٥.

٩ - المصدر نفسه ، ص ١٩٥.

بني حبيب(قوم من تغلب) في ناحية برقعيد ، وأشار أيضاً إلى سكنى العرب في مدينة(رأس العين) ، وكان لهم بها خطط[١] ، وسكنى (بني عقيل وبني نمير) في مدينة مدينة حران [٢]. وذكر(حصن مسلمة بن عبد الملك) حيث سكنته طائفة من بني أمية[٣] ، وكذلك مدينة(تل بني سبار) ، فقد كانت أكثرها للعباس بن عمرو الغنوي وقومه[٤] ، وأشار إلى سكنى العرب في وادي الجبال(بين شمال مدينة سنجار وغربها) بقوله: "واد من أودية ديار ربيعة فيه مشاجر وضياع وكروم وخصب... يسكنه قوم من العرب قاطنين فيه مخفرين من بني قشير ونمير وعقيل وكلاب"[٥].

وقد قامت القبائل العربية في هذا الإقليم ، بإسهام في الحياة السياسية ، ويتضح ذلك من قول ابن حوقل[٦]:"... وكان يسكنها قبائل من ربيعة ومضر... فدخل عليهم في هذا الوقت من بطون قيس عيلان الكثير من بني قشير وعقيل وبني نمير وبني كلاب ، فأزاحوهم عن بعض ديارهم بل جُلّها وملكوا غير بلد وإقليم منها كحران وجسر منبج والخابور والخانوقة وعَرابان وقرقيسيا والرحبة في أيديهم يتحكمون في خفائرها ومرافقها".

أما عن توطن العرب في إقليم(الشام) فذكر ابن حوقل أن عامة سكان ناحيتي (الجبال والشراة) من العرب ، وأشار إلى أن(حصن مثقب) قد سكنه من ولد عبد شمس[٧].

أما في إقليم(مصر) ، فذكر سكنى العرب من مدينة الفسطاط ، بقوله:

---

١ - المصدر نفسه ، ص ١٩٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٠٦.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - المصدر نفسه ، ص ١٩٩.

٦ - صورة الأرض ، ص ١٩٥.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٦٠، ص ١٦٧، للتوسع عن استيطان العرب في بلاد الشام، ينظر: العلي، المرجع نفسه، ص٢٣وما بعدها.

"وبالفسطاط قبائل وخطط تنسب إليها محالهم كالكوفة والبصرة"[١] ، إلا أن هذه الإشارة قد خلت من ذكر أسماء القبائل ، وأضاف قائلاً عن سكنى العرب في هذا الإقليم: "وفي بلد الواحات من بني هلال عدة غزيرة وأمة كثيرة..."[٢].

أما عن سكنى العرب في إقليم(المغرب) ، فعلى الرغم من أن طلائع الحملات الأولى لفتح ذلك الإقليم كانت من العرب ،إلا أن ابن حوقل أغفل الإشارة إلى سكناهم في هذا الإقليم باستثناء إشارة مباشرة ، وردت في وصفه لمدينة طبنة بقوله: "مدينة قديمة وكانت عظيمة... وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة"[٣]. وكذلك يلاحظ ذلك الإغفال عندما يتحدث عن(الأندلس وصقلية) على الرغم من أن العرب سكنوا هذه البلاد[٤].

أما عن سكنى العرب في إقليم(خوزستان) فذكر ابن حوقل أن عامتهم يتكلمون العربية وهذا يشير إلى أن العرب استوطنوا هذا الإقليم[٥].

وتوطن العرب إقليم(فارس) ويتضح ذلك من قول ابن حوقل عن حصون فارس بأن أكثرها في ناحية سيف بن الصفار(على ساحل البحر العربي) ، وهم من بني الجلندى الذين انتقلوا إليهم من عمان[٦] ، وكذلك أشار إلى حصن بن عمارة التي تنسب إلى الجلندى بن كنعان ، وهي مرصد على(خليج عمان) كانت لآل عمارة (وهم من بني الجلندي)[٧]. وقد أنشأ العرب ايضا في هذا الإقليم مدينة شيراز التي بناها(محمد بن القاسم الثقفي)[٨] ، وما يشير إلى استيطان العرب في بلاد فارس أيضاً ، إن اللغة العربية لم تقتصر على المعاملات والمخاطبات الرسمية بل كانت

---

١ - المصدر نفسه ، ص ١٣٧.

٢ - المصدر نفسه ، ص ١٤٥.

٣ - المصدر نفسه ، ، ص٨٥، وعن استقرار القبائل العربية في المغرب ، ينظر: عبد الواحد ذنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، الفصل الثاني.

٤ - عن استقرار القبائل العربية في الأندلس، ينظر: عبد الواحد ذنون، المرجع نفسه، الفصل الثالث.

٥ - صورة الأرض، ص٢٢٩.

٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٣٧.

٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٤١.

٨ - المصدر نفسه ، ص ٢٤٦.

لسان كثير من الناس[1].

وأشار ابن حوقل إلى سكنى العرب في بلاد(السند) [2]و(أذربيجان)[3] ، أما إقليم (الجبال) فقد سكن العرب فيه ومُصر مدينة(الكرج) ، التي تعرف(بكرج أبي دلف) ، وكانت مسكناً له ولآله وأولاده ، وإن أغلب أهالي مدينة(قم) من العرب[4].

أما عن سكن العرب في بلاد(خراسان) فقد أغفل ابن حوقل الإشارة إلى ذلك. وفي بلاد (ما وراء النهر) فقد أشار ابن حوقل إلى استقرار العرب في رستاق ويذار (أحد رساتيق سمرقند) ، إذ أكثر قراه لقوم بكر بن وائل ، يعرفون بالسباعية ، وكانت لهم في سمرقند ولايات ، ودور ضيافة[5].

٢- الأكراد[6]:

يُعد ما كتبه ابن حوقل عن الأكراد من الكتابات التي أسهبت وبدرجة من الدقة في تدوين أسماء ومواطن القبائل الكردية العديدة والإشارة إلى أوجه من حياتهم ، ونقل ابن حوقل عن أصلهم ، قول ابن دريد: "إنهم من العرب وأن أكثرهم من ولد كرد بن مرد بن عمر بن عامر..."[7] ، أما عن مناطق استيطانهم ، ففي إقليم (الجزيرة) ذكر أحياء للأكراد في مدينة(الموصل) ، كالهذبانية ، والحميدية ، واللارية وكذلك كفر نمرى ، إذ تسكن في نواحيها قبائل من الأكراد ، وفي المزارع بين منطقة (الزابين) يشتي الأكراد الهذبانية[8]. واستوطن الأكراد في إقليم(خوزستان) ، فكانت

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٥٣، للتوسع عن استيطان العرب في بلاد فارس، ينظر: العلي، استقرار العرب، ص٤٥.

٢ - صورة الأرض، ص٢٨٠.

٣ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٩.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣١٣، ٣١٥، للتوسع عن استيطان العرب في إقليم الجبال، ينظر: العلي، استقرار العرب، ص٤٠.

٥ - المصدر نفسه ، ص ٢٨٠.

٦ - للتوسع عن الأكراد ينظر: احمد عثمان أبو بكر، الكرد في كتابات المسلمين الأوائل، ذكر مواطن وطوائف الأكراد، مجلة كلية الآداب ـ جامعة بغداد، العدد الرابع والعشرون سنة (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٣٢٧ وما بعدها.

٧ - صورة الأرض، ص٢٤٠.

٨ - المصدر نفسه ، ص١٩٥- ص ١٩٦،ص ٢٠٥.

غالبية سكان بلد اللور من الأكراد[1].

أما في إقليم(فارس) ، فقد توسع ابن حوقل في ذكر زموم(محال) الأكراد فيه ، وأشار إلى أحيائهم ، ومنها: الكرمانية ، الرامانية ، مدين ، حي محمد بن بشر ، البقيلية ، البنداذمهرية ، حي محمد بن اسحاق ، الصباحية ، الاسحاقية ، الأذركانية ، السهركية ، الطمادهنية ، الزيادية ، الشهروية ، البنداذقية ، الخسروية ، الزنجية ، الصفرية ، الشهيارية ، المهركية ، المباركية ، الاستامهرية ، الشاهوية ، الفراثية ، السلمونية ، الصيرية ، الأزددختية ، المطلبية ، الممالية ، اللارية ، البرازدختية ، الشاهكانية والجليلية ، وذكر ابن حوقل أن هذه أسماء الأحياء المشهورة ، والتي استقى أسماءها من ديوان الصدقات ، إذ إنها تزيد على خمسمائة الف بيت ، وتعداد الحي الواحد ألف فارس ، أو أكثر ، أو أقل[2].

أما في إقليم(كرمان) ، فقد ذكر صنف من الأكراد ، وهم(الأخواش) ، في جبال القفص ، وأشار إلى أنهم سبعة أجيال(طوائف) ولكل جيل رئيس منهم ، وتعدادهم نحو عشرة آلاف رجل ، وكانوا يدفعون ضريبة للسلطان ، ويعترضون القوافل التجارية ويقطعون الطريق عنها في عامة كرمان وإلى مفازة سجستان وحدود فارس ، وهؤلاء الصنف من الأكراد رجالة لا دواب لهم والغالب على خلقهم النحافة والسمرة ، ويدّعون أنهم من العرب[3]. وفي إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) سكن الأكراد الهذبانية مدينة(اشنة)[4].

أما في إقليم(الجبال) فتحدث ابن حوقل عن سكنى الأكراد في مدن(شهرزور ، وسهرود) وكذلك سكناهم في الجبال الصعبة ، من حد شهرزور إلى مدينة(آمد) وقد كانت هذه الجبال مأهولة بالأكراد الحميدية ، واللارية والهذبانية ، وغيرهم من أكراد

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٢٣٢.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣١٤،ص ٣١٥.

٣ - صورة الأرض ، ص ٢٦٩.

٤ - المصدر نفسه.

شهرزور وسهرود[1].

أما في إقليم(خراسان) ، فأشار ابن حوقل إلى سكناهم في مدينة(اندخُذ) ، إذ بها بيوت للأكراد من رعاة الأغنام والابل[2] ، ويتضح مما سبق أن الأكراد سكنوا المناطق الجبلية وتركز سكناهم في الأقاليم الشرقية.

٣- البربر:

ذكر ابن حوقل أصلهم أنهم من ولد جالوت إلا اليسير منهم[3] ، وأشار إلى أن قبائل البربر في المغرب كثيرة العدد ، وكثيرة البطون ، وتتشعب إلى أفخاذ ، ومن الصعب في ضوء المعلومات التي ذكرها عن قبائل البربر ، من رسم خارطة لتوزيعهم الجغرافي في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، إذ ترد أحياناً إشارات عامة إلى قبائل البربر وسكناهم دون التفصيل في ذكر أسماءها ويتضح ذلك فيما ذكره عن سكناهم في مدن(إجدابية ، سرت ، بونة ، تنس ، سبته ، كرت ماسيته)[4]. وعلى الساحل الممتد على البحر المتوسط من غرب مصر إلى نواحي إفريقية(تونس وشرق الجزائر). كما ذكر سكناهم في المنطقة الممتدة من سجلجماسة إلى السوس وأغمات وفاس إلى نواحي تاهرت وإلى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنة وباغاي إلى مربال وآزفون ونواحي بونة إلى مدينة قُسطنطينيّة(قسطنطينية حالياً)[5]. وإلى جانب هذه الإشارات العامة للبربر ، فقد ذكر أسماء قبائل البربر وبطون منها في بعض مستوطنات هذا

---

١ - المصدر نفسه، ص ٢٨٩.

٢ - المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٩٧، وذكر عبد الواحد ذنون، أنهم يرجعون إلى أصول كنعانية أوحميرية، وهذا يدل على أنهم من الأقوام التي هاجرت، من جزيرة العرب، ينظر: الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقيا والأندلس، ص٥١، وعن أصلهم ينظر ايضاً: عثمان السعدي، الأصول العربية للبربر، مجلة آفاق عربية، العدد(٩)، سنة ١٩٨٠م، ص١٨، وعن توزيعهم الجغرافي ينظر: سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، دار المعارف(مصر: ١٩٦٥م)، ص٣٥، عبد الواحد ذنون، المرجع نفسه، ص٥١ وما بعدها.

٤ - صورة الأرض، الصفحات:٧٠، ٧١، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١.

٥ - المصدر نفسه، ص ٩١.

الإقليم ، ففي مدينة وهران سكنت(قبائل صنهاجة)[١] ، وفي مدينة مليلة كان أغلبية سكانها من (بنو بطوية) وهم بطن من البربر[٢] ، وفي رباط بسلة سكنت قبائل(برغواطة)[٣] ، وذكر استيطانهم في بعض القرى ، ففي قرية (جرتيل) سكنت(زنتانة)[٤] ، وقرية من مهرين كان أغلب[٥] سكانها من قبائل(كتامة ومزاتة) ، وفي قرية سجيت حوانيت لقبائل(كتامة)[٦] ، وسكنت قبائل من البربر(شرطة ، وسمسطة ، وبنو مسوفا) في المنطقة الممتدة بين مدينتي أودغست ، وسجلماسة[٧]. وذكر ابن حوقل أحياء البربر ، وقبائلهم ، التي تجمعهم أبوة جالوت ، وذكر أسماء أكثر من مئتي قبيلة من قبائل صنهاجة وبطونها وأفخاذها وعصبيتهم[٨]. أما عن استيطان البربر في بلاد الأندلس ، فقد أغفل ابن حوقل الإشارة إلى ذلك[٩].

٤- الأتراك[١٠]:

أما عن التوزيع الجغرافي للأتراك في الأقاليم الإسلامية كما ورد ذكرهم عند ابن حوقل ، فيتركزون في أقاليم(الخزر ، وسجستان ، وما وراء النهر). فذكر سكنى الأتراك الغزية في جزيرة سياه كوية في(إقليم الخزر) ، نتيجة للاختلافات التي وقعت مع غيرهم

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٧٩.

٢ - المصدر نفسه .

٣ - المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٨٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص ٨٧.

٦ - المصدر نفسه.

٧ - المصدر نفسه ، ص ٩٨.

٨ - صورة الأرض ، ص ١٠١- ١٠٢.

٩ - عن سكن البربر في الأندلس ، ينظر : الاصطخري، المسالك والممالك ، ٣٦.

١٠ - الأتراك عدة أجناس وعدة ممالك، منها الخرلخية، التغزغسز، تركش، كيماك، غز، ولكل جنس من الأتراك مملكة منفردة ويحارب بعضهم بعضاً، ينظر: احمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي، كتاب البلدان، مطبوع مع كتاب الأعلاق النفية لابن رسته، بريل(ليدن: ١٨٩١م)، ص٢٩٥.

من الأتراك فانقطعوا عنهم واتخذوا هذه الجزيرة مأوى لهم[1]. وفي ناحية (بشجرت) ، في هذا الإقليم ايضا سكن نحو الفي رجل من الأتراك الغزية ، وهم في طاعة ملك البلغار[2] ، ولهذه الناحية ديار متاخمة لقبائل تركية أخرى هم البجناك جوار الروم[3].

أما في إقليم(سجستان) ، فذكر أتراك الخلج الذين سكنوا الناحية التي عرفت باسمهم[4].

أما في بلاد(ما وراء النهر) ، فذكر مجمع الأتراك في مدينة(ستكند) ، ودخل اسم الإسلام أحياء كثيرة منهم ، وقد أسلم قوم من الغزية والخرلخية ، وأشار إلى سكناهم في المراع الخصبة بين(ياراب والشاش) ، وبها نحو ألف بيت من الأتراك ، وهم مقيمون بها في خركاهات(خيم) ، وكذلك في مدينة(القرية الحديثة) ، التي هي دار مملكة الغزية ويقيم بها في الشتاء ملك الغزية[5].

٥- الأقوام الأخرى:

ومن الأقوام التي ذكرها ابن حوقل الفرس ، وهؤلاء سكنوا الأقاليم الشرقية ، ولاسيما في البلاد التي سميت باسمهم(بلاد فارس)[6] ، وفي(كرمان)[7] ، وفي (إرمينية)[8].

ومن الأقوام التي ذكرها(الديلم) ، وعن أصلهم ذكر قول ابن دريد[9]: "إن الديلم طائفة من بني ضبة" وقد سكنوا على ساحل بحر الخزر اسفل جبال الديلم ، وطائفة

---

١ - صورة الأرض، ص٣٢٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص ٣٢٩.

٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٢٥.

٤ - المصدر نفسه ، ص ٣٥٣.

٥ - المصدر نفسه ، ص٤١٩،ص ٤٢٠.

٦ - صورة الأرض، ص ٢٣٤.

٧ - المصدر نفسه ، ص ٩٨.

٨ - المصدر نفسه ، ص ٩٨.

٩ - المصدر نفسه ، ص ٣٢٠.

أخرى سكنت سهول ناحية الديلم[١] ، وهناك أقوام أخرى ذكرها ابن حوقل خارج حدود الدولة الإسلامية[٢].

ج- اللغات:

مما يجدر ذكره أن ابن حوقل ذكر اللغات التي تنطق بها الأقوام داخل حدود الأقاليم الإسلامية وما يجاورها[٣].

ففي الأقاليم الإسلامية بجانب اللغة العربية ، هناك لغات ذكرها في هذه الأقاليم ، ففي إقليم(خوزستان) كنا أكثر أهالي الإقليم يتكلمون العربية ، وقسم منهم الفارسية ، ولهم لغة أخرى ليست عبرانية ولا سريانية ولا فارسية[٤].

أما في(إقليم الخزر) فكانت لغتهم غير التركية واللغة الفارسية ، ولا يشاركهم فيها أي أمة من الأمم[٥].

أما في(إقليم فارس) فهناك ثلاث لغات ، الأولى: الفارسية والتي يتكلم بها جميع أهل فارس ، والثانية لغتهم القديمة من الفهلوية التي تحتاج إلى تفسير ، واللغة الثالثة: العربية التي كانت بها مكاتبات السلطان والدواوين وعامة الناس[٦]. أما لغة أهل(كرمان) فكانت الفارسية إلا(القفص) ، فلهم مع الفارسية لغة أخرى[٧].

أما لغات إقليم(السند) ، فأهل المنصور والملتان ونواحيها يتكلمون العربية

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٩٨.

٢ - وهذه الأقوام (البجة)، و(النوبة)، و(الجبلين) و(الاحيديين)و الروس، ينظر: صورة الأرض، الصفحات:٦٠، ٦٢، ٦٣، ٣٣٥، ٣٣٦.

٣ - ومن هذه اللغات، لغة الروم في(مملكة الروم)، ولغات مختلفة في مملكة الصين، ولغة الأتراك(النغزغز، خرخيز، الغزية، كيماك، الخرلخية) فلغتهم واحدة، لغة بطون الحدارب(من البربر)،ينظر: المصدر نفسه ، ص٢٣، ص ٦٠.

٤ - صورة الأرض ، ص ٢٢٩.

٥ - صورة الأرض ، ص ٣٣٢.

٦ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٣.

٧ - المصدر نفسه ، ص ٢٧٢.

والسندية ، وأهل مكران يتكلمون الفارسية والمكرية [١].

وفي إقليم(ارمينية وأذربيجان والرآن) ، ففي جبل القبق هناك أكثر من ثلثمائة ونيف لهجة ، أما لغة أهل أذربيجان ، وأكثر أهل أرمينية ، فكانت العربية والفارسية. وهناك لغات أخرى تتكلم بها طوائف من أرمينية ، كاللغة الأرمينية التي يتكلم بها أهل مدن(دبيل ، ونشوى). والرآنية التي يتكلم بها أهل مدينة (برذعة)[٢].

أما أهالي(الديلم) ، فلهم لغة تنفرد عن الفارسية والرآنية والأرمينية ، وهناك طائفة من الديلم الذين سكنوا السهول يتكلمون بلغة تخالف لغة بقية الديلم[٣].

وفي بلاد(ما وراء النهر) ، كان لأهل إقليم خوارزم لغة ، ينفردون بها ، وليس بإقليم خراسان كله لغة تشبه لغتهم. أما أهل مدينة بخارا فلغتهم لغة إقليم السغد ، غير أنه يحرف في بعض منها[٤].

د- الأزياء والملابس:

إن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الأزياء والملابس ، على الرغم من اقتضابها ، إلا أنها تبين تنوع الملابس في الأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وقد نشأ هذا التنوع نتيجة لاختلاف عادات وتقاليد شعوب هذه الأقاليم ، وتبين معلوماته أيضاً أن لكل فئة من فئات المجتمع لباسها الخاص الذي يميزها عن سواها.

ففي إقليم المغرب ، ذكر أن لون ثياب مدينة(برقة) اللون الأحمر ، حتى إنهم عرفوا من بين أهل المغرب بحمرة ثيابهم[٥] ، ووصف ابن حوقل التقاليد المتبعة في

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٢٥٣.

٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٧- ص ٢٩٨، ص ٢٩٩.

٣ - المصدر نفسه ، ص ٣٢٠.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٩٨،ص ٤٠٣.

٥ - صورة الأرض، ص ٦٩.

لبـاس قبائـل البربـر بـين(أودغسـت وسجلماسـة) ، إذ إنهـم يتلثمـون ولا تظهـر غـير عيـونهم ، ويربـون علـى هـذه العـادة منـذ الطفولـة ، ويعتقـدون أن الفـم سـوءة تسـتحق الستر كالعورة[١].

أما أهل(الأندلس) فقد عرفوا لبس المشمعات المطرية التي تمنع المطر أن يصل إلى ملابسهم[٢] ، ووصف ابن حوقل زي أهالي(خوزستان) أنه يشبه زي أهل العراق ، من القمص والطيالسة[٣] والعمائم ، وكان من لباسهم ايضا الأزر والميازر[٤].

أما زي إقليم(فارس) ، فكـان يختلف حسب فئـات المجتمـع ، فـزي سـلطانهم هـو القباء[٥].

ويلبس بعـض سـلاطينهم الـدراريع[٦] ، وإن كـانوا فُرسـا ، ويبـدو أن الـدراع لبـاس

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

٢ - المصدر نفسه ، ص ١٠٩.

٣ - الطيالسة: اعجمي معرب والجمع طيالسة بالهاء، انظر: الجواليقي، المعرب، ص٢٢٧، وهو ثوب يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة، ينظر: بدري فهد، الطيلسان، مجلة كلية الشريعة ببغداد، العدد(٢)سنة ١٩٦٦م،ص١٦٩، ويلبسه خاصة الناس وعامتهم وفي مقدمتهم القضاة والفقهاء ينظر: الدكتور صلاح العبيدي، الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، دار الرشيد للنشر(العراق:١٩٨٠م) ص٤٣.

٤ - صورة الأرض، ص١٠٩، الأزر والميازر: الأزر غير المئزر، الأول يدل على الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به المرأة جسمها كله، كما أنه يعني نوعين من الثياب لتغطية الأرداف والأعضاء الطبيعية، بينما كلمة مئزر تعمي قطعة القماش التي تستر العورة والتي تلبس من السرة إلى أسفل، ينظر: رينهارت دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة د.اكرم فاضل، منشورات وزارة الثقافة والأعلام(العراق: ١٩٧١م)، ص٤٠.

٥ - القباء: لباس خارجي للرجل يطوى تحت الإبط بصورة منحرفة، ينظر: الجواليقي، المعرب، ص٣١٠، دوزى، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص٢٨٤، بينما يرى، العبيدي، بأنه لباس شاركت المرأة الرجل في لبسه، انظر: الملابس العربية الإسلامية، ص٣٠٥- ص ٣٠٧.

٦ - الدراريع: جمع دراعة، وهي جبة مفتوحة من جهتها الأمامية، حتى أعلى القلب ومزره بإزار وعرى، ابن سيده، المخصص، طبعة بيروت، ج٤، ص٣٦، دوزى، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص١٤٦- ص ١٤٧.

لغير الفُرس ، ولكنها تختلف ، كون فتحتها أوسع ، وجريانها[1] أعرض إذ كانت تشبه جيوب دراريع الكُتَّاب ، ويتضح من ذلك أن الكُتَّاب لبسوا الدراريع أيضاً ، إلا أنها تختلف عن دراريع السلاطين. أما لباس الرأس فكانت العمامة التي يلبس تحتها القلنسوة[2] ، وكانوا يلبسون السيوف بحمائل ، ويلبسون المناطق في أوساطهم ، أما لباس القدم فكان الخف[3] ، ووصفه أنه يصغر عن خفاف أهل خُراسان ، وأشار ابن حوقل إلى أن زي سلطان الفُرس قد تغير في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، في المدة التي عاصرها ابن حوقل ، واصبح الغالب على زيهم ، لباس الديلم ، إلا أنه لا يذكر نوع اللباس الجديد ، أما زي (قضاتهم) فلباس الرأس الدنيات[4] وما أشبهها من القلانس المشمرة عن الأذنين مع الطيالسة والقمص والجباب[5]. ولا يلبس القضاة الدراعة ، ولا الخف بكسرة ، ولا القلنسوة التي تغطي الأذنين ، ويبدو أن هذه الأنواع من الملابس اقتصرت على سلاطين الفرس فقط ، أما زي(كُتَّابهم) ، فكان يشبه لباس كُتَّاب العراق ، إلا أنهم لا يلبسون الطيلسان ، أما لباس تُنَّاؤهم ، فكان خليطاً من لباس الكُتَّاب والتجَّار ، وهو الطيالسة والأردية ، والأكسية القومسي[6] ، والخز والعمائم ، والخفاف التي لا كسر فيها ، والقمص ، والجباب ، والمُبَطَّنَات ، ويتفاضلون في جودة الملابس وحسن الزي ، وزيهم كزي أهل العراق[7].

---

١ - جريانها: أي جيبها، ينظر: الجواليقي، المعرب، ص٩٩.صدر نفسه ، ص ١٠٩.

٢ - القلنسوة: ما يلات على الرأس تكويرا، ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٩٢، أو هي الطاقية التي توضع تحت العمامة، ينظر: دوزى، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص٣٩٥- ص ٣٩٩.

٣ - الخف: ما لبس في القدم، ويبدو أنه خالي من الكعب، أي بمستوى الأرض، ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٤، ص١١٤، صلاح العبيدي، الملابس العربية الإسلامية، ص٣١٨،ص ٣٢٣ .

٤ - الدنيات: جمع دينة، وهي طاقية القاضي، وسميت كذلك لأنها على شكل الدف، أي شكل إناء اسطواني، ينظر: دوزى، المعجم المفصل بأسماء الملابس، ص١٥٢.

٥ - الجباب:جمع جبة، رداء مفتوح يوضع فوق الرداء الأول هو القفطان، وردني الجبة قصيران بالنسبة لردائي القفطان، وتبطن الجبة بالشتاء ببطان من الفرو، ينظر: المرجع نفسه، ص٩٠- ص٩٨

٦ - منسوبة إلى مدينة قومس في إقليم الديلم وطبرستان، ابن حوقل، صورة الأرض، ص٣٢٢.

٧ - ينظر: صورة الأرض، ص٢٥٣- ص ٢٥٤.

أما الأزياء والملابس في بلاد(السند) ، فذكر ابن حوقل أن زي المسلمين والكفار بها كان واحد ، وكان لشدة الحر في بلادهم لبسوا (الأزر والميازر) ، ولبس أهل مدينة (الملتان) هذا الزي أيضا ومن لباسهم القراطق [1] ، أما تجارهم ، فقد لبسوا القمص والأردية ، كسائر أهل العراق. وكان زي العامة في مدينة (المنصورة) ، يشبه زي أهل العراق أيضاً ، إلا أن زي ملوكهم يقارب زي ملوك الهند ، لكنه لم يوضح ما كان عليه زي ملوك الهند ولباسهم[2].

أما لباس إقليم (الخزر) ، فكان الروس يلبسون القراطق الصغار ، أما (الخزر والبلغار والبجناك) فلباسهم القراطق التامة. فضلا عن القراطق كانت الأقبية من لباس البدن في هذا الإقليم جميعه [3].

أما في إقليمي (خراسان وما وراء النهر) فقد اشترك الأمير والوزير والقاضي والعامي والتانئ والجندي بلبس الثياب الويذارية[4]الظاهر على ما يلبسونه من فاخر الثياب في الشتاء ، وتتراوح قيمة الثوب منها من دينارين إلى عشرين ديناراً[5]. وزي إقليم(خوارزم) القرطق والقلانس المعوجة ، وتفنن أهالي خوارزم في طريقة لبسها. أما أهالي(بخارا) فيغلب على زيهم لبس الأقبية والقلانس كزي بقية أهالي(ما وراء النهر)[6].

ويتضح من المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الأزياء والملابس في الأقاليم الإسلامية ، إن أكثر أهالي الأقاليم قد تأثروا بما كان يلبسه العراقيون ، فيلاحظ أن زي

---

١ - القراطق جمع قرطق، وهو القباء ذو الطاق الواحد، ينظر: الاصطخرى ، المسالك والممالك، حاشية(رقم ١٠)، ص١٠٣.

٢ - صورة الأرض، ص٣٣٤، ص ٣٣٦.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٧٧.

٤ - الويذارية: نسبة إلى مدينة ويذار في بلاد ما وراء النهر، وتعمل من القطن وتلبس خاماً غير مقصورة، وفيها قليل من صفرة وكأنها للينها خز، ابن حوقل، المصدر نفسه ، ص٤٢٥، وذكرها المقدسي بأن سرطين بغداد كانوا يسمونها بديباج خراسان، احسن التقاسيم، ص٣٢٤.

٥ - صورة الأرض، ص٤٠٤.

٦ - المصدر نفسه، ص ٤٠٤.

أهالي خوزستان وبلاد السند وإقليم سجستان يشبه زي العراقيين ، وأن زي كُتَّاب وتجار فارس يشبه ما كان يلبسه الكُتَّاب والتجار في العراق ، وعلى الرغم من أنه لم يذكر ما كان عليه زي أهل العراق ، إلا أنه يمكن الاستنتاج في ضوء ما ذكره عن الأزياء والملابس في الأقاليم الأخرى ، فكان من لباسهم القمص والطيالسة والعمائم ، وكان من لباس الكُتَّاب في هذا الإقليم الطيلسان أما تجارهم فلبسوا القمصان والأردية.

ويتبيّن أيضاً أن ابن حوقل لم يُفصِّل في حديثه عما كان عليه زي أهالي المغرب والأندلس ، ولم يذكر بالمرة ما كانت عليه الأزياء والملابس في(الجزيرة ، بلاد العرب ، والشام ، ومصر) آنذاك.

٥- توزيع الأديان:

ضمت الأقاليم الإسلامية في الحقبة التي زارها ابن حوقل في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، طوائف دينية غير إسلامية من نصارى ، ويهود ، وصابئة ، وسجلت معلوماته توزيعها الجغرافي كالآتي:

النصارى:

كان النصارى يعيشون في مناطق مختلفة من الأقاليم الإسلامية ، فذكر ابن حوقل قبائل عربية تدينت بالنصرانية بأرض الجزيرة ، وغسان وبهراء وتنوخ بأرض الشام[١].

ففي إقليم (الجزيرة) ، ذكر قوماً من الشهارجة(نصارى ذا يسار) قد سكنوا مدينة(كفر عزى) وفي مدينة(الرها) كان الغالب على أهلها النصارى ، إذ بها أكثر من ثلاثمائة بيعة ودير ذي صوامع فيه رهبانهم ، وبها البيعة التي ليس للنصرانية أعظم وأبدع صنعة منها. وبها منديل عيسى بن مريم(u). وكان أكثر أهل مدينة تكريت من النصارى ، إذ إنها تجمع سائر فرق النصارى ، وبها من البيع والأديرة التي تقارب عهد عيسى(u) ولم تتغير أبنيتها ، ومن أعظم البيع فيها بيعة الخضراء[٢].

أما في إقليم(مصر) ، فكان الغالب على أهل مدينة(الفرفرون) النصرانية ، وكذلك

---

١ - المصدر نفسه، ص٢٩.

٢ - صورة الأرض، الصفحات:١٩٦ ، ٢٠٤، ٢٠٥- ٢٠٦.

في معظم رساتيق مصر وقراها في الحوف[١]والريف[٢] فأهلها نصارى قبطه وكذلك ناحية(الواحات) كانت على دين النصرانية[٣]. وأشار ابن حوقل إلى وجود النصارى في جزيرة (قبرص)[٤].

وفي إقليم(الأندلس)توجد ضياع فيها الألوف من الناس بقيت على دين النصرانية[٥].

أما في إقليم(فارس) ، فقد أشار إلى أن عدد النصارى أكثر من اليهود[٦]. وفي إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) ، فذكر في مدينة(دبيل) من النصارى الكثير ، وقد كان لهم عهد من الولاة المسلمين ، بإقرارهم على حالهم وأخذ الجزية منهم ، وعندما جاء الأمويون والعباسيون فقد أقروهم على مناطق سكناهم ، مقابل أخذ الرسوم عليهم من جباياتهم. وذكر أن الغالب على أهل(ارمينية) النصرانية[٧].

أما في إقليم(الخزر) فيقطن النصارى في ناحيتي(خزران واتل) بجانب المسلمين ، وكذلك في مدينة(بلغار) ، ومدينة(سمندر) ، وكان أهل السرير[٨] في هذا الإقليم على دين النصرانية ايضا[٩].

ويتضح من المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن النصارى أن عددهم قليل في

---

١ - الحوف: حوف شرقي(شرق الدلتا)، غربي(غربي الدلتا)، ينظر: أبو عبيد الله البكرى، جغرافية مصر من كتاب المسالك والممالك، تحقيق، عبد الله يوسف الغنيم، المؤتمر الجغرافي الأول مجلد(٣) حاشية ٢١٨، ص٩.

٢ - الريف: وسط الدلتا، المصدر نفسه.

٣ - صورة الأرض، الصفحات:١٤٥، ١٥٠، ١٤٦.

٤ - المصدر نفسه، ص١٨٤.

٥ - المصدر نفسه، ص١٠٦.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٥٥.

٧ - المصدر نفسه، ص٢٩٤– ص ٢٩٥.

٨ - أهل السرير: يقال أن هذا السرير كان لبعض ملوك الفرس، وهومن الذهب ولما زال ملكهم حمل هذا الموضع مع ذخائر تشاكله، وكان حامله ولد بهرام والملك هذا سمي باسم هذا السرير منهم، ويقال أنه سرير عمل لبعض الأكاسرة في سنين كثيرة، صورة الأرض، ص٣٣٣.

٩ - المصدر نفسه، الصفحات:٣٣٠، ٣٣٦، ٣٣٣.

الأقاليم الشرقية بينما أكثرهم تركز في المناطق المجاورة لبلاد الروم. وكذلك لم يشر إلى وجود النصارى في العراق والشام.

اليهود:

إن ما ذكره ابن حوقل عن هذه الطائفة الدينية اقتصر على بلاد الشام ، وإقليم فارس ، وإقليم الخزر ، وقد أغفل ذكرهم في بقية الأقاليم الإسلامية مثل بلاد العرب ، والعراق ، ومصر ، وخوزستان ، وخراسان ، والجبال[1].

ففي (إقليم الشام) ذكر مدينة نابلس ، أنها مدينة السامرية ، إذ يزعم أهل بيت المقدس أن ليس بمكان من الأرض سامرى إلا أصله منها. وفي مدينة(الرملة) منهم نحو خمسمئة بجزى(يدفعون الجزية)[2].

أما في إقليم(فارس) فكان عددهم قليل[3]. أما في إقليم(الخزر) فكانوا أقل طائفة وكان ملكهم وخاصته من اليهود ، حيث يقال أن له حاشية نحو أربعمائة الف رجل[4].

الصابئة:

إن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن هذه الطائفة قليلة ، فقد اكتفى بذكر وجودهم في مدينة حران في إقليم(الجزيرة) فوصفها أنها: "مدينة الصابئين وبها سدنتهم ولهم بها طربال"[5].

الكفار:

---

١ - ينظر: ماذكره المقدسي عن توزيعهم في هذه الأقاليم ، أحسن التقاسيم، الصفحات:٨٣- ٨٤، ٢٠٢، ٣٩٤.

٢ - صورة الأرض، ص١٥٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٥٥.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٣٠.

٥ - صورة الأرض ، ص٢٠٤، والطربال: كل بناء عال، معرب تربالي، ادى اشير، الألفاظ الفارسية المعربة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٠٨م، ص١١١.

ذكر ابن حوقل المجوس ، وأكثر هذه الطائفة تسكن في بلاد (فارس) ، لأن بها دار مملكتهم وأديانهم وكتبهم وبيوت نيرانهم والتي استقصى ابن حوقل أسماءها من الديوان [١].

أما في إقليم(السند) ، فيغلب على ناحية كوغة الكفر ، فضلاً عن ذلك يوجد من الكفار في بلد السند أقوام البدهة والميذ المنتشرون ما بين حدود ناحيتي(طوران ومكران) ، كذلك في مدينتي(الملتان والمنصورة)[٢].

أما(الديلم) ، فكانوا كفاراً ودخل كثير منهم في الإسلام ، إلا أن بعضهم استمر على كفره[٣]. وفي إقليم(خراسان) ، فكان سكان جبال الغور كفاراً ، إذ وصفهم ابن حوقل[٤]: "وليس بجميع بلد الإسلام ناحية كفر يشتمل على أقطارهم وحدودها المسلمون غير الغور".

أما في بلاد(ما وراء النهر) فوصف كور(وخشان والشقنية) أنها دار كفر[٥]. أما عَبَدة الأصنام من الكفار ، فكانوا في الهند والسند ، إذ يوجد في مدينة(الملتان) ، صنم الملتان حيث يحظى بقدسية لدى أقوام الهند والسند[٦].

ويتضح مما سبق أن معلومات ابن حوقل عن الأديان الأخرى قليلة ، إذ لم يفصل في توزيعها في كثير من الأقاليم الإسلامية. وكذلك الحال فيما يخص معلوماته عن المذاهب الإسلامية وتوزيعها هي الأخرى قليلة إذا ما قوبلت بالمعلومات التي أوردها المقدسي.

---

١ - صورة الأرض، ص٢٤٢، وينظر: بيوت نيرانهم في الصفحة نفسها.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٧٧، ص ٢٧٩، ص ٢٧٨.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٢٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٧١.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٩٤.

٦ - صورة الأرض، ص٢٧٨، وينظر: وصف هذا الصنم عند ابن حوقل، في الصفحة نفسها.


الفصل الثالث

الجوانب الاقتصادية

أولاً:- الزراعة.

ثانيا:- الثروة الحيوانية.

ثالثا:- الصناعة.

رابعاً:- التجارة.

خامساً:- الأوزان والمكاييل.

سادساً:- النظام النقدي.

سابعاً:- استخدام الصكوك.

ثامناً:- الأسعار والمستوى المعاشي.

تاسعا:- الضرائب.

الجوانب الاقتصادية

إن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الجوانب الاقتصادية للأقاليم التي زارها وافية ، تكشف عن جوانب مهمة للحياة الاقتصادية في القرن الرابع الهجري/العاشر

الميلادي.

ففي الزراعة ، ذكر المحاصيل الزراعية وتباينها ، وأجمل ذكر الثروة الحيوانية ، أما في مجال الصناعة فذكر التوزيع الجغرافي للمعادن ، وأهم الصناعات. وفي مجال التجارة ، وضحت معلوماته أهم الطرق التجارية ، والصادر والوارد من المواد التجارية ، والعلاقات التجارة بين الأقاليم الإسلامية وغيرها ، وأهم المراكز التجارية فيها. وقدم معلومات عن الموازين ، والمكاييل ، والنظام النقدي الذي كان معمولاً به آنذاك. وذكر أسعار بعض المواد مشيراً إلى حالتها ، وإلى المستوى المعاشي لسكان الأقاليم. أما معلوماته عن الضرائب ، فقد كانت وافية ، إذ بين أنواعها ، ومقدارها ، واختلافها من إقليم إلى آخر ، وذكر أوجه ومقدار الموارد المالية لمعظم الأقاليم التي شملتها زيارته.

هذا وإن دقة معلوماته في هذا المجال ، ناتجة عن اهتمام ابن حوقل بالجوانب الاقتصادية ، كونه رحالة ، وتاجراً ، اطلع عن كثب على تفاصيل هذه الجوانب ، لذا شغلت معلوماته الاقتصادية مساحة واسعة من كتابه.

أولاً:- الزراعة:

تحدث ابن حوقل عن النشاط الزراعي في الأقاليم الإسلامية ، من ضمن الأنشطة الاقتصادية التي اهتم في وصفها ، إذ ذكر أنواع المحاصيل الزراعية ، وتنوعها ، وسبب هذا التنوع ، وقدم صورة عن أساليب الزراعة في بعض الأقاليم.

إن وصفه لأساليب الزراعة في إقليم(مصر) مثلا وعما كان يتم عمله في شهور السنة المختلفة يُعد سجلاً دقيقاً للنظام الزراعي في هذا الإقليم ، حيث ذكر أن مياه النيل تغمر الأراضي الزراعية في شهر توت وبابة[1] (أيلول وتشرين الأول) ويكون في الثامن من شهر بابة(تشرين الأول) قد تكامل ري الأرض ، وفي شهر هاتور(تشرين الثاني) يبدأ حرث الأرض ويكون الزرع البذري في أكثر نواحيهم وضياعهم وفي شهر كيهك(كانون الأول) يزرع فيه من أوله إلى آخره الزروع المتأخرة ، ولا يزرع من شيء

---

١ - وهذه أشهر قبطية، عن هذا التقويم، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص١٧٩.

في أرض مصر غير السمسم والمقاشي[1]والعطب[2]. ومن شهر طوبة(كانون الثاني) يبدأ يبدأ دفع ثمن الخراج ، حيث يتم الدفع في شهر مسرى[3] (آب) ، ومن الأمثلة الأخرى التي توضح طرق الزراعة ، ما ذكره في وصفه لمدينة اتل في(إقليم الخزر) حيث تعطي معلوماته صورة بسيطة عن ذلك بقوله: "وليس لهذه المدينة كثير قرى غير أن مزارعهم مفترشة يخرجون في الصيف بأجمعهم إلى ما يرومون زرعه فيحرثونه ، ويكون بالقرب وبالبعد إلى نحو عشرين فرسخاً فإذا حصدوا زرعهم ضموه بالعَجل إلى النهر وإلى مواضع تقرب منه ، وينقلون ما اجتمع إلى النهر في السفن وما قرب من البلد نُقل بالعَجل إلى البلد"[4]. وبجانب ذلك ترد عند ابن حوقل إشارات إلى كمية الإنتاج الزراعي ، ويتضح ذلك من وصفه لمدينة سمندر في (إقليم الخزر) :"وبها بساتين كثيرة يقال أنها كانت تشتمل على نحو أربعين الف كرم"[5].

توزيع الإنتاج الزراعي:

أ- أشجار الفاكهة:

ذكر ابن حوقل أشجار الفاكهة التي تجمع بين صفتي النبات الطبيعي ، والمحصول الزراعي ، وأشار إلى أنواع من الفاكهة ، واختلافها من مكان إلى آخر ، ويعزى سبب هذا التنوع إلى اختلاف المناخ ، حيث قسمها على: فواكه المناطق الجرومية(الحارة) ، وفواكه المناطق الصرودية(الباردة) وقد يجتمع نوعان في إقليم واحد

---

١ - المقاشي: الخيار، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج٣، ص٢١.

٢ - العطب: القطن، ينظر: ابن منظور، المصدر نفسه ، ج٢، ص٨١٠.

٣ - صورة الأرض، ص١٢٩- ص١٣٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٣٢.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٣٣، وينظر: على سبيل المثال ايضا، ص٣٩٢.

كما في مدينة الحجر في(إقليم الجبال)[1] ، وفي ناحية جرجان في(إقليم الديلم وطبرستان)[2] ، وذلك نظراً لتنوع المناخ الناتج عن تنوع التضاريس في هذه المناطق. ومن أشجار الفواكه التي ورد ذكرها عند ابن حوقل ، النخيل ، وقد أشار إلى الشروط الطبيعية التي تحتاجها هذه الأشجار ، والمتمثلة بارتفاع درجات الحرارة ، إذ عدها من الفواكه الجرومية ، فمثلاً ذكر زراعته في مدينة عمان ، إذ يقول: "كثيرة النخيل والفواكه الجرمية"[3]. وتأتي مثل هذه الإشارة أيضاً في وصفه لمدينة المنصورة في إقليم(السند)أنها مدينة جرومية حارة بها نخيل وليس بها عنب ولا تفاح ولا كمثرى[4]. وفضلاً عن درجة الحرارة يحتاج النخيل في زراعته إلى مياه كثيرة ، كما في قوله عن مدينة البصرة في(العراق) ، التي تعد منطقة مثالية بكثرة زراعتها للنخيل: "لا يكون الإنسان منها بمكان ألا وهو في نهر و نخيل أو يكون بحيث يراهما"[5] ، وفضلاً عما ذكره عن الشروط التي تتطلبها زراعة النخيل ذكر ابن حوقل التوزيع الجغرافي لزراعته في الأقاليم الإسلامية.

ففي إقليم العراق: يزرع في (البصرة ، واسط ، القادسية ، صرصر[6] ، نهر الملك[7] ، سر من رأى ، النهروان[8] ، دسكرة الملك)[9].

وفي إقليم الجزيرة : يزرع في مدن (الموصل ، سنجار ، هيت ، الأنبار ، عانة)[10]. وفي

---

١ - صورة الأرض، ص٣١٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٢٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٧٧.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢١٢.

٦ - صرصر: مدينة صغيرة من بغداد على ثلاثة فراسخ وتقع على نهر صرصر صورة الأرض، ص٢١٧.

٧ - نهر الملك: مدينة بين بغداد والكوفة، وهي بقرب نهر الفرات، المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٨ - النهروان: مدينة صغيرة يشقها نهر النهروان بنصفين، تبعد عن بغداد أربعة فراسخ، صورة الأرض ، ص٢١٨.

٩ - دسكرة الملك: مدينة صغيرة من مدن بغداد، المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٢١.

١٠ - صورة الأرض ، الصفحات:١٩٤، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٥.

ديار العرب: يزرع في(حائط بني عامر[1] ، غربي عرفة[2] ، اليمامة[3] ، الجحفة[4] ، تيماء[5] ، مدينتي نجران وجرش ، ناحية عمان)[6].

وفي إقليم مصر: يزرع حد أسوان إلى الإسكندرية وفي المدن(الفرما ، الاشمونين ، أسوان ، البلينا ، أخميم) ، ارض الجفار ، وتيه بني إسرائيل[7].

وفي إقليم المغرب: يزرع في المدن (أوجله ، ودان ، قسطيلية ، اجدابية ، سرت ، سجلماسة)[8]. وفي إقليم خوزستان: يزرع في القرى على ضفاف نهر المسرقان ، وقرية آسك[9]. وفي إقليم فارس: يزرع في مدن (الرجان ، فسا ، توج)[10] و(شعب بوان)[11].

وفي إقليم (كرمان): يزرع في (ناحية هرموز ، مدينة جيرفت ، مدينة بم ، ناحية الاخواش)[12]. وفي إقليم(السند): يزرع في(مدينة المنصورة ، ناحية مكران ، رستاق خرذان ، مدينة مشكى)[13]. وفي إقليم (الجبال): يزرع في مدن(حلوان ، الصيمرة ، السيروان ، شابر خاست)[14]. وفي إقليم(سجستان): يزرع في مدن(بست ، خواش ،

---

١ - حائط بني عامر: وهو بستان لعمر بن عبيد الله بن معمر من تميم ابن مرة، ينظر: الحسن بن عبد الله الأصفهاني، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر ، وصالح العلي، (الرياض، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، حاشية٣، ص٣٧٤.

٢ -عرفة: واد بحذاء عرفات، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص١١١.

٣ -اليمامة: وادي، والمدينة به تسمى الخضرمة، وهومن الحجاز، صورة الأرض، ص٣٨.

٤ - الجحفة: قرية، وهي منزل عامر، بين مكة والمدينة، تبعد عن ساحل البحر(على البحر الأحمر) ميلين، ينظر: صورة الأرض، ص٤٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١١١.

٥ - تيماء: حصن شمال تبوك، وبينها وبين أول الشام ثلاثة أيام، صورة الأرض،ص٤١.

٦ - صورة الأرض، الصفحات: ٣٧، ٣٨، ٣٩،٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٤٩،ص ١٤٨، ص١٤٧.

٨ -المصدر نفسه ، ص٧٠، ص٨٩، ص ٩٢.

٩ - المصدر نفسه ، ص٢٢٨، ص ٢٢٩، ص ٢٣٢.

١٠ - المصدر نفسه ، ص٢٣٩، ص ٢٤٨.

١١ - المصدر نفسه ، ص٢٤٨.

١٢ - صورة الأرض ، ص٢٧١، ص ٢٧٢.

١٣ - المصدر نفسه، ص٢٧٧، ص ٢٨١.

١٤ - المصدر نفسه، ص٣١٤، ص ٣١٥.

سروان ، الزالقان)[١]. وفي إقليم (خراسان): يزرع في (ناحية قوهستان وخاصة في مدينة الطبسين ، ومدينة قاين ، وكذلك في قرية جرمق) [٢].

وفضلاً عما ذكره ابن حوقل عن أشجار النخيل أورد أشجارا وفواكه أخرى فذكر توزيعها في الأقاليم الإسلامية في إقليم(العراق): أشار إلى فواكه البصرة اللذيذة ، إلا أنه لم يذكر أنواعها ، كذلك ذكر كروم مدينة النهروان[٣].

وفي إقليم(الجزيرة): ذكر من فواكهها الكروم وتوجد أشجار في مدينة نصيبين ومدينة الموصل ، ولاوسل(مكان في بلد) ، ومدينة عانة ، ومدينة سروج[٤] ، ووصف فواكه مدينة سنجار بقوله: "وفيها من الفواكه الصيفية والفواكه الشتوية مما يكون اختصاصه في بلاد الصرود(الباردة)... الجوز واللوز والأترج والرمان الكبير"[٥] ، وذكر فاكهة مدينة قرقيسيا التي يجلب منها إلى العراق[٦].

أما في إقليم(الشام): فتوجد أشجار الفاكهة على سفوح جبال لبنان ومنها الزيتون والتين ، ويوجد من الفاكهة التين والفستق والكروم في الغور (غور الأردن) ومدن(شيراز ، حماة ، جند قنسرين) ، كذلك ذكر أشجار الفواكه الشتوية والصيفية من الجوز واللوز والرمان[٧]. ومن لطيف ما ذكره ابن حوقل إشارته إلى تلقيح الكروم في مدينة الزغر في (جند الأردن) بقوله: "وأهل الزغر يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل الطالع الذكر ، وكما يلقح أهل المغرب تينهم بذكارهم"[٨]. وفي ديار (العرب): فذكر فواكه مدينة (الطائف) وفواكه مدينة(عمان) ، الجرومية من الموز والرمان والتين[٩].

---

١ -المصدر نفسه، ص٣٥٠، ص ٣٥٤.

٢ -المصدر نفسه، ص٣٧٢، ص ٣٤٣.

٣ - المصدر نفسه، ص٢١٢، ص ٢١٨.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات:١٩١، ١٩٤، ٢٠٦، ٢٠٧.

٥ - المصدر نفسه، ص١٩٩.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٠٤.

٧ - المصدر نفسه، الصفحات:١٥٩، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦.

٨ - صورة الأرض ، ص١٦٩.

٩ -المصدر نفسه ، ص٣٩، ص٤٤.

أما في إقليم (مصر): فذكر الكروم في مدن (قرطسا ، محلة مسروق) ، والموز في (محلة مسروق)[1]. وفي إقليم(المغرب): فذكر إشارة عامة إلى فواكه مدن (قابس ، منزل باشو ، برشك ، تنس ، وهران ، آبة)[2] ، غير أنه لم يذكر أنواعها ، ويوجد الكروم في: "مدينة المسيلة ، وادي ثمالته ، مدينة كرانطة ، مدينة ترفانة ، قرية بنو واريفن (قرية قديمة) مدينة قسطنطينية ، مدينة قفصة"[3] ، وذكر أشجار التين في مدينة (ناحية)[4] ، والجوز واللوز في مدينة(القسطنطينية)[5] ، والأترج في مدينة (قسطيلية)[6] ، والزيتون في مدن (قابس وسفاقس)[7] ، والسفرجل[8] في مدن (برشك والمسيلة)[9] ، والأترج والجوز في(ناحية السوس الأقصى)[10] والخوخ والكمثرى في مدينة(طرابلس)[11]. أما فواكه (الأندلس): فذكر الكروم والتين في مدينة (إشبيلية)[12]. وفي جزيرة (صقلية): ذكر الكروم في قرية (بلهرا)[13].

أما في إقليم(فارس): فذكر من الفواكه في مدينة(الرجان) الكروم والزيتون والجوز والأترج ، وبها أيضاً فواكه الصرود والجروم ، وفي(شعب بوان) فيها من الفواكه ما يكون في بلد الجروم[14]. وفي إقليم(كرمان): ففي مدينة (جيرفت) من الفاكهة الجوز

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٣٢، ص١٣٤.
٢ - المصدر نفسه ، الصفحات:٧٢، ٧٥، ٧٨، ٨٦، ٨٩.
٣ - المصدر نفسه ، الصفحات:٨٥، ٨٨، ٨٩،٩١، ٩٢.
٤ -المصدر نفسه ، ص٨٩.
٥ - المصدر نفسه ، ص٩١.
٦ - المصدر نفسه ، ص٩٢.
٧ - المصدر نفسه ، ص٧٢، ص ٧٣.
٨ - السفرجل: هي الشجرة التي يعتبر زهرها عجيب الأثر في تقوية الدماغ والقلب ثمرتها كثيرة الفوائد، القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ص٢٥٧.
٩ - المصدر نفسه ، ص٧٨، ص ٨٥.
١٠ - المصدر نفسه ، ص٩٠.
١١ - المصدر نفسه ، ص٧١.
١٢ - المصدر نفسه ، ص١١٠.
١٣ - صورة الأرض، ص١١٧.
١٤ - المصدر نفسه ، ص٢٧٩، ص ٢٤٨.

والأترج[1].

أما في إقليم(السند): ففي مدينة(المنصورة) ، توجد من الفواكه ثمرة على قدر التفاح تسمى الليمونة حامضة شديدة الحموضة ، وفاكهة تسمى الأنبج تقارب طعم الخوخ ، وفي مدينة(قزدار) من الفاكهة ، الأعناب ، والفواكه الصرودية والرمان الحسن ، وأشار ابن حوقل إلى فواكه مدينة(مشكى) على الرغم من أنها من المناطق الجرومية ، إلا أن فيها شيء من الفواكه الصرودية[2].

أما في إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن): فيزرع في قرية (اردهر) البطيخ ، إذ ينسب إليها ، ويسمى(البطيخ الأردهي) ، ووصفه أنه مستطيل الخلق قبيح المنظر غاية في الحلاوة وطيب الطعم يضاهي بطيخ خراسان ، وفي مدينة(برذعة) يوجد من الفاكهة ، البندق والشاه بلوط[3] ونادر الفواكه ، وفي هذه المدينة ، نوع من الفاكهة وصفها ابن حوقل وتسمى(الروقال) ، لها نواء حلو الطعم إذا ادرك لذيذ وبه عفوصة(مرورة) قبل أن يدرك ويستدرك[4].

أما في إقليم(الجبال): فأشار إلى فواكه مدينة(أصبهان) من غير أن يذكر أنواعها ، ووصف فواكه مدينة(كرينية) بالجودة والحلاوة والصحة بحيث يلحق عتيقها بطراءة حديثها كالكمثرى ، وأشار أيضاً إلى كثرة عنبها ورخصه ، ووصف تفاح ضيعة (كلمان) إذ نسب إليها وسمي بالتفاح الكلماني الذي يمتاز بذكاء رائحته ، ولذة طعمه ، وحسن منظره ، وكانت الأعناب لكثرتها في هذه الضيعة تعلق في المخازن ، وفي مدينة(خان لنجان) ، يكثر الخوخ الجيد ، وفي مدينة(حلوان) يكثر الرمان والتين المشهور بحلاوته والجوز والدستنبورية[5]. وما يكون في بلاد الصرود والجروم من فاكهة ،

---

١ -المصدر نفسه ، ص٢٦٨.

٢ - صورة الأرض ، ص٢٧٧،ص ٢٨٠، ص٢٨١.

٣ - الشاه بلوط: ثمرتها أعذب من البلوط، ليس لها يبوسة البلوط وعفوصته، وشكلها كنصف جوزة سوداء يقارب طعمها الفندق الرطب، ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٥٨.

٤ -المصدر نفسه، ص٢٨٨، ص٢٨٩،ص ٢٩٠.

٥ -الدستنبورية: نوع من البطيخ الأصفر، معرب عن(دستنبوري أي الشمامة وهو مركب من دست أي(يد) ومن(بوي) أي الرائحة. ينظر: ادى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٦٣.

وفي مدينة(قزوين) الكروم ، وفي مدينة(قم) أشجار الفستق والبندق ، وتكثر أشجار البندق أيضاً في مدينة(لاشتر)[1]. أما فاكهة إقليم (الديلم وطبرستان): فالأعناب كثيرة في مدينتي(ويمة وشلنبة) ، والأترج وفواكه الصرود والجروم والتين والزيتون ، وتوجد سائر الفواكه في ناحية (جرجان)[2].

أما في إقليم (الخزر): فذكر من الفاكهة الكروم في مدينة (سمندر)[3]. ولا تخلو مفازة(خراسان وفارس) من الفواكه ، إذ ذكر الكروم في قريتي(خزانة وبشتاذران)[4]. أما ما يشتهر به إقليم(سجستان) من الفواكه ، فأكثرها الكروم في مدن (بست ، الطاق ، سروان) ، فضلاً عن إشارته العامة إلى الفاكهة في مدن(خواش ، الزالقان ، روذان) [5].

أما فاكهة إقليم(خراسان) ، فالبطيخ في مدينة(مرو) ، والكشمش في مدينة (كروخ) ، والكروم حيث تشتهر به مدن(مالن ، استربيان ، بين ، كيف ، بغشور ، قصر احنف ، انبار ، كندرم ، بلخ ، طخيرستان) وأشجار الجوز واللوز في مدينة(كندرم). والأترج في مدينة(بلخ)[6].

أما في إقليم(ما وراء النهر) ، فذكر أشجار الأعناب والجوز والتفاح على سفوح الجبال الممتدة بين إقليم ما وراء النهر وبلاد الترك ، ووصف ابن حوقل فواكه مدينة (بخارا) أنها اصح فواكه ما وراء النهر ، وأشار إلى فاكهة(إقليم خوارزم ، وجبال الشاوذر) دون أن يذكر أنواعها[7].

ب- الحبوب:

ذكر ابن حوقل زراعة الحبوب في الأقاليم الإسلامية وتوزيعها الجغرافي وسنذكرها

---

١ -صورة الأرض ، ص٣٠٩، ص ٣١٠، ص ٣١١.

٢ -المصدر نفسه ، ص٣٢٢، ص ٣٢٣.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٣٣.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٤٥.

٥ -المصدر نفسه ، ص٣٥٣، ص ٣٥٤.

٦ - المصدر نفسه ، الصفحات:٣٦٥، ٣٦٧، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦.

٧ - صورة الأرض ، الصفحات:٣٩٢، ٣٩٧، ٤٠٢، ٤١٠.

كما يلي:-

١- القمح:

يـزرع القمـح في إقليـم(الجزيـرة) في مـدن (نصـيبين ، بـايزدى ، باعربابـا ، باهـدرا ، جزيرة ابن عمر ، برقعيد)[١] ، ويزرع في إقليم الشام بمدينة (بالس)[٢] ، وفي إقليم مصـر بمدينة(سنهور)[٣] ، وفي جزيرة قبرص[٤] ، وفي إقليم المغرب بمدن(باجـه) بونـة ، وهـران ، البصرة ، كرات ، ماسيته ، طنجة ، أزيلي ، باغاي ، طبنة ، المسيلة ، تادمديت ، القصـر الافريقـي ، مـزاوروا ، سجلماسـة ، قسـطيلية)[٥] ، وفي قـرى(دكمـة ، نمـردوان ، آجـر ، وطافنجة)[٦]. أما في إقليم خوزستان ، فذكر زراعته في منطقة(نهر المسرقان)[٧].

٢- الشعير:

ذكر زراعته في إقليم الجزيـرة بمدن (نصـيبين ، بازبـدي ، باعربايا ، باهدرا ، جزيـرة ابـن عمـر ، برقعيـد)[٨] ، وفي إقلـيم الشـام بمدينـة (بـالمن)[٩] ، وفي إقلـيم مصـر ببلـد (الواحات)[١٠] ، وفي جزيـرة قـبرص في(بحـر الـروم)[١١] ، وفي إقلـيم المغـرب بمـدن (بونـة ، وهران ، البصرة ، كرت ، ماسيته ، تامديت ، القصر الأفريقـي ، مـزاوروا ، سجلماسـة ، قسـطيلية)[١٢] ، وقـرى(دكمـة ، ونمـردان)[١٣] ، وفي إقلـيم خوزسـتان بمنطقـة (نهـر

---

١ -المصدر نفسه ، الصفحات:٢٢٩، ١٩١، ١٩٧، ١٩٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٦٥.

٣ -المصدر نفسه ، ص١٣١.

٤ -المصدر نفسه ، ص١٨٥.

٥ -المصدر نفسه ، الصفحات:٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢.

٦ - المصدر نفسه ، ص٨٦، ص ٨٧.

٧ - المصدر نفسه ، ص٢٢٩.

٨ - المصدر نفسه ، الصفحات:١٩١، ١٩٧، ١٩٩.

٩ -المصدر نفسه ، ص١٦٥.

١٠ - صورة الأرض ، ص١٤٤.

١١ -المصدر نفسه ، ص١٨٥.

١٢ - المصدر نفسه ، الصفحات:٧٧، ٧٩، ٨١، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢.

١٣ -المصدر نفسه ، ص٨٧.

المسرقان)[1].

٣- الذرة:

أشار إلى زراعتها في ناحية (هرموز) في إقليم كرمان[2]. وهناك إشارة عامة إلى الحبوب جاءت عند ابن حوقل في وصفه لإقليم خوارزم في (بلاد ما وراء النهر) ، من غير تفصيل لأنواعها[3].

ج- المحاصيل الزراعية الأخرى:

ومن هذه المحاصيل التي أشار ابن حوقل إلى زراعتها هي:-

١- الكتان:

يزرع في إقليم المغرب بمدينتي(بونة وسبيبة) ، وفي جزيرة(صقلية)أيضاً[4].

٢- القطن:

يزرع في إقليم الجزيرة بمدينة (عرابان)[5] ، وفي إقليم المغرب بمدينتي(البصرة وماسيته)[6].

٣- قصب السكر:

يزرع في إقليم الشام بمدينة(بيروت)[7] ، وفي إقليم مصر بمدينتي(سنهور ودمى جمول)[8] ويزرع في جميع كور إقليم(خوزستان)[9] ، وفي إقليم كرمان بناحيتي

---

١ -المصدر نفسه ، ص٢٢٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٧١.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٩٧.

٤ - المصدر نفسه ، ص٧٧، ص ٧٨، ١٨٥.

٥ - المصدر نفسه ، ص٢٠٠.

٦ -المصدر نفسه ، ص٨١.

٧ - صورة الأرض ، ص١٦٢.

٨ - المصدر نفسه ، ص١٣٤.

٩ - المصدر نفسه ، ص٢٢٨.

(هرموز والأخواش)[1] ، وفي إقليم السند برستاق(خرذان)[2].

٤- الكمون[3] والكرويا[4]:

ويزرعان في إقليم المغرب بمدينة(سبيبه)[5].

٥- السمسم:

تكون زراعته في إقليم العراق بمدينة(النهروان)[6] وفي إقليم الجزيرة بمدينة (سنجار)[7].

٦- الزعفران[8]:

يزرع في إقليم المغرب بمدن (مجانه ، ابه ، الارس)[9] ، وفي إقليم الجبال بمدن بمدن (الروذراور ، اصبهان)[10].

٧- الحلتيت[11]:

في مفازة إقليم سجستان[12].

٨- القنب[1]:

---

١ -المصدر نفسه ، ص٢٧١، ص٢٧٢.

٢ -المصدر نفسه ، ص٢٨١.

٣ -الكمون: حب معروف أدق من السمسم ومفرده بالهاء، ينظر: معجم أسماء النباتات الواردة في تاج العروس للزبيدي، جمع وتحقيق محمود مصطفى الدمياطي، مطبعة لجنة البيان العربي(مصر: ١٩٦٥م)، ص١٣٦.

٤ -الكرويا: يسمون كمون أرميني بالكرويا، المصدر نفسه.

٥ -المصدر نفسه ، ص٨١.

٦ -المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٧ - المصدر نفسه ، ص١٩٩.

٨ - الزعفران: نبت معروف له أصل يشبه البصل، وبصله يدق ويعصر ويكون عصيره كالحليب، ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٨٥، وتؤخذ من شجره صبغة الزعفران.

٩ -صورة الأرض ، ص٨٤، ص ٨٦.

١٠ -المصدر نفسه ، ص٣٠٧، ص ٣٠٩.

١١ -الحلتيت: صمغ يخرج من اصل ورقة بأن شرط أصله وساقه، ينظر: النويرى، نهاية الأرب، ج١١، ص٣١٣.

١٢ - صورة الأرض ، ص٣٥٢.

في إقليم المغرب بناحية السوس الأقصى[٢].

ثانياً: الثروة الحيوانية:

تُشكل الثروة الحيوانية أهمية كبيرة في اقتصاديات الأقاليم الإسلامية ، إذ تدخل في قوائم المواد التجارية(المصدرة والمستوردة) ، حيث ينتفع من لحومها ، وتدخل منتجاتها في بعض الصناعات الحرفية إذ إن أصوافها ووبرها وفرائها تدخل ضمن المواد الأولية لبعض هذه الصناعات وسنذكر توزيعها الجغرافي كما أوردها ابن حوقل:

أ- **المواشي:**

إن الطبيعة الجغرافية للأقاليم الإسلامية ، من سهول وهضاب وبراري ووديان ووفرة المياه ، شجع سكان هذه الأقاليم على تربية المواشي والأغنام للانتفاع منها ومن منتجاتها(الألبان والجبن والصوف) أو لغرض الحراثة أو النقل.

فقد ذكر ابن حوقل ما يوجد في إقليم(الجزيرة) من هذه الحيوانات ، ففي مدينة (نصيبين) السائمة والكراع[٣] وفي مدينة(الموصل) تربى في رساتيقها وكورها المواشي السائمة من الأغنام والكراع[٤].

أما في(بلاد العرب) فتربي مدينة(حضرموت) أنواع من الماشية كالابل والمعز والدواب ، ولهم من الابل النجب[٥].

---

١ -القنب: نبت منه بري ومنه بستاني، البري شجرة بالقفار على طول ذراع يغلب على ورقها البياض وله ثمرة كالفلفل وهو حب يتعصر منه الدهن، القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٩٣، وذكر الدكتور إبراهيم المشهداني أنه محصول يزرع للحصول على أليافه التي توجد في السيقان والتي يستعمل في عمل الحبال، ينظر: مبادئ وأسس الجغرافية الزراعية، مطبعة الإرشاد(بغداد: ١٩٧٠م)، ص٢٠٤.

٢ - صورة الأرض، ص٩٠.

٣ - الكراع: هو الخيل والحمير والابل المستعملة، ينظر: أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق البشرى الشوربجي،(الإسكندرية: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م)، ص١٨، وذكر النويري أنها الخيل والجمال والدواب والأبقار والأغنام، ينظر: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٨٣.

٤ -صورة الأرض ، ص١٩٦.

٥ -المصدر نفسه ، ص٤٤.

أما في إقليم (مصر) ، فذكر ماشيتها بقوله: "وبمصر بغال وحمير لا يعرف في شيء من بلدان الإسلام والكفر أسير ولا أحسن ولا أثمن... وهي الغاية في سرعة السير وحسن المشي والوطأة ، ولهم من وراء أسوان حمير صغار في مقدار الكباش الكبار ملمعه الجلود يشبه تلميعها جلود البقر ، وقد يكون منها الأصفر المدنر والأشهب المدنر فتكون غاية الحسن ، وإذا أخرجت من مواضعها وبلادها لم تعش ولهم حمير تعرف بالسفلاقية... زعموا أن أحد أبويها وحشي والآخر أهلي فهي أسير حميرهم"[١].

أما في إقليم(المغرب) ، فيربى بمدينة(بونه) الغنم وماشية من الدواب وسائر الكراع ، وأكثر سوائمهم البقر ، وفي مدينة(جزائر بني مَزغنَّاي) البقر والغنم ، وتربى المواشي ايضا في مدن (برشك ، واسلن ، ارجكوك ، سبتة) ، ويوجد في مدينة(طبنة) الغنم ، وماشية من البقر وسائر الكراع. وفي مدينة (تاهرت) الدواب والغنم والبراذين[٢] الفراهية[٣] ، وقد أجمل ابن حوقل المواشي في إقليم المغرب بقوله: "ولهم الخيل النفيسة من البراذين والبغال والابل والغنم وما لديهم من ماشية البقر وجميع الحيوان الرخيص... وعندهم من الجمال الكثيرة في براريهم وسكان صحاريهم التي لا تدنيها في الكثرة ابل العرب"[٤] ، وأشار إلى كثرة الجمال في ناحية أودغست بقوله: "وكان رعاتها هناك مائة ومع كل راع منهم مائة وخمسون جملاً"[٥].

وفي إقليم (فارس) يربي الأكراد الدواب والكراع والغنم والرميك (البراذين) وعندهم الابل قليل ، وليس للأكراد خيل عتاق إلا ما عند المازنجان المقيمين بحدود

---

١ -المصدر نفسه ، ص١٥١- ص ١٥٢.

٢ -البراذين: هو حيوان من فصيلة الخيول، إلا أنه يختلف عن الخيول العراب، ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص١٩٠.

٣ -صورة الأرض ، الصفحات:٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٨٦.

٤ -المصدر نفسه ، ص٩٥.

٥ - صورة الأرض ، ص٩٨.

أصفهان ، وإنما دوابهم براذين وشهارى[1]. وفي إقليم(السند) ، فيربي أقوام الميذ الابل والجمل الفالج[2] ، ولأقوام الزاهوق المواشي الكثيرة والسائمة من كل نوع وجنس وفي رستاق(ايل) مواشي كثيرة وإبل وغنم وبقر[3].

أما في إقليم (الجبال) ، فتكثر الأغنام وسيما في مدينة(مرج القلعة) ، وناحية (فريذين) ، وتربى الجمال في مدينة(ساوة) ونواحي (فريذين ، برخوار)[4].

وفي (مفازة خراسان وفارس) ، تربى الأغنام بمدينة (بشتاذران)[5]. وفي إقليم (خراسان) ، تربى الأغنام والجمال في مدينة(سرخس) ، والابل والغنم في مفازة ناحية (قوهستان) ، وفي مدينة (بلخ) النوق المتفوقة على ما في سائر جنسها الصحة مراعيها وخلوص نتاجها وكذلك البخاتي[6] ، أما سوائم خراسان فأكثرها الابل ويربى في (سرخس وبلخ) ، ومن ماشية هذا الإقليم أيضاً الدواب[7].

أما في بلاد (ما وراء النهر) فتربى الدواب والبغال والابل والحمير والأغنام ففي كورة (الختل) تربى الدواب وماشية غزيرة ، وفي مدينة(زم) الابل والغنم وفي مدينة (كش) البغال[8] ، كما ذكر ابن حوقل معلومات قيمة وغاية في الدقة عن أغنام تركستان وأهميتها الاقتصادية بقوله: "أن غنم تركستان تلد الشاة في السنة ستة وسبعة رؤوس من الحملان والمعز كما تلد الكلبة ، وأكثر أهل تركستان وبلاد خوارزم

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٤٠، والشهارى: ضرب من البراذين، وهو بين البرذون والمقرف من الخيل، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج٢، ص٣٧٦.

٢ -الجمل الفالج: هو الجمل ذو السنامين، ينظر: الاصطخرى، المسالك والممالك، حاشية رقم(١)، ص١٠٥.

٣ - صورة الأرض ، ص٢٧٩، ص٢٨٠.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات:٣٠٦، ٣٠٧، ٣١١، ٣١٤.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٤٥.

٦ -بخت سمرقند: ووصفها ابن حوقل أنها :اصلب واشد من نوق بلخ، ولا نظير لها في جميع الأرض، ينظر: صورة الأرض، ص٣٧٦.

٧ -صورة الأرض ، الصفحات:٣٦٩، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦.

٨ - صورة الأرض ، الصفحات:٣٨٥، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٢.

يذبحون ما زاد على الاثنين من أولاد الغنم وينتفعون بجلودها ، وذلك أن جلودها حمر قانئة الصبغ يباع الجلد منها من ربع دينار إلى دينارين وأكثر حسب صبغته ، ويكون فيها أيضاً جلود سود فيبلغ الجلد لنقائه وحلوكته وحسنه الدنانير الكثيرة ، وربما كان فيها ابيض من جلودها ما يعمل منه أغشية للسروج في غاية البياض ، وله أيضاً ثمن صالح ومنها مقاربة يباع عشرة جلود بدرهم ، وسألت عن علة ذلك أبا إسحاق إبراهيم بن البتكين الحاجب فقال: "إن أغنامهم ترعى نهاراً وتنفش ليلاً فقواها زيادة وما ترعاه صحيح ملائم لها ، وهذا كما يذكره الخرسانيون أن هواءهم يغذو حيواناتهم ويزيد في صحتهم..."[١].

ويتضح مما ذكره ابن حوقل عن توزيع الماشية والأغنام في الأقاليم الإسلامية ، أنه أغفل الإشارة إليها في (العراق ، والشام ، والأندلس ، وخوزستان) ، كما أنه أشار باقتضاب إلى توزيعها في جزيرة العرب.

ب- الأسماك:

يكثر صيد الأسماك في سواحل ميناء(آيلة) على بحر القلزم (البحر الأحمر) إذ يقول ابن حوقل[٢]: "فيها سمك كثير كبير مختلف الألوان والأنواع". وأشار إلى صيد الأسماك في إقليم(مصر) ، فيكثر في مدينة(نستراوة) الواقعة على بحيرة البشمور ، وفي مدينة(الفرما) يوجد السقنقور[٣] ، وسمكة تعرف بالرعادة [٤] التي لم يستطع أحد أن يقبض عليها وهي حية ترتعش يده وتسقط منها فإذا ماتت فهي كسائر السمك ، وفي مدينة(الإسكندرية) أشار إلى نوع من السمك

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٥١.

٢ -المصدر نفسه ، ص٥١.

٣ -السقنقور: صنف يتولد من التمساح ومن السمك فلا يشبه السمك لأنه له يدين ورجلين، ولا التمساح له ذنبه اجرد غير مضرس، وذنب التمساح مسيف مضرس، ولا يكون إلا في النيل وفي نهر مهران، ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٣٦، النويري، نهاية الأرب، ج١، ص٣١٥.

٤ -الرعادة: سمكة بحرية صغيرة مثل الكرد خشنة الجلد عن خاصيتها أنها إذا وقعت في الشبكة لا يقدر على إمساك الحبل ولو كان طويلاً وإذا أحسوا به شدوا حبل الشبكة في شجر أو في وتد حتى تموت السمكة، ينظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص١٣٤.

يسمى (العروسة) ، وهي حسنة المنظر نقشة لذيذة الطعم[١].

أما في إقليم(المغرب) فيكثر صيد السمك في مدينة سفاقس(على البحر المتوسط) ووصف ابن حوقل ذلك بقوله: "ولهم من صيود السمك ما يكثر ويعظم ، تصاد بحضائر قد زربت وعملت في الماء فتؤخذ بأيسر سعي"[٢]. وفي حصن (شقانص)[٣] على ساحل البحر المتوسط توجد أمة مقيمة على صيد السمك[٤] ، ومن غريب ما ذكره ابن حوقل وصفه لسمك وادي مدينة(سطفورة) بقوله: "ولها واد عجيب فيه في كل شهر نوع من السمك ، وإذا أهل الهلال لا تجد من ذلك النوع واحدة ويظهر غيره"[٥] ، وفي قرية(مرسي الخزر) وصف صيد السمك بقوله: "لم أر ببلد مثله سمكاً"[٦].

أما في إقليم (فارس) فذكر كثرة الأسماك في بحيرة بدشت ارزن(في كورة سابور) وبحيرة (الباسفرية) ووصف الحوت بالخندق المحيط بكورة(دار ابجرد) أنه بلا شوك ولا عظم ولا فقار وهو ألذ السموك[٧]. وفي إقليم(السند) فوصف أغذية طوائف الزط من السمك بقوله: "....عندهم السمك كأغذية أهل الشحر[٨] من سمك الورق الذي أكبر ما يكون منه كالأصبع ودونها"[٩].

أما في إقليم (أرمينية وأذربيجان والرآن) ، فذكر كثرة السمك في نهر الكر حيث يوجد السمك المعروف بالسُرمَاهى ، وفي نهري(الكرّ والرس) يوجد سمك يعرف بالدراقن وقلما يثبت لأكله من شدة سمنه ، وفيها من السمك أيضاً القشوبة وطعمه

---

١ -صورة الأرض ، ص١٣١، ص١٣٩،ص ١٤٦.

٢ -صورة الأرض ، ص٧٣.

٣ -شقانص: على حافة البحر المتوسط قريب من مدينة المهدية، وهو رباط للعبادة، المصدر نفسه، ص٧٥.

٤ - المصدر نفسه .

٥ -المصدر نفسه ، ص٧٦.

٦ - المصدر نفسه ، ص٧٧.

٧ -المصدر نفسه ، ص٢٤٤،ص ٢٦١- ص ٢٦٢.

٨ - الشحر: صقع على ساحل البحر العربي من ناحية اليمن، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٢٧.

٩ - صورة الأرض ، ص٢٨٣.

لذيذ ، وفي بحيرة(ارجيش) يوجد سمك صغار يعرف بالطريخ[1].

أما في بحر(الخزر) ، فلا يرتفع من هذا البحر شيئاً سوى الأسماك[2]. وفي إقليم (سجستان) ، يوجد في بحيرة زره ذات المياه العذبة سمك كثير[3].

ثالثاً: الصناعة:

إن المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الصناعات الحرفية في الأقاليم الإسلامية لها أهمية كبيرة ، كونها تلقي الضوء على النشاط الصناعي ، وهو جانب من النشاط الاقتصادي الذي كان يمارس في هذه الأقاليم ، ومن الواضح أن هذا النشاط يتطلب جملة عوامل ، من مواد أولية ، وأيدي عاملة ، ووجود أسواق تسهم في تصريف المواد المصنعة. ويمكن أن نلمس أهمية النشاط الصناعي من قوائم المواد التجارية(المصدرة والمستوردة) التي أوردها ابن حوقل في وصفه للأنشطة الاقتصادية لكل إقليم من الأقاليم التي شملتها زيارته ، إذ تحتل المواد المصنعة قسماً من مساحتها ، مما يدل على أهمية هذا النشاط ، فضلاً عن ذلك ، ذكره لمدن متخصصة بصناعة مادة من المواد مثل مدينتي(تنيس ودمياط) في إقليم مصر اللتين اشتهرتا بصناعة الثياب ما يؤكد هذه الأهمية أيضاً. ومما يجدر ذكره أن الصناعات في الأقاليم الإسلامية تتباين من إقليم إلى آخر نتيجة لتنوع المواد الأولية فيها ، ومن هذه المواد الأولية التي اعتمدتها الصناعات: المحاصيل الزراعية الداخلة في بعض الصناعات مثل قصب السكر إذ يدخل في صناعة السكر ، ومحصولي الكتان والقطن في صناعة الملابس ، وكذلك الثروة الحيوانية تدخل في الصناعات المشتقة من المنتجات الحيوانية

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٩١، ٢٩٧، وسمك الطريخ: يخرج من بحيرة (وان)، تقابله الكلمة اليونانية (Thrissa)، انظر: ادم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣١٢، وذكر لسترنج أنه ضرب من الشبوط وما زال يصاد فيها بوفرة يملح ويحمل إلى كثير من الأقطار، ينظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص٢١٧.

٢ -صورة الأرض ، ص٣٢٩.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٥٢.

كصناعة الملابس التي يعتمد قسم منها على(الأصواف والفراء.....) والصناعات الجلدية والخيام ، أما المعادن فتُعد من المواد الأولية التي تدخل في كثير من الصناعات.

أ- المعادن والأحجار النفيسة:

سنذكر ما أورده ابن حوقل لأهم المعادن وتوزيعها الجغرافي في الأقاليم كالآتي:-

١- الذهب:

أشار إلى وجوده في إقليم (مصر) وأرض النوبة ، إذ تمتد منطقة هذا المعدن من قرب أسوان على أرض مصر نحو عشر مراحل حتى ينتهي على (البحر الأحمر) إلى حصن عيذاب وتسكنه قبائل من ربيعة ويسمى(وادي العلاقي) وفيه معدن التبر الخالص[١] لا فضة فيه وهذا المعدن بأيدي ربيعة[٢].

ويوجد معدن الذهب أيضاً في إقليم(فارس)[٣] ، وكذلك في إقليم(السند) بمدينة (الملتان)[٤] ، وفي إقليم(خراسان) ، بجبال النوقال إذ يقول ابن حوقل[٥]: "ذكر غير إنسان أن فيه معادن ذهب غير أنها تقتصر على المؤنة وبه شيء من البلور غير صاف" ، ويوجد في جبال(الغور) أيضاً إذ يعد أغزر معادنه[٦]. أما في إقليم(ما وراء النهر) ، فيكثر في أودية كورة(الختل) التبر الذي يجمع من السيول الجارية من بلاد وخان ، وكذلك في جبال(وركة) وجبال(البتم)[٧].

---

١ - التبر: هو الذهب والفضة، قبل أن يضرب دنانير ودراهم، فإذا ضرب كان عسا، وقد يطلق التبر على غيرهما من المعادن، كالنحاس والحديد والرصاص، واكثر اختصاصه في الذهب، ولا يقال للذهب تبرا إلا مادام غير مصوغ، ينظر: أحمد الشرباصي، المعجم الاقتصادي الإسلامي، دار الجميل(١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص٦٩- ص ٧٠.

٢ - صورة الأرض ، ص١٥١.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٧٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٦٣.

٦ - صورة الأرض ، ص٣٧١.

٧ - المصدر نفسه ، الصفحات:٣٩٤، ٤٠٢، ٤١٥.

٢- الفضة:

يوجد هذا المعدن في إقليم المغرب بمدينة مجانة[١] ، وفي إقليم(فارس) غير أنه قليل في هذا الإقليم[٢] ، وفي إقليم (خراسان) بمدينة(توقان) ، وجبل الفضة ، وجبال الغور ، وفي مدينتي(جارباية وبنجهير)[٣] ، أما في إقليم(ما وراء النهر) فيوجد هذا المعدن بجبال(وركة) وجبال(البتم) [٤].

٣- الحديد والنحاس:

وجد معدن الحديد في إقليم(المغرب) بمدن(بونة ومجانة)[٥] ، وفي بلاد (الأندلس)[٦] ، وفي جزيرة(صقلية) في عين تعرف بعين الحديد[٧] ، وفي إقليم(فارس) بجبال اصطخر[٨] ، وفي إقليم(كرمان) بجبال البارز[٩] ، وفي إقليم(خراسان) بجبل مدينة نوقان ، وفي مدينة(كابل) حيث يوجد منه كميات كثيرة[١٠] ، وفي إقليم(ما وراء النهر) في الجبل المتصل بقرية وركة[١١].

أما معدن النحاس فيوجد في إقليم فارس بمدينة(السردن)وفي جبال(خراسان) وفي(بخارا وفرغانة) في إقليم(ما وراء النهر)[١٢].

---

١ - المصدر نفسه ، ص٨٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٦٣، ص٣٧١، ص ٣٧٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص٤٠٢، ص٤١٥.

٥ - المصدر نفسه ، ص٧٧، ص ٨٤.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٠٩.

٧ - المصدر نفسه ، ص١١٧.

٨ - المصدر نفسه ، ص٢٦٢.

٩ - المصدر نفسه ، ص٢٧٠.

١٠ - المصدر نفسه ، ص٣٦٣، ص ٣٧٦.

١١ - صورة الأرض، ص٤٠٢.

١٢ - المصدر نفسه، الصفحات:٢٦٢، ٣٦٣، ٤٢٥، ٤٢٧.

٤- معدن المومياء[١]**:**

تحدث ابن حوقل عن منطقة وجود هذا المعدن النادر جداً وكيفية استخراجه وسبب تسميته ، قائلاً: "وبقرية من قرى داربجرد (في إقليم فارس) المومياي الذي يحمل إلى الآفاق وهي ملك للسلطان ولا نظير له ، وهو غار في جبل قد وكل به من يحفظه وهو مسدود الباب والمدخل مغلق مقفل مختوم ، معلم بعلامات كثيرة لمن يحضر فتحه من ثقات السلطان ويفتح في كل سنة في وقت معروف ، وقد استجمع في نقرة حجر هناك ما اجتمع منه وفي غير ذلك النقرة الشيء بعد الشيء منه فإذا جمع يكون الموجود في كل سنة كالرمانة ، فيختم بمشهد من ثقات السلطان والحكام وأصحاب البرد والمعدلين من أهل الأمانة ، وما عداه فمزور ليس بصحيح ، وبقرب هذا الغار قرية تعرف بآبي فنسب هذا الموم إليها وتفسير موم قرية آبي"[٢].

٥- النوشاذر[٣]**:**

ذكر ابن حوقل وجوده في جبال البتم في إقليم(ما وراء النهر) ، وطريقة استخراجه من هذه الجبال ، إذ في كل جبل منه(البتم) كالغار يبنى عليه بيت فيرتفع من الغار بخار النوشاذر ، فإذا تلبد قلع منه ، ولا يتهيأ أحد أن يدخله من شدة حره إلا أن يلبس لبوداً ، وهذا البخار يحفر عليه من مكان لآخر حتى يظهر[٤]. ولم يشر ابن حوقل إلى منطقة وجوده في بلاد صقلية.

٦- المعادن الأخرى:

---

١ - معدن المومياء: هو شبيه بالزفت أو القير إلا أنه غزير جداً كثير المنافع إذ يعد من الأدوية للكسور والجروح، ينظر: البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص٢٠٤- ص٢٠٧، القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٤٤.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٦٢.

٣ - النوشاذر: وهو ضربان معدني والآخر معمول، انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٤٧. وهو من أهم الأملاح الكيمياوية في ذلك العهد ويسمى في أوربا الملح التترى نسبة إلى موقع بلاده، آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٣١٧.

٤ - صورة الأرض، ص٤١٥.

ومن المعادن الأخرى التي ذكرها ابن حوقل (العنبر) [١] ويوجد بسواحل عدن وما يليها [٢]. والزيبق الذي يوجد في بلاد الأندلس ، وفي بلاد فارس بقرية تعرف بداربجرد بجوار كورة اصطخر ، وفي بلاد ما وراء النهر [٣] ، وذكر معدن (الرصاص) ويوجد في بلاد الأندلس [٤] ، ومعدن الانك [٥] والكبريت في إقليم فارس [٦] ، والنفط في إقليمي (فارس وما وراء النهر) [٧].

الأحجار النفيسة:

ومن الأحجار والجواهر التي ذكرها ابن حوقل:

٧- اللؤلؤ:

يوجد هذا المعدن بقرب(عدن) على ساحل البحر العربي ، وفي جزيرة(خارك) في الخليج العربي إذ بها موضع اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير ، وبعمان وسرنديب ويوجد هذا المعدن بشكل عام في الخليج العربي وسواحل البحر العربي ، والبحر الأحمر ، والمحيط الهندي[٨].

٨- الزمرد[٩]:

---

١ - العنبر: ينبت في قعر البحر، فإذا هاج البحر قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر، المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص١٧١.

٢ - صورة الأرض، ص٣٢.

٣ - المصدر نفسه ، الصفحات:١٠٩، ٢٦٢، ٤٠٢.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٠٧.

٥ - الانك : هو الرصاص الأبيض، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، حاشية رقم(١٣)، ص٣٢١.

٦ - صورة الأرض، ص٢٦٢.

٧ - المصدر نفسه ، ص٢٦٢، ص ٤٠٢.

٨ - المصدر نفسه، ص٥٢.

٩ - الزمرد: معدن اخضر اللون شديد الخضرة شفاف يستخرج من الآبار مع الرمل كما يستخرج يستخرج منها الذهب وقال الكندي أن بعضه يخرج بالحفر في الجبل عن عروقه وبعض يلقط من حصاة إذ غسل من ترابه، وخاصيته أنه ينفع من السم القاتل إذا شرب، ينظر: أبو الريحان

يوجد هذا المعدن في (أرض النوبة) ، وفي صعيد مصر من جنوب النيل ، إذ ذكر ابن حوقل أنه ليس بجميع الأرض معدن للزمرد غيره ، ويوجد أيضاً في ناحية سميت باسمه (ناحية الزمرد) شمال النيل[1].

٩- المرجان[2]:

وصف ابن حوقل هذا المعدن أنه نبت ينبت كالشجر في الماء ثم يستحجر في الماء بين جبلين عظيمين ، أما أماكن وجوده ، فذكرها ابن حوقل في إقليم المغرب في قرية(مرسى الخزر) ، ومدينة تنيس ، ومدينة سبته المحاذية للأندلس ، وهي المعروفة بالجزيرة الخضراء ، وبها من المرجان قليل الجوهر والمقدار موازنة مع ما يخرج من مرسى الخزر ، أما تجارته فذكر أنها تدر أموال كثيرة من أقطار النواحي ، وهناك سماسرة لبيع وشراء المرجان ، ويعمل في هذه الجزيرة (الخضراء) لاستخراج المرجان الخمسون قارباً ، وما زاد على ذلك في القارب العشرون رجلاً إلى ما زاد ونقص[3].

ومن الأحجار والجواهر التي ذكرها ابن حوقل ، الخماهن[4] والبلار في(جبل المقطم) ، شمال نهر النيل في إقليم مصر[5].

أما في إقليم خراسان فذكر ما يوجد من الأحجار في مدينة (بذخشان) بقوله: "ويرتفع منها الحجارة ذات الجوهر النفيس التي تداني الياقوت في الحسن والرونق

محمد بن أحمد البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر،(حيدرآباد الدكن: ١٣٥٥هـ)، ص١٦٠- ص١٦٣.

١ - صورة الأرض ، ص١٤١.

٢ - المرجان: هو صغار اللآلئ، ينظر: البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٣٧- ١٣٩، واطلق اسم المرجان على العروق الحمر التي تستخرج من البحر ويتخذ منها الحلي والأعلاق والسبح، انظر: الجاحظ، التبصر بالتجارة، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد (١٩٦٦م) حاشية، ص١٨.

٣ - صورة الأرض، ص٧٦- ص ٧٧.

٤ - الخماهن نوع من الحجر يستعمل في الجلاء، ينظر: البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص٢١٥- ٢١٦، شيخ الربوة، نخبة الدهر، ص٨٣.

٥ - صورة الأرض، ص١٤١.

البديع من الاصباغ الموردة والرمانية والاحمر القانئ الرفيع والخمري الصبغ وهي أصل اللازورد"[1] ، ويوجد في مدينة(بنجهير) من الاحجار اللازورد والجوهر[2] ، وفي مدينة (نوقان) يوجد الفيروزج[3] والخماهن والدهنج[4]. أما في إقليم (مار وراء النهر) فيوجد الفيروزج في جبل(وركة)[5].

ب- اهم الصناعات:

١- الحياكة:

تعتمد هذه الصناعات على المواد الأولية (الزراعية والحيوانية) وسنورد ما ذكره ابن حوقل عن المناطق التي اشتهرت بهذه الصناعات في الأقاليم الإسلامية.

ففي إقليم(مصر) ، يعمل في مدينتي(تنيس ودمياط) رفيع الكتان وثياب الدبيقي[6] ، وب في مدينة (الاشمونين) ثياب من الكتان ، وفي مدينة (بهنسة) الستائر[7]. أما في إقليم(المغرب) ، فتعمل ثياب الحرير ، وفي مدينة(طرابلس) تعمل المنسوجات الصوفية وطبقات الأكسية الفاخرة[8].

---

١ - المصدر نفسه ، ص ٣٧٤، واللازورد: معدن مشهور تعريب لازورد، ينظر: ادي شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٤١.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٧٥.

٣ - الفيروزج: حجر لا يعمل فيه المبرد، ولا يتغير في النار والماء الحار، ولونه أزرق، وهو أصلب من اللازورد، ينظر: الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص٢٠، البيروني، الجماهر في معرفة الجواهر، ص١٦٩- ص ١٧٢.

٤ - صورة الأرض، ص٣٦٣، والدهنج من العقاقير وهو أكثر خضرة من الفيروزج، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٤٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص٤٠٢.

٦ - الدبيقي: نوع من النسيج اشتهرت بصناعته مدينة مصرية في القرن (٤هـ/ ١٠م) كانت تسمى الدبيقي، وربما بلغ الثوب الدبيقي مائة دينار ، ينظر: الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، ص٤٦.

٧ - صورة الأرض، ص١٤٩.

٨ - المصدر نفسه ، ص ٧١.

أما في بلاد (الأندلس) فتعمل ثياب الكتان ، والمشمعات المطرية والأنماط[١] والديباج [٢] ، وأشار إلى صناعة اللبود في هذه البلاد بقوله: "ولم يساورهم في أعمال لبودهم أهل على وجه الأرض ، وربما عمل لسلطانهم لبود ثلاثينيَّة يُقَّوم اللبد منها بالخمسين والستين ديناراً ، غير أنه جُعل عروضها خمسة وستة أشبار فهي من محاسن الفَرش"[٣] ، ويعمل عندهم من الخز السكب والسفيق[٤].

أما في إقليم(خوزستان) ، فتعمل في كورة(نهر تيرى) ثياب تشبه ثياب بغداد ، وفي مدينة(تستر) يعمل الديباج ، وفي مدينة(السوس)[٥] الخزوز الثقيلة وفي مدينة (بصنى) الستور المشهور بجميع الأرض المختوم عليها بصنى ، وتعمل بمدن (برذون وكليوان) وغيرهما من المدن ستور يكتب عليها بصنى وتُدلَّسُ في ستور بصنى[٦].

أما في إقليم (فارس) فتعمل بمدينة (سينيز) ثياب الكتان السينيزيّ ، إذ وصف ابن حوقل هذه الثياب بقوله: "وقد وقع الأجماع أن الطيب لا يعلق ويعبق بشيء من الثياب لعلقه وعبقه بها لترفها ونعمها وقال آخرون: بل بخاصية في كتانها". ويعمل بمدينة(توج) الثياب التوزيّة التي لا يشبهها شيء من ثياب الأرض في جنسها. وفي مدينة(فسا) تعمل أنواع من الثياب وبها طراز الوشي الذي ليس بسائر الآفاق مثله إذ

---

١ - الأنماط: ضرب من البسط ، ينظر: محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة،(بيروت- لبنان)،ج٥، ص٢٣٤.

٢ - الديباج: من الدبج، وهو النقش والتزويق، ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٧٦.

٣ - صورة الأرض، ص١٠٩.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٠٩، والخز: هو أما حرير ويطلق عليه المسلمون (القز)، وذلك قبل غزله، وإذا ما غزل سموه(إبريسم) وعندما يخلط مع الصوف يسمى خزاً، وإذا صبغ الابريسم بالألوان يسمى عند ذلك الحرير، ينظر: مصطفى جواد، في الصناعات والفنون القديمة، مجلة غرفة تجارة بغداد، ١٩٤١م، ص٥٧، أما السكب: هو من الثياب الدقيقة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج٢، ص١٦٩ ، أما السفيق: الكثيف(سفقه الحائك)، ينظر: المصدر نفسه ، ج٢، ص١٥٩.

٥ -الخزوز: جمع خز، وهو نوع من الثياب معروف، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص٢٣١.

٦ - صورة الأرض، ص٢٣١.

كان مذّهبا ، ويعمل في هذه المدينة أيضاً من الصوف ثياب للفُرش: للسلطان ، والتجار. وكذلك كللٌ مرتفعةٌ من سائر أصناف الحرير ، ويُعمل فيها من القز للسلطان ستور معيَّنة ، وكذلك ثياب القز والصوف الفاخرة التي تحمل إلى كثير من الأمصار ، و(السُوسن جرد)الذي يكون فيها أرفع ممايكون في قرقوب وتَّوج وتارم ، وتُعمل فيها أكسية القز ، وفي مدينة(جهرم) يعمل من الثياب الوشي الرفيع ، والبُسط ، والنخاخ[1] ، والمُصليات ، والزلالي المعروفة بجميع الأرض بالجهرمي فلا نظير لها ، ويعمل في(يزد ، وابرقوية) ثياب من القطن ، وفي مدينة الغندجان(قصبة دشت بارين) البسط والستور والمقاعد وأشباه ذلك ما يوازي بع عمل الأرمني ، ويعمل بها أيضاً طراز للسلطان ، وبكورة(دارا بجرد) يعمل الطبريّ ، وفي مدينة(سابور) ثياب تعرف بالسابوري[2] ، وفي مدينة (جنابة) يعمل طراز للكتان ، وفي مدينة(شيراز) تعمل الأبراد[3] المشهورة في أكثر أقطار الأرض بالشيرازية[4].

أما في إقليم(كرمان) فتحدث ابن حوقل عن صناعة الملابس بها فقال: "ويعمل ببم ثياب من قطنهم فاخرة حسنة رفيعة باقية... ومن طريف ما يعمل من ثيابهم الطيالسة المقورة في المناسج تُنسج برفارف ، والثياب الرفيعة فيما يبلغ الثوب ثلاثين ديناراً وأكثر وأقل... ولهم عمائم معروفة أيضاً مرتفعة يرغب فيها أهل العراق ومصر وخراسان ، ولثيابهم بقاء مستفاض كبقاء العدني والصغاني من خمس سنين أقله

---

١ - البسط: تستعمل لأغراض مختلفة، فهناك ما يفرش منها على الأرض وهي أما كبيرة وتسمى البسط، أو مستطيلة وتسمى الانخاخ، ينظر: ابن سيده، المخصص، ج٤، ص٧٤، الدورى، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٩٣.

٢ - السابورى: هو الرقيق الناعم من كل ثوب والأصل في النسبة إلى نيسابور، عرب فقيل سابرى، ينظر: أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لطائف المعارف، تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي، (القاهرة، بلا تاريخ)، ص٤٢٩.

٣ - الأبراد: ثوب فيه خطوط وخص بعض الشيء، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص١٨٩.

٤ - صورة الأرض، الصفحات:٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣.

إلى عشرين سنين مع الكد"[1].

أما في إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) ، فتشتهر مدينة(باب الأبواب) بعمل ثياب الكتان التي تعمل على عروض الأبدان وليس بهذا الإقليم من ثياب إلا في هذه المدينة. وتشتهر مدينة(دبيل) بالثياب المرعزى[2] ، ويعمل فيها ما يعرف من عملهم بالارمني من التبوت والمقاعد والبُسط والانخاخ والمساور والوسائط والانماط[3].

أما في إقليم(الجبال) فيعمل بمدينة(اصبهان) العتابي[4] والوشي وسائر ثياب الإبرسيم والقطن [5].

أما في إقليم(الديلم وطبرستان) فيعمل في مدينة الري الثياب المنيرية[6] والابراد والاكسية ، وفي ناحية(طبرستان) ثياب القطن ولنظارة الثوب كانت تنسج ثيابهم القطنية بالذهب ، ويعمل ايضا مناديل القطن والشرابيات[7] والدساتك[8] الساذجة والمذهبة ، وفي مدينة (قومس) تعمل أكسية مشهورة تحمل إلى الآفاق[9].

أما في إقليم (خراسان) فتشتهر مدن (نيسابور ومرو) بعمل انفس ثياب القطن والإبرسيم ، حيث وصفت ثياب نيسابور بالجودة ، وفي مدينة(كابل) تعمل ثياب من القطن[10].

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٧١.

٢ - المرعزى: هو اللين من الصوف، ينظر: الجواليقي، المعرب، ص٣٠٧،ص ٣٠٨.

٣ - صورة الأرض، ص٢٩٢،ص ٢٩٤.

٤ - العتابي: نسبة إلى محلة العتابية ببغداد وتنسب إليها، تحاك من خيوط القطن والحرير ورقيق الملمس بديع الصنعة، وكانت تصبغ بعد نسجها بلونين أو أكثر، ينظر: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير، الرحلة، مطبعة المكتبة العربية(بغداد: ١٩٣٧م)، ص٢٠٤، حمدان الكبيسي، أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي، دار الحرية للطباعة (بغداد: ١٩٧٩م)، ص٢١٨.

٥ - صورة الأرض، ص٣٠٩.

٦ -المنيرية: ثوب ذو نيرين اذا نسج على خيطين، وهو أن ينار خيطان معاً ويوضع على الحفة خيطان، ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج٣، ص٧٥٤.

٧ - الشرابيات: عصابة تشدها النساء في المغرب حول الرأس، دوزى، المعجم المفصل، ص٨٤.

٨ - الدساتك: الثياب، ينظر: ادي اشير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٦٣.

٩ - صورة الأرض، ص٣٢١، ص ٣٢٤.

١٠ - صورة الأرض ، ص٣٦٣، ص ٣٦٥، ص ٣٧٥.

وفي إقليم(ما وراء النهر) فتعمل بمدينة الطواويس ، ثياب القطن ، وتشتهر مدينة الطواويس (بخارا) بنوع من الثياب سمي(البخارية) نسبة إليها ، ووصفها ابن حوقل أنها كرابيس(ثياب خشنة) ثقال الأوزان غليظة السلك مبرمة الغزل ، وكذلك البسط ، وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ، ومقاعد ومصليات وتشتهر مدينة(ويذار) بالثياب القطنية التي تسمى(بالويذارية) التي تلبس خاماً ، وفيها قليل من الصفرة وكأنها للينها خزاً [1].

٢- الصناعات الغذائية:

تعتمد هذه الصناعات على مواد أولية(زراعية وحيوانية) ، وقد تحدث ابن حوقل عن مناطق توزيعها وسنوردها كالآتي:-

ففي إقليم(الجزيرة) ، يعمل برستاق(السروج) من الزبيب لكثرته الرب[2] ، ويتخذ منه الناطف [3].

أما في إقليم(الشام) ، فيشتهر بعمل ناطف الزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم ، إذ وصفه ابن حوقل بأنه لم ير مثله شبهاً إلا ببخارا ، فإنه يزيد عليه في الحلاوة ، وقد جعل أهل بخارا فيه الطيب على العموم فهو لذيذ ، وفي مدينة (حلب) يعمل الخل [4].

أما في إقليم(مصر) ، فيصنع السكر المستخرج من قصب السكر في ضيعتي (الصافية ودمى جمول) حيث توجد معاصر القصب ، ويعمل في ضيعة(شبروا) شراب العسل وهذا الشراب مشهور في جميع الأرض للذته ونشوته وخمر رائحته[5].

---

١ - المصدر نفسه، ص٤٠٣، ص ٤٠٤، ص ٤٢٥.

٢ - الرب: المربى، ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح تاج اللغة والصحاح، ط٢، تحقيق احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، (بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج١، ص١٣١.

٣ - صورة الأرض، ص٢٠٧، والناطف: ضرب من الحلواء، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، حاشية(١٢)، ص٢١٢.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦٦، ص ١٦٣.

٥ - صورة الأرض ، ص١٣٤، ص ١٥٠.

أما في إقليم(خوزستان) ، فيعمل في قرية(آسك) الدوشاب(الدبس) الآسكي الذي يفضل على كل دبس من الرجاني وغيره [1]. وفي إقليم(كرمان) ، فيعمل الفانيد(السُكر) في نواحي (هرموز ، الاخواش) ، وذلك لوجود قصب السُكر[2].

أما في إقليم(السند) ، فيعمل في مدينة(المنصورة) القند ، ووصفه ابن حوقل بالكثرة ، لوجود قصب السُكر ، ويعمل في مدن(قامهل ، سندان ، صيمور ، كنباية) من النارجيل [3] الخمور ، وكذلك الخل الذي في غاية الحموضة ، وفي مدينة (خرذان) يعمل الفانيد[4].

٣- الصناعات الأخرى:

ذكر ابن حوقل صناعات أخرى في بعض الأقاليم التي زارها منها صناعة الدرق اللمطية [5] في مدينة (لمطة) في إقليم المغرب. وصناعة(الورق) في (صقلية) حيث ذكر ما تعمل من طوامير القراطيس في مدينة بلرم ، وذلك لوجود البربير-البردى- ويشتهر بهذه الصناعة أيضاً إقليم(ما وراء النهر) والتي لا نظير لها في الجودة والكثرة[6]. وصناعة(المداد الأسود) لدوى الكتاب في إقليم(فارس) حيث يفضل على كل مداد في

---

١ - المصدر نفسه، ص٢٣٢.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٧٢.

٣ - النارجيل: هو الجوز الهندي، وشراب النارجيل يكون أيض فإذا شرب منه فهو حلو كالعسل فإذا ترك يوماً صار مسكر، ينظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص١٢، القزويني، عجائب المخلوقات، ص٢٦٧.

٤ - صورة الأرض، الصفحات:٢٧٧،٢٨٠، ٢٨١.

٥ - الدرق اللمطية: نسبة إلى مدينة(لمطة)، وذكرها أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهيري، نسبة إلى حيوان يسمى اللمط ومن جلده تصنع الدرق اللمطية التي هي أعجب ما يكون إذ ضربت برمح أو سيف لا يمض بها، ينظر: كتاب الجغرافية، اعتنى بتحقيقه محمد حاج صادق(دمشق: ١٩٦٨م)، ص١٨٩، أو ربما نسبة إلى قبيلة من البربر بأقصى المغرب، ينظر: ابن تغر بردى، النجوم الزاهرة، ج٤، حاشية رقم(١)، ص٨٢.

٦ - صورة الأرض، ص٩١.

الأرض غير الصيني[1] ، وصناعة أصباغ التزاويق والعطور ، التي تعمل في كورة(جور) في إقليم(فارس) ، ومنها ماء الورد ، ماء الطلع ، ماء القيسوم ، إذ تنفرد (جور) بصناعته ، ماء الزعفران ، ماء الخلاف ، ودهن الخلاف الذي يصنع منه أيضاً في مدينة(مراغة) في إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) حيث لا يدانيه دهن في جميع أقطار الأرض إلا الحيرى والبنفسج اللذان يعملان(بالكوفة)[2]. ومن الصناعات الأخرى التي أشار إليها ابن حوقل ، ما ذكره عن جزيرة(صقلية) ، إذ تصنع السفن في مدينة (الخالصة) وتعمل حبال مراسي المراكب في مدينة(بلرم)[3] ، وكذلك ما ذكره عن عمل الآت الحديد التي لم يشر إلى أنواعها في إقليم(ما وراء النهر) في مدينتي (مينك ومرسمندة) ، ومما يساعده على هذه الصناعة كون الحديد في هذه المناطق يتصف باللليونة [4].

رابعاً: التجارة:

لا شك أن التجارة ومواردها ، تعتمد اعتماداً أساسيا على ما تنتجه الزراعة من حاصلات ، وما تنتجه الصناعات الحرفية من سلع ، فضلاً عن الثروات الطبيعية والحيوانية ، ونتيجة للتفاوت بين وجود هذه المواد وندرتها بين الأقاليم مما يؤدي إلى قيام عملية التبادل التجاري.

هذا وإن النشاط التجاري يحتاج إلى طرق سالكة سواء أكانت(برية أم نهرية أم بحرية) ، فلا يخلو وصف ابن حوقل بوصفه رحالة جاب البلدان من ذكر للطرق التجارية بين الأقاليم الإسلامية ، وتحدث عن المواد المصدرة والمستوردة والعلاقات التجارية التي تنشأ نتيجة لعملية التبادل التجاري بين تلك الأقاليم وأشار ابن حوقل في حديثه عن النشاط التجاري إلى أهم المراكز التجارية الناشئة بسبب اتساع عملية

---

١ - المصدر نفسه، ص٢٦٢.

٢ - المصدر نفسه، الصفحات:٢٦٠- ٢٦١، ٢٨٨.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٦٢.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٦٢.

التبادل التجاري وما يتطلبه ذلك من استقرار التجار في المناطق البعيدة كما جاء في وصفه لمدينة سجلماسة في إقليم(المغرب) إذ يقول: "وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة ، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق ، فهم وأولادهم وتجاراتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونُعم سابغة ، قلَّما يدانيها التجار في بلاد الإسلام سعةِ حالٍ"[1].

أ- الطرق التجارية:

١- الطرق البرية:

وصف ابن حوقل طرق المواصلات البرية الرئيسة بين الأقاليم التي زارها ، ومثال ذلك ، ما جاء في وصفه لشبكة الطرق التي تمر بمفازة خراسان وفارس وهي طريق أصبهان- الري ، طريق كرمان- سجستان ، وطريقان من فارس وكرمان إلى خراسان ، طريق شور[2] ، طريق زاور[3] ، طريق خبيص (مدينة على حدود كرمان) إلى خراسان[4] ، واقتصر ابن حوقل في وصفه لطرق هذه المفازة على الطرق السالكة منها بقوله: "ولا أعلم فيها طريقاً مسلوكاً غير ما ذكرته"[5] ، فضلاً عن وصفه طريق يخرج من أصبهان إلى قومس غير أنه قلما يسلك إلا عند الضرورة[6].

وفضلاً عن ذكره لطرق المواصلات البرية الرئيسة ، أفرد ابن حوقل مادة ذكر فيها الطرق بين المدن المختلفة في الإقليم الواحد ، ويبدو ذلك واضحاً فيما ذكره مثلاً عن

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٦٢.

٢ - شور: اسم ماء مالح في المفازة، صورة الأرض ، ص٣٤٣.

٣ - زوار: قرية عامرة ولها حصن من حدود كرمان، المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - صورة الأرض، ص ٣٤٣.

٦ - المصدر نفسه، ص٣٤٣.

طريق أقاليم(الشام[1] ، الجزيرة[2] ، فارس[3]).

ويأتي وصفه للطرق أحياناً أما في اختتام كلامه عن كل إقليم من الأقاليم[4] ، أو في بداية وصفه للأقاليم[5] ، وفي وصفه للطرق أحياناً يختار مركزاً تلتقي فيه خطوط الطرق ، ونلمس ذلك بوضوح في وصفه لطرق الحج التي تلتقي في المدينة ومن ثم إلى مكة[6].

ولا يتبع ابن حوقل في ذكره للمسافات وحدة قياس خاصة بل يذكرها أما (بالأشهر)[7] أو(بالمرحلة)[8] أو(بالأيام)[9] أو (بالبريد)[10] أو(بالفرسخ)[11] وأدق وحدات القياس هذه الفرسخ ، وربما يعود سبب تنوع وحدات القياس إلى تنوع المصادر التي اعتمدها ابن حوقل في هذا المجال.

ومما يجدر ذكره أن ابن حوقل لا يكتفي بذكر المسافات ، وإنما يصف أهم معالم

---

١ - صورة الأرض ، ص١٦٠ وما بعدها.

٢ - المصدر نفسه، ص١٩٠ وما بعدها.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٤٨ وما بعدها.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٤٣.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٤٣.

٦ - المصدر نفسه، ص٤٦.

٧ - المصدر نفسه ، ينظر: على سبيل المثال، ص٢١١.

٨ - المصدر نفسه، ينظر: مثلاً، الصفحات:١٧٠، ١٧١، ٢١١، ٢١٩، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٣، ٣٠٨، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٤٢- ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٥٦، والمرحلة عند (جغرافي القرن الثالث والرابع الهجري) تساوي يوماً.

٩ - المصدر نفسه، ينظر: على سبيل المثال، الصفحات:١٧٠، ١٧١، ١٨٣، ٣٣٧، ٣٧٩، ٣٨٠، واليوم يساوي ٨ فراسخ، ينظر: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص٧٣.

١٠ - المصدر نفسه ، ص١٧٨، والبريد في بلاد الروم يساوي فرسخ، ابن حوقل، المصدر السابق، والصفحة، وذكر المقدسي أن البريد يساوي١٢ ميلاً، وبالشام وخراسان(٦) أميال، أحسن التقاسيم، ص٦٦، أي ما يعادل حوالي٢٤ كم، ينظر: هنتس، المكاييل والأوزان، ص٨٢.

١١ - ينظر: على سبيل المثال: صورة الأرض ،الصفحات:١٧٩، ١٩٩، ٢٠٢- ٢٠٣، ٢٤٨- ٢٥١، ٢٨٢، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦- ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٣٦، ٣٤٣- ٣٤٥، ٣٥٦، ٣٧٩، ٤٠٥.

الطريق من(مدن وقرى......)[1]. ويصف أيضاً المخاطر والصعوبات التي تحف ببعض الطرق وتجعلها طرقاً غير آمنة ، ويتضح ذلك مثلاً في وصفه للطرق الصحراوية التي يصعب سلوكها بسبب قلة التجمعات السكانية فيها كما في وصفه لطريق عمان إذ يقول: "وطريق عمان يصعب سلوكه في التربة لكثرة القفار وقلة السكان"[2] ، وكذلك عدّ ابن حوقل عدم الاستقرار السياسي من المعوقات التي تجعل الطرق البرية غير آمنة كما في وصفه لطريق(عمان-البحرين) إذ يقول: "طريق شاق يصعب سلوكه لتمانع العرب وتنازعهم فيما بينهم"[3]. ويتضح أيضاً من وصفه لطريق(البصرة-البحرين) أن قلة المياه في الطريق على البر جعل البعض يسلك الطريق الساحلي بدلاً من الطريق البري هذا على الرغم من بعد الطريق الساحلي وخطورته ، ويبدو واضحاً في قوله: "ومن البصرة إلى البحرين على الجادة احدى عشر مرحلة...... وهو على الساحل ثماني عشرة مرحلة وفي قبائل العرب ومياههم وهو طريق عامر غير أنه مخوف"[4] ، ومن الصعوبات التي تجعل الطرق البرية غير آمنة هي وجود اللصوص في بعضها ، ويتضح ذلك في وصف ابن حوقل لطريق(الري-أصبهان) بقوله: "فالطريق من الري إلى أصبهان بين سياه كويه(جبل اسود) وكركس كويه(مفازة)....... وبسياه كويه أيضاً مأوى للصوص وليس بقربة عمارة"[5].

ومما يجدر ذكره أن ابن حوقل ذكر أحيانا سبب تسمية بعض الطرق بأسمائها فمثلاً ما جاء بتسميته طريق شور المار في(مفازة خراسان وفارس) أنه: "مضاف إلى اسم ماء مالح في المفازة وليس باسم قرية ولا مدينة"[6].

---

١ - صورة الأرض ،ينظر: على سبيل المثال: المصدر نفسه ،الصفحات:١٧٩، ٢٤٨، وما بعدها: الصفحات:٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦- ٣٠٧، ٣٢٦، ٣٤١.

٢ - المصدر نفسه ، ص٤٧.

٣ - المصدر نفسه ، ص ٤٧.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٤٢.

٦ - صورة الأرض ، ص٣٤٣.

ومما يُلاحظ من وصف ابن حوقل للطرق البرية أنه لم يتطرق إلى ذكر وسائل النقل من (الجمال أو البغال أو الحمير......).

٢- الطرق النهرية:

ترد عند ابن حوقل إشارات عن الطرق التجارية النهرية تتضمن مدى صلاحيتها للملاحة ، والعقبات التي تعيق عملية الملاحة النهرية في بعض منها ، ومن الأنهار التي ذكرها ابن حوقل على أنها صالحة للملاحة ، نهر دجلة ، ونهر الفرات ، ونهر عيسى(الصقلاوية حالياً)[١] ، ونهر المسرقان (في إقليم خوزستان)[٢] ونهري(الكر ، الرس) في إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن)[٣] ، والأنهار(غاوخوارة ، مذارى ، هزارسب ، وذاك ، جيحون) في إقليم (ما وراء النهر)[٤] ، وفضلاً عن ذكره للأنهار الصالحة للملاحة ، ترد عنده من وصفه لنهر(سبيذرون) في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن) إشارات إلى الأنهار غير الصالحة للملاحة ويتضح ذلك بقوله : "أنه يصغر عن جرى السفن - فيه"[٥].

أما عن معوقات الملاحة النهرية ، ففي وصفه لنهر الصراة ترد إشارة إلى الحواجز والموانع التي تعيق عملية الملاحة جاء فيها: "والصراة فيها حواجز وموانع من جرى السفن بسكور[٦] ودوال[٧] فيها ، فتنتهي السفن فيها إلى قنطرتها ثم يحول ما يكون فيها فيجاوز به ذلك الحاجز إلى سفن غيرها"[٨] ، وأيضاً ما ذكره عن معوقات

١ - المصدر نفسه ، ص١٨٩، ص٢١٧، ص٢١٨.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٢٨، ويتفرع نهر المسرقان من نهر كارون في قسمه العلوي، ينظر: خارطة ابن حوقل لإقليم خوزستان.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٩٦، وهما نهرا سيرس واراكس والنهران يقعان بين مدينتي الباب وموقان.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٩٦، ونهر جيحون هو نهر(اموداريا).

٥ - المصدر نفسه، ص٢٩٦، وينظر: كذلك: ص٣٢٢.

٦ - السكر: اسم ذلك السد الذي يجعل سداً للشق ونحوه، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج٢، ص١٧١.

٧ - دوالي: جمع دالية، آلة تسقى بها الأرض العالية أي التي لا يمكن سقيها سيحاً، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٦.

٨ - صورة الأرض، ص٢١٧.

الملاحة في نهر دجلة عند خور الأُبلة ، والوسائل المتبعة لتسهيل مهمة الملاحة في هذه المنطقة من النهر بقوله: "وكان على ركن الأُبلة في دجلة بين يدى نهرها خور عظيم الخطر جسيم الضرر... وكانت أكثر السفن تسلم من سائر الأماكن في البحر حتى ترده فيبتلعها وتغرق فيه ، بعد أن تدور على وجه الماء أياماً ، وكان يعرف بكرداب الأبلة وخورها فاحتالت له بعض نساء بني العباس بمراكب اشترتها ، فأكثرت منها وأوسقتها بالحجارة العظام وبلَّعتها ذلك المكان فابتلعها ، وقد توافت على مقدارٍ فانسد المكان وزال الضرر في وقتنا هذا عما كان عليه"[1].

وتحدث ابن حوقل عن تأثير ظاهرة المد والجزر على الملاحة النهرية كما يتضح من وصفه الدقيق لنهر المسرقان قائلاً: "وركبته- أي نهر المسرقان- من عسكر مكرم إلى الأهواز والمسافة عشرة فراسخ ، فسرنا في الماء ستة فراسخ ثم خرجنا وسرنا في وسط النهر وكان الباقي من هذا النهر إلى الأهواز طريقاً يابساً لأن ذلك كان في آخر الشهر والقمر في نقصانه ، فنقص الماء عن ملء النهر من قبل المد والجزر اللذين ينقصان ويزيدان بزيادة القمر"[2].

وانتبه ابن حوقل لظاهرة سرعة جريان المياه وتأثيرها على عملية الملاحة النهرية ، ويتضح ذلك من وصفه لنهر جيحون إذ تزداد سرعة جريانه بسبب ضيق مجرى النهر في موضع يعرف (أبو قوشة) ، إذ يقول: "وفي نهر جيحون قبل أن يبلغ نهر غسا وخواره بنحو مرحلة جبل يقطع جيحون في وسطه قطعاً ، ويضيق الماء هناك حتى يعود عرض جيحون إلى نحو الثلث منه ، ويعرف هذا الموضع بأبو قوشة وهو موضع يخاف على السفن فيه من شدة جريه والهور الذي عند مخرجه" [3].

ومن كل ما سبق ، يتضح أن معلومات ابن حوقل قد وضحت أهم الأنهار التي تصلح للملاحة النهرية ، وكذلك أهم المعوقات التي تعيق حركة الملاحة فيها ، وتأثير

---

١ - المصدر نفسه، ص٢١٣.

٢ - المصدر نفسه، ص٢٢٨، وينظر: ايضا ما ذكره عن معوقات الملاحة في نهر النيل، ص١٣٧.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٩٧.

بعض الظواهر الطبيعية على الملاحة النهرية أيضاً.

٣- الطرق البحرية:

تعد الطرق البحرية من الطرق التجارية التي ارتادها المسلمون، فقد ذكر ابن حوقل كثيراً من الموانئ، وهذا ما يؤكد أهمية هذه الطرق بنقل المواد التجارية من وإلى الأقاليم الإسلامية، فذكر مينائي (جنابة، وسيراف) على ساحل الخليج العربي[١]، وميناء صحار على (خليج عمان)[٢]، والشحر على (البحر العربي)[٣]، وبيروت والفرما والإسكندرية وسبتة وتنس وطرابلس، ووهران على ساحل (البحر المتوسط)[٤]، والدبيل على (المحيط الهندي)[٥]، واطرابزنده على بحر نيطش (الأسود)[٦]، وباب الأبواب وابسكون على بحر الخزر (قزوين)[٧].

ولم يقتصر ابن حوقل على ذكر الموانئ والمراسي وأهميتها التجارية فحسب، بل وصف بعض المراسي من حيث مبلغ الأمان، كما جاء في وصفه لمرسى وهران في (إقليم المغرب): "... فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن"[٨].

وعلى الرغم من وصف ابن حوقل الدقيق لأشهر بحار الأقاليم الإسلامية، إلا أنه بوصفه هذا أغفل تتبع الطرق التي تسلكها السفن التجارية في هذه البحار آنذاك.

ومما يجدر ذكره أن ابن حوقل لم يغفل الإشارة إلى المعوقات التي كانت تعترض هذه الطرق البحرية، إذ إن حركة السفن في البحار تتأثر بالظروف الطبيعية سواء أكانت المناخية أم طبيعة الساحل، فضلاً عن طبيعة المياه فيها من حيث العمق أو

---

١ - صورة الأرض، ص٥٤.

٢ - المصدر نفسه، ص٤٤- ص ٤٥.

٣ - المصدر نفسه، ص٥٣.

٤ - المصدر نفسه، الصفحات:١٦٢، ١٣٦، ١٤١، ٧٩، ٧٨، ٧١، ٧٨.

٥ - المصدر نفسه، ص٢٧٩.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٩٥

٧ - المصدر نفسه، ص٢٩١، ص٣٢٩.

٨ - المصدر نفسه، ص٧٩.

الضحالة ، ويتضح من وصف ابن حوقل لبحر القلزم(الأحمر) ما يُبين معوقات الملاحة لكثرة الجبال التي تعيق الملاحة فيه ، والتي يطلق عليها حالياً تسمية (الشعب المرجانية) بقوله: "وفي هذا البحر ما بين القلزم وآيلة(إيلات) مكان يعرف بتاران وهو أخبث ما في البحر من الأماكن وذلك أنه دواره... إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح قسمين ، فتنزل على شعبتين في هذا الجبل متقابلتين فتخرج الريح من كمي هاتين الشعبتين ، فتثير البحر وتتلبد كل سفينة فيه تقع في تلك الدوار باختلاف الريحين وتتلف.... وإذا كان الجنوب ادنأ مهب فلا سبيل إلى سلوكه ، ومقدار هذه الصورة الصعبة والمكان القبيح نحو ستة أميال"[1] ، ومن الصعوبات أيضاً ما يعترض السفن التجارية أثناء عمليات القرصنة في بعض البحار ، ويتضح ذلك من وصفه لعملية الملاحة البحرية في بحر الخزر (قزوين) إذ يقول: "ولهذا البحر زنقة (لسان من البحر ممتد في البر) بناحية سياه كويه يخاف على السفن إذا أخذتها الريح هناك تتكسر ، وإذا انكسرت هناك لم يتهيأ جمع شيء منها من غلبة الأتراك عليها فإنهم يستولون على ما فيها"[2].

وتحدث ابن حوقل أيضاً عن الجهود التي بذلت من أجل تنظيم الملاحة البحرية والسيطرة على السفن الداخلة والخارجة إلى الموانئ ، وفرض الضرائب لهذا وضعت ما يسمى بـ(المآصر)[3] على البحار ، ويتضح ذلك من وصفه لمدينة(باب الأبواب) على بحر(الخزر) بقوله: "في وسطها مرسى للسفن ، وفي هذا المرسى الخارج من البحر إليها بناء قد بني كالسُدّ بين جبلين مطلين على ماء هذا المرسى الخارج ماؤه من بحر

---

١ - صورة الأرض، ص٥١.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٣٠

٣ - المآصر: سلسلة أو حبل يشد معترضاً في النهر يمنع السفن من المضي، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٦، وذكره ابن منظور أن المآصر الحبل الذي يلقى في الماء ليمنع السفن من السير حتى يؤدي صاحبها حق السلطان، لسان العرب المحيط، ج٣، ص٤٩٣، وسميت بالمآصر نسبة إلى قيس المآصر لأنه أول من مأصر الفرات ودجلة، ينظر: ميخائيل عواد، المآصر في بلاد الروم والإسلام، مطبعة المعارف، بغداد: ١٩٤٨م.

الخزر ، وفي هذا السد باب مغلق على الماء قد استحكم من رصيده بعقد قد عقد على نفس الماء والماء من تحته. وللسفن مدخل مقلوب من ناحية بابه وعلى فم المدخل الذي تدخل فيه السفن سلسلة محددة كالتي بصور وبيروت والشام ، وعلى خليج القسطنطينية. وعليها قفل لمن ينظر في أمر البحر فلا يخرج المركب ولا يدخل إلا بأمر صاحب القفل"[1].

وتحدث ابن حوقل أيضاً عن تحصين الموانئ لحماية السفن من الظروف الطبيعية التي تعيق عملية الملاحة ويتضح ذلك من قوله: "دهستان- موضع في بحر الخزر كالقرية- وماء البحر بهذه الناحية قصير القعر وهي كالداخلة في البحر فترسى فيها السفن من هيجان البحر"[2]. وكذلك أشار إلى الجهود التي بذلت من أجل تجنب ضحالة المياه حيث نصبت المراقب التي تساعد في عملية الدلالة ويتضح ذلك من وصفه للملاحة في الخليج العربي جاء فيه: "وفي هذا البحر هوارات كثيرة ومعاطف صعبة وأجوان مختلفة ، وأشدها ما بن جنابة والبصرة فإنه كان يسمى هور جنابة ، وهو مكان مخوف لا يكاد تسلم منه سفينة في هيجان البحر. وفيه مكان يعرف بالخشبات من عبادان على نحو ستة أميال على مجرى ماء دجلة إلى البحر ، وربما يرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشية أن تجلس على الأرض ، إلا في وقت المد وبهذا الموضع أربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدي به ، ويعلم به المدخل إلى الدجلة ، وإذا ضلت السفينة فيه خِيف انكسارها لرقة الماء"[3].

ب- الصادرات والواردات:

---

١ - صورة الأرض، ص٢٩١.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٢٩.

٣ - المصدر نفسه ، ص٥٢.

١- **الصادرات:**

ذكر ابن حوقل أهم السلع الصادرة من الأقاليم الإسلامية ، ومما لا شك أنه خير شاهد لما وصل إليه النشاط التجاري في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، وسنورد ما ذكره عن صادرات كل إقليم من هذه الأقاليم:

- صادرات الجزيرة: يصدر من مدينة(عرابان) من الأقطان وثياب القطن إلى بلاد الشام وغيرها(١).
- صادرات مصر: يصدر من مدينة(الكريون) الكروم الذي تجلب أعنابه إلى أماكن مختلفة(٢).
- صادرات(المغرب): يصدر من مدينة(اجدابية) الأكسية وشقة الصوف ومن مدينة(سرت) الشب السرتي والصوف ولحوم المعز ، ومن ناحية(قصري ابن كمو وابن مظكود) الجهاز الكثير من الصوف وطبقات الأكسية الفاخرة والكحل النفوسية ، ومن مدينة(سفاقس) يصدر الزيت إلى مصر ، ومن مدينة(بونه) معادن الحديد الكثيرة والغنم والصوف والماشية والدواب وسائر الكراع والتين ، ومن مدينة(البصرة) يصدر إلى أفريقيا وغيرها غلات كثيرة من القطن ، ومن مدينة(قسطيلية) يصدر إلى جميع الأقطار جهاز الصوف من الشقة والكسى والخيل ، وإلى إفريقيا التمور ، ومن مدينة(أودغست) يصدر إلى بلاد غانة الملح(٣).

وأجمل ابن حوقل قائمة بالمواد المصدرة من المغرب إلى المشرق ، لا شك أنها تكشف عن الصلات التجارية بين هذه الأقاليم إذ يقول: "فأما ما يجهز من المغرب إلى المشرق فالمولدات الحسان الروقة ، كالتي استولدهن بنو العباس وغيرهم وأكابر رجالهم وولدن غير سلطان عظيم... والعنبر والأكسية الصوف الرفيعة والدنية إلى

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٠٠.

٢ - المصدر نفسه، ص١٣٣.

٣ - المصدر نفسه ، الصفحات:٧٠، ٧١، ٧٣، ٨٠، ٩٢، ٩٨.

جباب الصوف وما يعمل منه والأنطاع والحديد والرصاص والزيبق"[1].

- صادرات الأندلس: يصدر منها الكتان إلى مصر ومن مدينة(بجانة) الأردية التي تعمل بها إلى مصر ومكة واليمن - وغيرها[2].
- صادرات(خوزستان): يصدر من مدينة(تستر) الديباج الذي يحمل إلى جميع الآفاق والذي تعمل منه كسوة الكعبة ، ومن مدينة(السوس) الخزوز الثقيلة إلى الآفاق ، ومن مدينة(رام هرمز) ثياب الإبرسيم إلى كثير من المواضع ، ومن قرية آسك الدوشاب الآسكي ويفضل على كل دبس من الرجاني وغيره[3].
- صادرات فارس: يصدر من مدن(كوار وجور) ماء الورد وهو أفضل أجناسه في سائر البلدان إلى المغرب وبلد الروم والأندلس وورومية وارض إفرنجه ومصر واليمن وبلد الهند والصين ، ومن مدينة(سينيز) الثياب السينيزية ، ومن مدينة (جنابة) المناديل الجنابية ، ومن مدينة(توج) ثياب التوزى. ومن مدينة(فسا) ستور تصنع من القز وثياب القز والصوف الفاخرة ، وتصدر إلى كثير من الأمصار. ومن مدينة(جهرم) ثياب الوشي الرفيع ، والبسط والنخاخ والمصليات والزلالي المعروفة بجميع الأرض بالجهرمي. ومن مدينتي(يزد وابرقوية) ثياب القطن التي تصدر إلى كثير من النواحي ، ومن مدينة(الغندجان) البسط والستور والمقاعد وطراز السلطان الذي يصدر إلى الآفاق[4].
- صادرات(كرمان): يصدر من مدينة(بم) ثياب القطن الفاخرة إلى الديار البعيدة ، والثياب الرفيعة والعمائم إلى العراق ومصر وخراسان ، ومن مدينة(زرند) تصدر البطائن المعروفة بالزرندية إلى مصر وأقاصي المغرب. ومن

---

١ - صورة الأرض ، ص٩٤- ص ٩٥.

٢ - المصدر نفسه، ص١٠٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٣٠، ص ٢٣٢.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٦٠- ص٢٦١، ص ٢٣٩.

نواحي(الاخواش) الفانيد(نوع من السكر) إلى سجستان وخراسان[1].

- صادرات السند: يصدر من رستاق(خرذان) الفانيد إلى الآفاق[2].
- صادرات(أرمينية وأذربيجان والرآن): يصدر من مدينة(المراغة) الأغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والشمع وما جانس ذلك من ضروب المتاجر إلى مدينة (الموصل) ونواحي الجزيرة من الحديثة وغيرها ، ومن مدينة(برذعة) التين والإبرسيم إلى بلاد فارس وبلاد الأهواز ، وتصدر سمك البورثان الذي يصطاد في نهر(الرس) إلى أردبيل والري والعراق ، ومن مدينة(باب الأبواب) ثياب الكتان والزعفران ، ومن مدينة(اطرابزندة) الديباج والبزيون[3] وثياب الكتان وثياب الصوف ، والأكسية الرومية ، ومن مدينة(ميافارقين) الدواب والأغنام والثياب والتكك[4] الأرمنية والمقاربة التي تعمل بسلماس[5] والمقاعد الأرمني وكذلك السبينيات[6] والمناديل ، ومن مدينة(الخونج) الأغنام والأبقار[7].
- صادرات إقليم الجبال: يصدر من مدينة(أصبهان) العتابي والوشي وسائر ثياب الإبرسيم والقطن إلى العراق وفارس وخراسان والأهواز ، ومنتجات زراعية من زعفران وفواكه إلى العراق وسائر النواحي. ومن مدينة(همذان) الأغنام الكثيرة

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٧١، ص٢٧٢.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢٨١.

٣ - البزيون: هو رقيق الديباج، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، ج٩، ص١٣٩.

٤ - التكك: هو رباط أو مشد مطرز النهايتين بالحرير الملون وبإحاطته بالجسم لربط التبان (سروال صغير يستر العورة)، ينظر: دوزى، المعجم المفصل، ص٨٢- ص ٨٤.

٥ - سلماس: مدينة مشهورة بأذربيجان ، بينها وبين أرمية يومان، وبينها وبين تبريز ثلاثة أيام، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٨.

٦ - السبينيات: نوع من القماش من القطن أو الصوف وتصنع منه أيضاً أنواع من المناديل والفوط، ينظر: الرسالة الثانية لابي دلف، تحقيق بطريولغاكوف وانس خالدوف، ترجمة وتعليق، محمد منير مرسي(القاهرة: ١٩٧٠م) حاشية رقم(٥)، ص١٨٥

٧ - صورة الأرض، الصفحات: ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٢.

والألبان والأجبان والزعفران ، ومن ناحية(فريذين) العسل والسمن والزبيب وأنواع الغلات من الحبوب ، ومن مدينة (بروجرد) تصدر الفواكه إلى الكرج وهمذان والدينور ، ومن مدينة(كرج روذراور) يصدر الزعفران إلى العراق وسائر النواحي لكثرته وجودته[1].

- صادرات(الديلم وطبرستان): يصدر من مدينة(الري) القطن والثياب والأبرد والأكسية إلى العراق وأذربيجان وغيرها ، ومن مدينة(الدامغان) الأكسية إلى الأقطار ، ومن ناحية (طبرستان) الإبرسيم وثياب الإبرسيم وأكسية الصوف والبركانات[2] والقطن الذي يضاهي قطن صعدة - مدينة باليمن- ويستحسنه أهل العراق[3].
- صادرات(الخزر): ويشتهر هذا الإقليم بتصدير غرى السمك وكذلك ما يصدر من الأنهار الشمالية بناحية(بلغار والروس وكويابه) جلود الخز إلى بلاد الأندلس ، ويصدر من مدينة(أرثا) السمور[4] السود والثعالب السود والرصاص والزيبق[5].
- صادرات خراسان: يصدر من مدينة(نيسابور) أصناف البز [6] وفاخر ثياب القطن والقز إلى سائر بلدان الإسلام وبعض بلدان الترك ، ومن مدينة(مرو) الفاكهة إذ يصدر البطيخ إلى كثير من الآفاق ، والاشترغار [7] الذي يحمل إلى

---

١ - صورة الأرض ، الصفحات:٣٠٩، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٤.

٢ - البركانات: جنس من برود اليمن، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص٢٠٢.

٣ - صورة الأرض، الصفحات:٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤.

٤ - السمور: حيوان بري لونه أحمر مائل إلى السواد ومنه ما يكون أسود لامعاً، واشقر يتخذ من جلده فراء ثمين، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، حاشية رقم(٧)، ص٢٦٢.

٥ - صورة الأرض، ص٣٣٤، ص٣٣٢.

٦ - البز: هو نسيج دقيق، ينظر: ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان، ص٢٥٢، ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص١٩٢.

٧ - الاشترغار: نبت طويل الشوك ترعاه الابل مركب من اشتر أيجمل، ومن غار أي شوك،=

كثير من المواضع ، والإبرسيم والقز إلى جرجان وطبرستان والقطن الجيد الغاية في اللين ، والثياب ، ومن مدينة(كروخ) يصدر الكشمش(المشمش) ، ومن مدينة (مالن) الزبيب الطائفي إلى العراق وسائر البلدان. ومن مدينة(ماراباذ) الأرز إلى كثير من النواحي ، وتصدر أخشاب أشجار العرعر بعد قطعها من غابات الجبال المحاذية لمدينة(هراة) ، ومن مدينة(شورمين) الزبيب ، ومن مدينة(قاين) الطين النجاحي[1] ، ومن كورة(قوهستان) تصدر أنواع من الكرابيس ، ومن مدينة(بذخشان) البجاذى[2] الرفيع والحجارة ذات الجوهر النفيس التي تداني الياقوت في الحسن والرونق البديع من الأصباغ الموردة والرمانية والأحمر القانئ الرفيع والخمرى الصبغ ، ومن مدينة(كابل) ثياب القطن إلى الصين والسند[3].

- صادرات(بلاد ما وراء النهر): تصدر الأغنام والسائمة ، وملابس الصوف والقز ، وطرائف الكرابيس والبز والرقيق الذي يقع اليهم من الأتراك المحيطين بهم ، وما يفيض عن حاجتهم ، إذ إنه خير الرقيق وأكثره ثمناً ، ومن صادراتهم أيضاً المسك الذي يجلب اليهم من التبت وخرخير ، ومن مدينة(القواذيان) الفوه إلى بلد الهند ، ومن مدينة (بخارا) الثياب البخارية وثياب من الصوف للفرش في غاية الحسن ومقاعد ومصليات ، ومن مدينة (كش) الملح والجياد والبغال الفره إلى أقطار خراسان ، ومن ناحية (مينك) الآت الحديد إلى خراسان والعراق ، ومن مدينة (ويذار) الثياب الويذارية إلى

=ينظر: ادى شير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١٠

١ - الطين النجاحي: كان من الأطعمة المحبوبة ويؤكل في آخر الطعام، وهو أخضر كالسلق وأشرق منه، ينظر: آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، مجلد(٢)، ص٣١٣.

٢ - وردت عند ابن منظور(البجادي): كساء مخطط من أكسية الأعراب، ينظر: لسان العرب المحيط، ج١، ص١٦٠.

٣ - صورة الأرض، الصفحات:٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٥- ٣٧٦.

إقليم فارس[١].

ولم يتطرق ابن حوقل إلى صادرات العراق ، لسبب يبدو واضحاً في قوله : "وللبصرة من استفاضة الذكر بالتجارة والمتاع والمجالب والجهاز إلى سائر أقطار الأرض ما يستغني بشهرته عن إعادة ذكر فيه"[٢] ، كما وأنه لم يشر إلى صادرات بلاد الشام وبلاد العرب.

٢- الواردات:

فضلاً عما ذكره ابن حوقل عن صادرات الأقاليم الإسلامية ، توضح معلوماته أيضاً المواد التي تستوردها بعض هذه الأقاليم ، فذكر ما يصل إلى سواحل الخليج العربي من الصوف والقطن والابل[٣] ، وما تستورده ناحية (قصري ابن كمو وابن مظكود) في إقليم المغرب من ضروب الأمتعة والمطاعم من بلد الروم[٤] ، وما يصل إلى بلاد الأندلس ، من بغال التي جمعت عظمة الخلق واختلاف الألوان الصافية والشعور الدهنية مع الصبر على الكد والعسف[٥].

أما واردات إقليم (أرمينية وأذربيجان والرآن)فيصل إلى مدينة(الباب) الرقيق من سائر دور الكفر المصاقبة لها[٦] ، أما إقليم (الخزر) فيستورد العسل والشمع والخز والأوبار والملابس التي تصدر اليهم من نواحي جرجان وطبرستان وأذربيجان والروم[٧]. أما إقليم(خراسان) فيستورد رقيق الغور الذي يصل مدينة(هراة) وإقليم(سجستان) ونواحيه ، ومدينة(البذخشان) تستورد المسك التبتي ، وكورة(الباميان) الفاكهة والغنم فأكثره يجلب إليها من بلاد الغزية ، ومن الغور والخليج. ومن المواد المستوردة لهذا

---

١ - صورة الأرض ، الصفحات: ٣٨٥، ٣٩٤، ٣٩٧، ٤٠٤، ٤٠٧، ٤١٣، ٤١٦، ٤٢٥.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٤.

٣ - المصدر نفسه، ص٥٩.

٤ - المصدر نفسه، ص٧١.

٥ - المصدر نفسه، ص١١٠.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٩٢.

٧ - المصدر نفسه.

الإقليم لحم الغنم وألذه ما يجلب من بلاد الغزية [1]. أما ما يرد لبلاد(ما وراء النهر) من مواد ، فالمعادن ومنها الحديد ، والرقيق الذي يقع إليهم من الأتراك المحيطين بهم وبإقليمهم [2].

ومن خلال ما ذكره ابن حوقل عن المواد التجارية (المصدرة والمستوردة) يمكن تحديد العلاقات التجارية بين الأقاليم الإسلامية وغيرها ، فهناك علاقات تجارية بين إقليم (المغرب) وبين كل من(مصر وأقاليم المشرق وأفريقية والأندلس) علاقات تجارية مع (مصر وخراسان). ولإقليم(الجزيرة) علاقات مع بلاد الشام. ولإقليم(خوزستان) علاقات مع العراق ، ولإقليم (كرمان) علاقات مع(العراق ومصر وخراسان وسجستان) ولإقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) علاقات مع (الجزيرة وبلاد فارس والعراق) ، ولإقليم(الجبال) علاقات مع العراق وفارس وخراسان وخوزستان ، ولإقليم (الديلم وطبرستان) علاقات مع (العراق وأذربيجان) ، ولإقليم (الخزر) علاقات مع(جرجان وطبرستان وبلاد ما وراء النهر وبلاد الغور وبلاد الترك) ، ولبلاد(ما وراء النهر) علاقات تجارية مع (الهند والعراق وبلاد العرب وخراسان وبلاد فارس).

خامساً: الأوزان والمكاييل:-

تبدو المعلومات التي ذكرها ابن حوقل عن الأوزان والمكاييل ، غير كافية لمعرفة وحدات الوزن والكيل في الأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٧٥، ص ٣٧٧.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٨٥.

جدول يبين الأوزان والمكاييل كما ورد ذكرها عند ابن حوقل[1]

اســـــم الإقليم	وحدة الوزن	ما يعادلها	وحدة الكيل	ما يعادلها
العراق	المن[2] الرطـل البغـدادي الأوقية[3]	(٢٦٠)درهمـــا(١٢) أوقيـــة $\frac{4}{3} \times 10$ دراهم	————	———— ————
الجزيرة	————	————	الكر	لا يـذكـر مـا يعادل
المغرب	رطـــــل القـــــيروان (فلفلي)[4]رطل اللحم	————(١٢)أوقية (٥)	————	————
الأندلس	رطل لحم	(9$\frac{1}{2}$) رطل فلفلي والرطل الفلفلـــــي(١٥) أوقيـــــة بالبغدادي	———— .	———— ————
فارس	من مدينة(البيضاء) من	(٨٠٠) درهم	جريب[6]شيراز	١٠ اقفزه[7]

---

١ - صورة الأرض، ص٢٦٢- ص٢٦٣، ص٣١٧.

٢ - المّن: ويزن(٢٥٧) درهماً، وبالمثقال(١٨٠) مثقالاً، وبالاواقي(٢٤) أوقية، انظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ١١،وذكر هنتس أن المّن يساوي شرعاً رطلين، وكل رطل (١٣٠) درهماً، ينظر: المكاييل والأوزان، ص٤٥.

٣ - الرطل يساوي(١٢) أوقية، ينظر: المقري، النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود، تحقيق وإضافات محمد السيد علي بحر العلوم، ط٥، النجف، ١٩٦٢م، ص١٩٤، والرطل البغدادي يساوي الرطل الشرعي ويساوي حوالي(١٣٠) درهماً أو يساوي ٤٠٦,٢٥، ينظر: هنتس المكاييل والأوزان، ص٣٠- ص٣١.

٤ - الرطل الفلفلي: يساوي(٤٥٠) غم، وتوزن به التوابل والبضائع الثمينة على وجه الخصوص وعياره الرسمي (٤٩,٢٨كغم)، ينظر: هنتس المكاييل والأوزان ، ص٢.

٥ - الأوقية: وجمعها أواق، زنة عشرة دراهم أو خمسة أسباع، والأوقية في الدهن عشرة دراهم، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٢.

٦ - الجريب: يختلف عياره في البلدان وهو عشرة أقفزة ويختلف عيار القفيز، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٤، وذكر هنتس أنه (٧) أقفزة ومكاييله بـ(٢٦,٥ لتر) أو (٢٢,٧١٥)كحجم قمح، المكاييل والأوزان، ص٦١.

٧ - أقفـزة: جمـع قفيـز، وهـو كـل أربعـة مكاكيـك، وكـل مكـوك خمسـة عشـر رطـلاً، وكـل رطل(١٢٨) درهماً، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص١٢، أي ما يعادل(٤٥)كجم قمح، هنتس، المكاييل، ص٦٦.

	كورة(اصطخر)	(٤٠٠) درهم	قفيز شيراز	١٦ رطل
	من مدينة(جره)	(٢٤٠) درهم	لبلاد فارس كيل	
	من كورة(سابور)	(٣٠٠) درهم	صغير	
	من بعض	(٢٤٠) درهم	يعرف $\frac{1}{2}$ أو $\frac{1}{3}$ أو $\frac{1}{4}$	
	نواحي(اردشيرخره)	كالرطل البغدادي(١٢)	القفيز وكل	(٢٤)جزءا
	رطل مدينة(شيراز)	أوقية	واحد مجزأ منه	من القفيز
			كيل صغير في	
	الأوقية	١٠$\frac{1}{2}$ درهم	بلاد فارس	$\frac{1}{2}$ جريب
	مّن بلاد فارس(منان	————		شيراز=٥
	صغير وكبير)		جريب اصطخر	أقفزة
			قفيز اصطخر	$\frac{1}{2}$ قفيز
	المّن الكبير	(١٠٤٠)درهماً أي ما يعادل	مكاييل البيضاء	شيراز=٨
		رطل أردبيل	تزيد على مكاييل	رطل
	المّن الصغير		اصطخر بنحو	
		(٢٦٠)درهما أي ما يعادل	ربع وتنقص عن	————
		من العراق.	شيراز	
	رطل بلاد فارس		كيل	تزيد على
الجبال			نواحي(الرجان	العشرة من
الديلم	مّن اصفهان، والماهات	كالرطل البغدادي(١٢)	وكازون)	كيل
وطبرستان	مّن جرجان وطبرستان	اوقية.		اصطخرستة
	مّن الري			
	المّن	(٤٠٠) درهم	مكاييل فسا تنقص	
كرمان	المّن	(٦٠٠) درهم	من مكاييل شيراز	
وأذربيجان		(٣٠٠) درهم		
كافة		(٤٠٠) درهم		
بلدان		(٢٦٠) درهم		
الإسلام				

ويمكن أن يلاحظ من الجدول ما يأتي:-

١-هناك اختلاف في وحدات الكيل والوزن في الأقاليم الإسلامية ، والأكثر من ذلك أنها تختلف داخل الإقليم الواحد بين المدينة والأخرى كما في

بلاد(فارس) ، ويعود سبب هذا الاختلاف إلى سعة رقعة الدولة الإسلامية من جهة ، وعدم وجود نظام ثابت موحد للمكاييل والأوزان[1].

٢- توجد وحدة عامة للكيل مستعملة في جميع الأقاليم الإسلامية هي وحدة المّن.

٣- هناك وحدات وزن وكيل مركزية في بغداد(أوقية بالبغدادي ، مّن العراق ، رطل العراق) اتخذها ابن حوقل أساسا للموازنة بين وحدات الكيل والوزن في بقية الأقاليم.

٤- في بلاد(فارس) جُزأت وحدة الكيل(القفيز) إلى أجزاءها ($\frac{1}{2}$ ، $\frac{1}{3}$ ، $\frac{1}{4}$) القفيز ، وقسمت هذه الاجزاء على وحدات أصغر ، وذلك لكي تسهل عملية البيع والشراء.

٥- إن معلوماته لم تشر إلى وحدات الوزن والكيل في جميع الأقاليم الإسلامية. إذ إنه لم يذكر شيئاً بهذا الخصوص عن(بلاد العرب ، الشام ، مصر ، خوزستان ، خراسان ، بلاد ما وراء النهر).

٦- هناك وحدات كيل أغفل ذكرها مثل(الصاع ، المد ، المكوك ، الكيلجة ، الويبة ، المدى ، الأردب ، القليس ، الثمن ، الربع ، الدوار ،...) [2].

سادساً : النظام النقدي:

إن المعلومات التي أوردها ابن حوقل عن النقود لم تكن من التفصيل بحيث سمح لرسم صورة واضحة عن النظام النقدي في الأقاليم الإسلامية آنذاك على الرغم عما ذكره من معلومات تتعلق بالموارد المالية للأقاليم الإسلامية سواء أكان (بالدنانير أم بالدراهم أم بكليهما) ، أو ما ذكره عن مقدار الأسعار لبعض المواد في عدد من هذه الأقاليم ، فضلاً عن إشاراته لما تسكهُ دور الضرب في الأقاليم من عملة فضية أو

---

١ - عدي مخلص، المقدسي البشاري، ص١٩٤.

٢ - عن هذه المكاييل ينظر: عدي مخلص، المرجع نفسه ، ملحق الفصل العاشر،(جدول يبين الأوزان والمكاييل والنقود عند المقدسي).

ذهبية. إلا أن كل ذلك يبدو ناقصاً إذا لم يدعم بمعلومات مالية أخرى ، فقد ذكر التعامل بـ(الدينار العثرى)[١] والتي تجبى به ضريبة العشور وجباية ميناء عدن أيام الدولة الزيادية[٢].

أما في(مصر ، المغرب ، الأندلس ، صقلية) فيتضح من خلال ما ذكره من أسعار بعض المواد أنها كانت تتعامل بالدينار[٣].

أما إقليم(فارس) ، فكان التعامل فيه بالدراهم وكانت تزن العشرة منها سبعة مثاقيل ، ولم يتعاملوا بالدنانير[٤].

وتعامل (إقليم كرمان) بالدراهم أما الدنانير فكانت للعرض ولا يتعامل بها من حد فارس اليهم[٥]. وتسمى نقود إقليم(السند) القندهاريات ، وكان الدرهم منها يساوي خمسة دراهم ، وأهم درهم يقال له الطاطري ويساوي درهم وثمن ، وتعاملوا بالدينار ايضا[٦]. ونقود إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) فكانت الذهب والفضة[٧]. وفي إقليم (الديلم وطبرستان) فكانت نقود(الري وجرجان وطبرستان) الدراهم والدنانير [٨].

أما في إقليم(ما وراء النهر) ، ففي مدينة بخارا كان التعامل بالدراهم ، أما الدنانير فعندهم للزينة ، ولهم عملة محلية هي الدراهم الغطريفية [٩] وقد سكت من حديد وصفر وآنك وغير ذلك من الأخلاط وبجواهر مختلفة قد ركبت واقتصر التعامل بهذه الدراهم في مدينة بخارا ونواحيها ، وإلى جانب هذه تعاملوا بالدراهم المحمدية [١٠]

---

١ - نسبة إلى عثر بلد باليمن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٨٤.
٢ - صورة الأرض، ص٣٢.
٣ - المصدر نفسه ، الصفحات :١٤٣، ٧٣، ١١٠، ١٢٤.
٤ - المصدر نفسه ، ص٢٦٢.
٥ - المصدر نفسه ، ص٢٧٢.
٦ - المصدر نفسه ، ص٢٧٧.
٧ - المصدر نفسه ، ص٢٩٩.
٨ - المصدر نفسه ، ص٣٢١.
٩ - الغطريفية: نسبة إلى الوالي غطريف بن عطاء سنة ١٨٥هـ/ ٨٠١م.
١٠ - المحمدية والمسيبية: نسبة إلى محمد ومسبب أخوة الوالي غطريف بن عطاء، انظر: ابي سعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، باعتناء مرعليوث، بريل(ليدن: ١٩١٢م) ورقة ١٢٦٦.

التي سكت عليها تصوير بحروف غير مقروءة وعلاماتها معروفة. وسكوا أيضاً الدراهم المسيبية ، وقد كانت جميع هذه الدراهم من ضرب آل سامان ، وقد كان أهالي ما وراء النهر يفضلون التعامل بهذه الدراهم على الدرهم الورقي الإسماعيلي ، إذ أنهم رأوا اتخاذ الفضة أولى من هذه الدراهم لذا سكت الدراهم من هذا المعدن[1].

ويتضح مما سبق أن التعامل بالدراهم كان سائداً في الأقاليم الإسلامية الشرقية ، أما في الأقاليم الإسلامية الغربية فكان التعامل سائداً بالدينار ، وهذا راجع إلى توافر الخامات المصنوعة منها النقود ، فضلاً عن الظروف التاريخية ، فقد كان الذهب أساس النظام النقدي في أقاليم(الشام ، ومصر ، والمغرب) بينما كانت الدراهم الفضية أساس التعامل في العراق وإيران ، وبامتداد الإسلام إلى هذه الأقاليم ترك العملتين على حالهما ، بينما مركز الخلافة تعامل بالاثنين.

أما عن سعر صرف الدرهم بالدينار ، فذكر ابن حوقل في سنة (٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) كان الدينار يساوي(٣٠) درهماً[2] ، أما في الأندلس فكان يساوي(١٧) درهما[3] ، وأشار إلى أن قيمة الدينار تعطي بعدد ما يساويه من الدراهم ، فمثلاً في مدينة برقعيد في إقليم (الجزيرة) بلغ في سنة(٣٥٧هـ/٩٦٧م) مبلغ مقداره(١٠٠٠) دينار ما يساوي بالورق (الفضة)(٣٠٠٠٠) درهم[4].

وتحدث ابن حوقل عن دور ضرب النقود ، ففي حديثه عن الضرائب في إقليم المغرب أشار إلى دور الضرب في مدينة(سجلماسة) إذ كانت تفرض الضرائب عليها[5]. أما في بلاد الأندلس ، فقد كانت دور الضرب تُضَّمن لأشخاص فتشكل مورداً مالياً للدولة جاء ذلك في قوله[6]: "سكة دار ضرب على الدنانير ضمانها في

---

١ - صورة الأرض، ص٤٠٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٩٧، ص٣٥٧.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٠٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٩٧.

٥ - المصدر نفسه ، ص٩٧.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٠٤.

كل سنة مائتا الف درهم".

أما في إقليم(فارس) ، فأشار إلى دار الضرب الوحيدة في هذا الإقليم في مدينة (شيراز)[1] أما في إقليم(خراسان) فهناك أكثر من مكان لضرب النقود ، فذكر دار ضرب للعين والورق والتي يروَّج منها مال كثير من النوعين في مدينة(ايلاق)[2] ، أما الأماكن الأخرى لدور الضرب فيحددها بقوله: "وليس بما وراء النهر دار ضرب إلا ببخارا وسمرقند وايلاق فقط" [3].

ويبدو أن هذا التعدد في مدن الضرب في هذا الإقليم يوحي باهتمام السامنيين بالعملة ودور الضرب فيها ، كما يفهم منها وجود الأيدي العاملة المختصة بسك هذا النوع من العملة ، فضلاً عن وجود معادن الذهب والفضة والنحاس ومعادن أخرى داخلة في سك النقود في تلك المدن[4].

ولا يشير ابن حوقل في حديثه عن دور الضرب إلى كمية النقود التي تروج منها ، فضلاً عن ذلك أن إشاراته لم تلمح إلى وجود دور الضرب أو عدمها في أماكن أخرى من الأقاليم الإسلامية لاسيما أن دور الضرب مظهر لأهمية المكان ، ودليل على أنه مركز إداري[5].

---

١ - صورة الأرض، ص٢٦٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٤١٨.

٣ - قحطان الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٣١٠.

٤ - صالح العلي، الأحواز في العهود الإسلامية الأولى، ص٣١.

٥ - صك: تطلق أحياناً على(سند الدين) وقد جرت العادة أن يوقع الصك شاهدان ثم يختم أسفله، ينظر: ابن قتيبة، الدينوري، عيون الأخبار، دار الكتب(مصر: ١٩٢٥م)، ج١، ص٣٢٥، وعرفه ابن منظور أنه أمر خطي يدفع بواسطته مقدار من النقود إلى الشخص المسمى فيه، ينظر: لسان العرب المحيط، ج٢، ص٤٥٩.

سابعاً: استخدام الصكوك:

مـن المعلومـات الماليـة القيمـة الـتي أورد ذكرهـا ابـن حوقـل هـي التعامـل بالصكوك[1] ، إذ أنه ابصر في مدينة اودغست في إقليم(المغرب) صكاً فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار اودغست ، وهو من مدينة(سجلماسة) وشهد عليه العدول باثنين وأربعين الف دينار[2].

ويبدو سبب التعامل بالصكوك راجع إلى اتساع الرقعة الجغرافية التي شملتها عملية التبادل التجاري ، لذا فإن المعاملات التجارية الضخمة استدعت وسائل للدفع مأمونة من الضياع ، وخفيفة الحمل وبعيدة عن متناول اللصوص[3].

ويضيف ابن حوقل عن حكاية الصك قائلاً: "...وما رأيت ولا سمعت بالمشرق لهذه الحكاية شبهاً ولا نظيراً ، ولقد حكَّيتُها بالعراق وفارس وخراسان فاستطرفت"[4] ، ويفهم من كل ما ذكره ابن حوقل أن الصك يعني(سند الدين) ويوقع من قبل الشهود ، وكذلك أن التعامل به اقتصر على إقليم المغرب بينما الأقاليم الشرقية لم تعرف معاملاتها التجارية التعامل بالصكوك ، إلا أن الروايات التاريخية تشير إلى غير ذلك[5] ، إذ إذ كثرت الإشارة إلى استعمال الصكوك إبان العصر العباسي وسائلاً لدفع المال. وتعدى استعمالها مؤسسات الدولة ، إذ أخذ يتعامل بها أفراد الشعب أيضاً ، حتى إن بعض تجار بغداد صاروا يفضلونها على غيرها من المعاملات المالية[6].

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٢١.

٢ - المصدر نفسه، ص٦٥، ص ٩٦.

٣ - آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج٢، ص٢٨٠.

٤ - صورة الأرض، ص٩٦.

٥ - ينظر: القاضي أبو علي المحسن بن علي التنوخي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالجي(بيروت: ١٩٧٢م)، ج٣، ص١٦٠، المستجاد من فعلات العباد، تحقيق محمد كرد علي(دمشق: ١٩٤٦م)، ص١٣٧، محمد بن علي بن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، عنى بنشره يوسف توما البستاني(مصر: ١٣٤٠هـ)، ص١٥١.

٦ - حمدان الكبيسي، أسواق بغداد، ص٢٥٩- ص٢٦٠،ص ٢٦٣.

ثامناً: الأسعار والمستوى المعاشي:

أن المعلومات التي سجلها ابن حوقل عن الأسعار، على الرغم من كونها مقتضبة ومبعثرة، إلا أنها تعد ذات أهمية توضح إلى حد ما المستوى المعاشي في الأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي.

ومن خلال إشاراته إلى الأسعار، تتضح جملة عوامل تؤثر في تحديد الأسعار آنذاك هي:-

أ- عامل وفرة أو ندرة المواد الزراعية أو الحيوانية أو المصنعة:

ويتضح هذا العامل من ذكره لأسعار جزيرة ميرقة في(الأندلس) بقوله:" رخيصة الماشية لكثرة المراعي، غزيرة النتاج والمواشي الجوائح، قليلة الآفة"[1] بينما يلاحظ من وصفه لمدينة قسطيلية في(إقليم المغرب) غلاء أسعار المواد الغذائية، بسبب قلة الإنتاج الزراعي حيث سعر الطعام بها غال لأنه يجلب إليها ولا يزرع بها من الشعير والقمح إلا زرع قليل[2].

ب- عامل الكلفة:

وتدخل كلفة المواد المصنعة في تحديد أسعارها، ففي وصفه لأسعار الثياب في مدينتي(تنيس ودمياط) في(مصر) ما يشير إلى ذلك: "وربما بلغت الحُلة من ثيابها مائتي دينار إذ كان فيها ذهباً وقد بلغ ما لا ذهب فيه منها مائة دينار وزائدا وناقصاً"[3].

ج- العامل السياسي:

أشار ابن حوقل إلى تأثير هذا العامل على تحديد الأسعار سواء أكان بفعل الاحتلال الأجنبي كما جاء في قوله: "وقنسرين قبل اكتساح الروم لها رخص وسعة في الخيرات"[4] أم بفعل عدم الاستقرار السياسي وتأثيره على ارتفاع الأسعار، ويتضح ذلك من وصفه لأسعار مدينة سفاقس في المغرب بقوله: "مدينة جل غلاتها الزيتون

---

١ - صورة الأرض، ص١١٠.

٢ - المصدر نفسه، ص٩٢.

٣ - المصدر نفسه، ص١٤٣.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦٤.

والزيت ، وبها منه ما ليس بغيرها مثله ، وكان سعره عندهم فيما سلف من الزمان بحال غيرته الفتن في وقتنا هذا"[1]. إذ من الواضح أن الفتن تؤدي إلى إهمال تنظيم الري واستصلاح الأراضي بسبب انشغال الدولة بقمعها ، ويؤدي بالنتيجة إلى إهمال الزراعة ، ومن ثم إلى قلة الحاصل الزراعي ، مما يؤدي إلى ارتفاع الأسعار.

إن ملاحظات ابن حوقل عن الأسعار لا تكتفي بتسجيل ما كانت عليه من رخص أو غلاء في ذلك الوقت ، بل توضح حال الأسعار بين حقباً تاريخية مختلفة ، بين ما كانت عليه حالها في وقته وبين ما كانت عليه في السابق ، ويتضح ذلك من وصفه لحال أسعار بعض المناطق في(إقليم المغرب) جاء فيه: "ومن السواحل من البربر بنواحي الهبط وأرض وطنجة وأزيلي وفارس والسوس وتامدلت ، ففي خفض من العيش وطيبة المآكل وخاصة من بالهبط في ضمن عبد الله بن ادريس...وفي غاية من الخصب ورخص الأسعار واللذيذ من الأغذية الحسنة وكانت حالهم فيما تقدم أزيد من هذا الوقت صلاحاً ، وقد تغيرت بعض ما أدركته في سني ونيف وثلاثين من حالهم ، وفي وقتنا هذا فقد تدنت أحوالهم"[2].

وفيما يلي جدول يمثل حال الأسعار لبعض المواد في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي كما أوردها ابن حوقل:

جدول يمثل حالة الأسعار كما ذكرها ابن حوقل في الأقاليم الإسلامية

الإقليم	الوحدة الإدارية	وصف حالة الأسعار	مقدار السعر	رقم الصفحة
العراق	ــــــــــ	لا يذكر حالة الأسعار فيه باستثناء سعر حجر الطحين الذي يجلب من الجزيرة	(٥٠)دينار إلى أكثر أو أقل	٢٠١
الجزيرة	نصيبين	رخيصة الأسعار	ــــــــــ	١٩١
	سنجار	رخيصة الأسعار	ــــــــــ	١٩٩
	دارا	يصف رخص أسعار المآكل	ــــــــــ	١٩٩- ٢٠٠

---

١ - صورة الأرض ، ص٧٣.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٠٠.

	الرقة والرافقة	والمشارب فيها (كالمجان) رخيصتا الأسعار	———	٢٠٣
الشام	حلب قنسرين	أسعار الأغذية فيها رخيصة يصف رخص أسعارها قبل استيلاء الروم عليها	——— ———	١٦٣ ١٦٤
مصر	تنيس ودمياط	الحلة من ثياب إذا كان فيها ذهباً وإذا لم يكن فيه ذهباً مثقال الغزل من غزولهما	(٢٠٠) دينار (١٠٠) دينار دنانير، لا يذكر كم من الدنانير	١٤٣ ١٤٣ ١٤٣
المغرب	برقة سفاقس بونة بلزمة سبيبه قسطيلية	أسعار المواد الغذائية رخيصة جل غلاتها من الزيتون والزيت تغيرت أسعاره في الفترة التي زارها ابن حوقل ربما بلغ(٦٠ قفيز- ١٠٠ قفيز). رخص في أسعار الفواكه والقمح والشعير والألبان والمواشي. رخص في أسعارها رخص في أسعارها سعر الطعام بها غال لأنه يجلب إليها (المغرب بشكل عام)أسعار الأغذية غاية في الرخص	——— دينار واحد ——— ——— ——— ——— ———	٦٩ ٧٢ ٧٧ ٩١- ٩٢ ٨٤ ٩٢ ٩٥
الأندلس	——— ميرقة	في عمومها رخص في الأسعار رخص أسعار الماشية لكثرة المراعي سعر البغل فيها وهنا البغال كثيرة يبلغ سعرها	——— ٥٠٠ دينار ١٠٠أو ٢٠٠ دينار	١٠٤ ١١٠
صقلية	———	أسعار ثياب الكتان فيها	بـ(٥٠)أو (٦٠) دينار	١٢٤

		تزيد على ما يشترى من أمثالها بمصر		
فارس	ابرقوية السردن	رخيصة الأسعار رخيصة الأسعار	——— ———	٢٤٧ ٢٤٧
كرمان	بم جيرفت	يبلغ سعر الثوب رخص في أسعار التمر وذلك لكثرة النخيل فيها إذ بلغ سعر المن منه	٣٠ ديناراً درهم فقط	٢٧١ ٢٧١
السند	المنصورة الملتان	أسعارها رخيصة أسعارها رخيصة	——— ———	٢٧٧ ٢٩٨
أرمينية وأذربيجان والران	الرآن	رخيصة الأسعار	———	٢٩٨
الجبال	همذان شهر زور	رخيصة الأسعار رخيصة الأسعار	——— ———	٣٠٦ ٣١٤
مفازة خراسان وفارس	مدينة خبيص	رخيصة الأسعار على مر الأوقات	———	٣٤٤
سجستان خراسان	بالس ———	رخيصة الأسعار أسعار الرقيق الترك مرتفعة سعر الغلام الجارية التركية	——— ٣٠٠٠ دينار ٣٠٠٠ دينار	٣٥٢ ٣٧٧ ٢٧٧
ما وراء النهر	———	رخيصة الأطعمة يبلغ سعر ثوب من الثياب الويذارية	——— (٢- ٢٠) دينارا	٣٨٤ ٤٢٦

والملاحظ من الجدول أن أسعار المواد الغذائية رخيصة في(المغرب ، والأندلس والشام والجزيرة وفارس والسند) ، ورخص الأسعار بشكل عام في مدينة بالش(في إقليم سجستان) وفي(إقليم ماوراء النهر) ، بينما يلاحظ ارتفاعها في(السودان وصقلية ، ومدينة بم) ولاسيما أسعار الملابس ، أما في إقليم(خراسان) فيبدو ارتفاع أسعار الرقيق والجواري واضحاً. ويتضح مما سبق أيضا أن حالة الأسعار في هذه الأقاليم تكشف عن

واقع مستواها المعاشي.

ووضحت معلومات ابن حوقل ظاهرة ارتفاع المستوى المعاشي هذه المرة ، ليس من خلال ما ذكره عن حال الأسعار ، بل من عظم مرافق البلد وكثرة جباياته ووفرة خزائنه وأمواله وصف رفاه أهل الأندلس بقوله: "الرخص والسعة في جميع الأحوال إلى نيل النعيم والتملك الفاشي في الخاصة والعامة... مع عظم مرافقه وجباياته ووفر خزائنه وأمواله"[1] ، وكذلك ما جاء في وصفه لارتفاع المستوى المعاشي في إقليم(ما وراء النهر) بسبب وفرة إنتاجها الزراعي والحيواني والصناعي[2].

وبجانب ما ذكره ابن حوقل عن ارتفاع المستوى المعاشي ، يصف انخفاضه ويتضح ذلك من وصفه لانخفاض المستوى المعاشي في بلاد صقلية إذ يقول: "ولما حال يسارهم فإنهم مع قلة مؤنهم ونزور نفقاتهم وكثرة غلاتهم ليس فيهم رجل ملك بدرة عين ، ولا رآها قط إلا عند سلطان" [3].

تاسعاً: الضرائب:

ذكر ابن حوقل معلومات وافية عن الضرائب ، إذ أنها تشكل المورد المالي الأساس للأقاليم التي زارها ، فبجانب الضرائب الشرعية التي فرضت في العهود الإسلامية الأولى وهي الخراج والجزية والزكاة والعشر ، كانت تجبى في الأقاليم للمدة التي زارها ابن حوقل ضرائب أخرى استحدثت بسبب نقص الموارد المالية فيها ، فضلاً عن بقاء الماكنة الإدارية على سعتها وكثرة موظفيها ، وارتفاع الرواتب عما كانت عليه من قبل[4].

وتختلف الضرائب من إقليم إلى آخر من حيث النوعية والكمية ، وسنعرض لما ذكره ابن حوقل من الضرائب بحسب الأقاليم التي كانت تجبى فيها.

---

١ - صورة الأرض، ص١٠٤، وينظر: كذلك وصفه لمدينة قرطبة إذ يتضح منه ارتفاع المستوى المعاشي لأهلها، ص١٠٨.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٨٤- ص ٣٨٥.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٢٣.

٤ - الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٩٧.

أ- **ضريبة الخراج:**

لا مجال للتوسع في توضيح مفهوم هذه الضريبة واختلاف الفقهاء في مقدارها وطرق جبايتها ، وإنما يقتصر الحديث عن هذه الضريبة باعتبارها من الموارد المالية للأقاليم الإسلامية ، وما وصلت إليه هذه الضريبة في مقدارها وطريقة جبايتها للمدة التي ذكرها ابن حوقل في منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، فذكر عن خراج إقليم(العراق) مقدار جبايته في زمن (قباذ)(١٥٠٠٠٠٠٠٠) مثقال ، وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب(y) جرى مسح العراق ، فبلغت مساحته(٣٦٠٠٠٠٠٠) جريب ، ووضع الخراج على المساحة ، فعلي كل جريب حنطة أربعة دراهم ، وعلى جرب الشعير درهمان ، وعلى جريب الكرم والرطاب ستة دراهم ، وقد بلغت جباية(العراق) في هذه المدة(١٢٨٠٠٠٠٠٠) درهم ، وفي عهد الحجاج بن يوسف الثقفي بلغت مقدار جبايته(١٨٠٠٠٠٠٠) درهم ، وسلف المزارعين(٢٠٠٠٠٠٠) درهم ، فأصبح الصافي(١٦٠٠٠٠٠٠) درهم ، ويتضح أن مقدار الجباية في زمن الحجاج أقل عما كانت عليه في السابق ، بسبب إجراءات الحجاج التي دفعت الفلاحين للهجرة إلى المدينة ، فكانت السبب في نقص الخراج [١] ، وأشار ابن حوقل إلى أن أراضي البصرة عشرية[٢] ، بينما أراضي الكوفة خراجية بخلاف البصرة لأن ضياع الكوفة قديمة أزلية وضياع البصرة أحياء موات في الإسلام[٣]. وذكر ابن حوقل أيضاً عقد ضمان(البصرة) في سنة(٣٥٨هـ/٩٦٨م) ، بلغ(٦٠٠٠٠٠٠) درهم وعقد ضمان(واسط) في السنة نفسها وبلغ أيضاً(٦٠٠٠٠٠٠) درهم ، وبلغ ضمان العراق في السنة نفسها باستثناء البصرة وواسط مقدار(٣٠٠٠٠٠٠٠) درهم[٤].

---

١ - صورة الأرض، ص٢١١.

٢ - ما يؤخذ من زكاة الأرض التي أسلم أهلها عليها والتي أحياها المسلمون من الأراضي أو القطائع ، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٣٩، وعن وجوه العشر ينظر: قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢١١.

٣ - صورة الأرض ، ص٢١٥.

٤ - المصدر نفسه، ص٢١٤، ص٢٢١.

أما عن خراج إقليم (الجزيرة) فتحدث ابن حوقل عن ثقل الخراج في زمن الحمدانيين إذ كانت تؤخذ نسبة مقاسمة[1] النصف ويقدر ثمن الحاصل وتعطى للمزارع حصته بحق المقاسمة فيكون أقل من خمسي الحاصل ، ويتضح في حديثه عن الإجراءات الزراعية التي طبقها(الحسن بن عبد الله بن حمدان) في مدينة (نصيبين) وطريقته في جباية الخراج إذ يقول ابن حوقل[2]: "وعهد الحسن بن عبد الله بن حمدان إلى نصيبين واكتسح أشجارها وبذل ثمارها وعور أنهارها وإستصفاها عمن كان دخل إلى بلد الروم ، واشترى من بعض قوم واغتصب آخرين فملكها إلا قليل ، وجعل مكان الفواكه الغلات بالحبوب والسمسم والقطن والأرز فصار ارتفاعها أضعاف ما كانت عليه وزادت ريوعها ، وسلمها إلى من بقي من أهلها ولم يمكنهم النهوض عنها وآثروا فطرة الإسلام ومحبة المنشأ ، وحيث قضوا لبنات الأيام والشباب على مقاسمة النصف من غلاتها إلى أي نوع كانت ، على أن يقدر الدخل ويقومه عينا إن شاء أو ورقا ، ويعطي الحراث ثمن ما وجب له بحق المقاسمة فيكون دون الخمسين ، ولم يزالوا على ذلك معه ومع ولده الغضنفر". والحال كذلك بالنسبة إلى خراج الموصل ونواحيها[3].

أما عن خراج إقليم(الشام) ، فذكر مقدار جبايته في العصر الأموي ، إذ بلغ (١٨٠٠٠٠٠) دينار[4] ، وذكر أيضاً ضمان(فلسطين والأردن) في أيام الإخشيديين في عهد أبي المسك كافور من سنة(٣٣٧هـ-٣٤٩هـ/ ٩٤٨م-٩٦١م) بمقدار(٥٠٠٠٠٠) دينار[5]. وأشار إلى الطريقة التي تعامل كافور مع عماله الذين عقد لهم الضمان ، وهي مطالبة(الضامن) قبل وجوب المال عليه بشيء منه على طريقة القرض منه[6]. وذكر

---

١ - المقاسمة: أخذ نسبة معينة من الحاصل، أي بالمقاسمة، ينظر :أبو الحسن علي بن محمد الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية،(مصر: ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص١٤٩.

٢ - صورة الأرض، ص١٩٣.

٣ - المصدر نفسه، ص١٩٧.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦١- ص ١٦٢.

٥ - المصدر نفسه، ص١٥٩.

٦ - المصدر نفسه، ص١٥٩- ص ١٦٠.

أيضاً ضمان جند(دمشق) بمقدار(٥٠٠٠٠٠)[1] دينار.

ويتضح مما سبق أن طريقة جباية الخراج في إقليم(الشام) كانت(الضمان) ، ولم يكن في الشام قانون ثابت لجباية الخراج والسبب ما ذكره ابن حوقل[2]: "فمنذ سنوات كثيرة لم يقع لها قانون صحيح ولا استخراج على طريقته وصحته ، وذلك أنها مذ سنة أربعين بين قوم يتطاول أحدهم على الآخر أكثرهم غرضة ما احتلبه في يومه وحصله لوقته...".

أما عن إقليم(مصر) فتوسع ابن حوقل في ذكر خراجها وطريقة جباية ومقدار الجباية وتغيرها ، فأما عن طريقة جباية خراجها ، فقد ذكر أن خراج مصر يستحصل على شكل أقساط على مدار السنة وأن هذه العادة كانت متبعة قديماً في جباية أراضي مصر منذ عهد فراعنتها حيث يتم استيفاء الخراج إلا بعد غمر مياه النيل الأراضي الزراعية ، ويتكامل ريها في شهر بابة (تشرين الأول) وفي شهر طوبة يتم ربع الخراج ، وفي شهر أبيب(تموز) تتم فيه ثلاثة أرباع الخراج ، وفي شهر مسرى(آب) يغلق فيه الخراج[3]. كما ذكر مقدار الخراج في مصر في العهد العباسي في عصر (المأمون أو المعتصم على ما يظنه ابن حوقل) بمقدار(٤٢٥٧٠٠٠) دينار وتوخى الأنصاف والرفق في جباية الخراج في هذه المدة إذ كان يجبى على الفدان ديناران[4]. وأشار ابن حوقل إلى أن مقدار الخراج في مصر لم يكن عند حد معين وإنما يتغير تبعاً للحاكم نفسه ويتضح ذلك من قوله: "وقد جُبيت سنة تسع وخمسين وثلاثمائة(٩٦٩م) على يد أبي الحسن جوهر صاحب أهل المغرب(جوهر الصقلي) ، وهي السنة الثانية من دخوله إليها ثلاثة آلاف دينار ، وفوق أربعمئة الف دينار(٣٤٠٠٠٠٠) دينار. وذلك أنهم كانوا فيما سلف من الزمان يؤدون على الفدان ثلاثة دنانير ونصفاً زائداً عن ذلك القليل إلى

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٥٩– ص ١٦٠..

٢ - صورة الأرض ، ص١٧٢.

٣ - المصدر نفسه، ص١٣٠.

٤ - الفدان: كل أربعمائة قصبة(تقدر القصبة بباعين من رجل معتدل)، ثم كل أربعمائة قصبة في التكسير يعبر عنها بفدان، وهو أربعة وعشرون قيراطاً كل قيراط ست عشرة قصبة، ينظر: القلقشندى، صبحي الأعشى، ج٣، ص٤٤٦.

نقص يسير ، فيقبض منهم في هذه السنة المذكورة عن الفدان سبعة دنانير..."[1] ، ويتضح مما ذكره ابن حوقل أن خراج مصر في العهد العباسي الأول كان يؤخذ عن كل فدان ديناران إلا أنه زاد بعد هذه المدة إلى ثلاثة دنانير ونصف ومن ثم زاد إلى سبعة دنانير على الفدان في زمن(جوهر الصقلي) وهذه زيادة كبيرة إذا ما قوبلت مع ما سبق.

أما عن خراج إقليم(المغرب) ، فقد ذكر جبايته من بعض مدن الإقليم (سرت ، وطرابلس ، وسجلماسة ، وتنس ، وسبتة) ، بيد أنه لم يذكر مقدار ذلك ، أما في مدينة(اجدابية) فقد أخذت ضريبة الخراج من بربرها بينما أخذت ضريبة العشر عن خضرهم وبساتينهم[2].

أما في(الأندلس) فقد شكل الخراج جزءاً من مواردها المالية ، إلا أنه لم يذكر مقدار وطريقة جبايته في هذا الإقليم[3].

أما خراج إقليم(خوزستان) فبلغ عقد ضمان في سنة(٣٥٨هـ/٩٦٨م) بمقدار (٣٠٠٠٠٠٠) درهم[4].

أما عن خراج إقليم(فارس) فقد توسع ابن حوقل في ذكر أنواع جبايته ومقاديرها ، إذ أشار إلى أن هذا الإقليم يجبى خراجه بالمقاسمة إلى أيام(قباذ أبي انو شروان) الذي جعل جميع فارس مقاطعات وخراجات[5].

أما في العصور الإسلامية فقد كانت جبايته على ثلاثة أصناف:-

١-المقاسمة: أن الأراضي التي تجبى في هذا الإقليم بالمقاسمة قليلة ، وهي على وجهين: ضياع كانت في أيدي جماعة من أهل الزموم وغيرهم ، معهم عهود

---

١ - صورة الأرض، ص١٥٢، وهذا الرقم ورد نفسه عند المقريزي في حديثه عن جباية مصر في هذه السنة، ينظر: الخطط، ج٣، ص٦٧.

٢ - صورة الأرض ، ص٧١.

٣ - المصدر نفسه، ص١٠٤.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٣٣.

٥ - المصدر نفسه، ص٢٦٥.

متفق عليها منذ زمن الخليفتين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب(رضي الله عنهما) وغيرهما من الخلفاء ، يقاسمون على العشر والربع ، ونوع آخر يعامل خراجها على وفق نظام المقاسمات طبقت على قرى تعود ملكيتها إلى بيت المال فيُزارع الناس عليها[1].

٢- القوانين: يؤخذ بموجبه من: مقاطعات لا تزيد ولا تنقص زرعت أم لم تزرع فتؤخذ بالعبرة[2] ، مثل الزموم فأنها مقاطعات بالعبرة والشيء اليسير منها يؤخذ بالمقاسمات[3].

٣- المساحة: أنها دون المقاسمة وذلك لأن الخراج بالمساحة يؤخذ على الجربان ، وإن لم يزرع لم يطالب بالخراج ، وعامة أراضي فارس تجبى بالمساحة إلا الزموم[4] ، التي أشرنا قبل قليل إلى طريقة جباية خراجها ، وأشار ابن حوقل إلى مقادير خراج الأراضي في هذا الإقليم والتي تجبى بالمساحة ويختلف مقدار جبايتها من منطقة إلى أخرى فقد ذكر:

- مدينة شيراز: واثقل الخراج على المناطق التي تجبى بالمساحة هو خراج شيراز ، إذ أن مقدار جباية الخراج فيها على الجريب الكبير[5] من الأراضي التي تزرع فيها الحنطة والشعير بالسيح(١٩٠) درهماً ، والشجر بالسيح(١٩٢) درهماً ، والرطاب والمقاثي بالسيح للجريب الكبير(٢٣٧) درهماً ، وللجريب الكبير من القطن بالسيح(٢٥٧) درهماً ، وعلى الجريب الكبير من الكروم بالسيح(١٤٢٥) درهماً[6].

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٦٤.

٢ - العبرة: القانون أو الاتفاق بين الحكومة ومالكي الأرض، ينظر: فائق النجم مصلح، إقليم فارس منذ الفتح العربي الإسلامي حتى ٢١٨هـ/ ٨٣٣م (رسالة دكتوراه غير منشورة) مقدمة كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٤، حاشية(٢٩٦)، ص٢٧٩.

٣ - صورة الأرض، ص٢٦٤.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - الجريب الكبير: ثلاثة أجربة وثلث جريب بالجريب الصغير، والصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً بذراع الملك وذراع الملك سبعة قضبان، ينظر: صورة الأرض، ص٢٦٤.

٦ - صورة الأرض، ص٢٦٤.

- مدينة كوار: خراجها ثلثا خراج شيراز ، وفي زمن الخليفة الرشيد رده إلى ثلثي الربع[1].

- مدينة اصطخر: وخراجها ينقص عن خراج شيراز شيئاً يسيراً لا يقف عليه ابن حوقل ، ويجبى من بخوسها[2] ثلث السيح والطوى[3] في البطيخ والقثاء والبقول على ثلثي الخراج ، أما الأراضي السيحية فيطلب السلطان ربع الخراج بعد السقية الأولى ، وإذ بدى بالسقية الثانية طالب بتمام الخراج ، واستتمه عند استتمام السقي [4].

- كور داربجرد ، والرجان ، وسابور: فزروعهم ومقادير الخراج على أرضهم يزيد وينقص اكاره(أجره) على قدر ملكه ودخله [5].

أما خراج الضياع السلطانية فذكر ابن حوقل طريقة جبايتها ، أنها خارجة من المساحة ، والذي يؤخذ منها بالمقاسمة والمقاطعة فعليها ضرائب من الدراهم يؤدونها للسلطان.

وتحدث ابن حوقل عن نظام الإلجاء بفارس إذ هناك ضياع قد ألجأها أربابها إلى الكبراء من حاشية السلطان بالعراق ، فهي تجري بأسمائهم ويحل عنهم الربع وهي في أيدي أهلها وأهلها يتبايعونها ويتشارونها ويتوارثونها ، وأشار إلى العادة القديمة التي كانت متبعة في إقليم فارس وذلك أن كل حومة فيه لا خراج على كرومها ولا على أشجارها ، وعندما تولى علي بن عيسى بن الجراح الوزارة سنة(٣٠٢هـ/ ٩١٤م) ألزمهم الخراج على ذلك [6].

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٦٤.

٢ - البخوس: الأراضي التي تسقى بماء المطر، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٦.

٣ - الطوى: الأراضي التي تسقى من الآبار، ينظر: محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الجبل(بيروت بدون تاريخ)، ج٤، ص٣٦٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٦٤.

٥ - المصدر نفسه.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٦٤– ص ٢٦٥.

أما عن خراج إقليم كرمان ، فذكر مقداره ابن حوقل(٥٠٠٠٠٠) دينار ، إلا أنه لم يشر إلى تفصيلات أكثر عن ذلك[١]. أما خراج إقليم(الجبال) ، فذكر خراج مدينة (ماربانان) ومقداره(١٠٠٠٠٠) درهم ، وخراج مدينة(أصبهان) ومقداره(١٢٠٠٠٠٠٠) درهم ، ولم يذكر خراج بقية المدن ، وربما لم يقف على مقدار خراجها[٢]. أما عن خراج إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن) فقد ذكر مواردها المالية بشكل إجمالي وضمنها مقدار الخراج[٣].

أما عن خراج (خراسان وما وراء النهر) فقد ذكر معلومات قيمة عن خراجها في زمن الدولة السامانية إذ كانت تجبى لأبي صالح منصور بن نوح ، وقد اطلع ابن حوقل بنفسه على مقادير جبايتها ومن خلال ما ذكره يمكن ملاحظة ما يلي:-

١-وصف ابن حوقل مقدار خراج إقليمي(خراسان وما وراء النهر) فقال: "قلة جبايتهم ونزور أخرجتهم وتفه الأموال في خزائنهم"[٤] ، ويرجع سبب ذلك إلى الظروف الطبيعية التي تعرضت لها بعض مزارع القرى والمدن إلى الغرق ، فقد شطبت أسماؤها من الديوان في تلك السنة ، أو تشطب كلياً في حالة نقل ملكيتها إلى العلويين أو علماء الدين ، وتصبح ضياع سلطانية لأمراء آل سامان أو الخلفاء العباسيين ، فضلاً عن الأحداث السياسية التي تعرضت لها المنطقة بسبب الصراع الناشب بين السامانيين والبويهيين[٥].

٢- كان خراج خراسان يقبض في السنة على دفعتين في كل ستة اشهر دفعة مقدارها(٢٠٠٠٠٠٠٠) درهم ، أو كان يقبض على دفعة واحدة(خراجان)- أي في السنة(٤٠) مليون درهم[٦].

---

١ - صورة الأرض، ص٢٧٣.

٢ - المصدر نفسه، ص٣١٠، ص ٣١١.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٠٣.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٨٨.

٥ - قحطان الحديثي، خراسان في العهد الساماني، ص٢٩٥.

٦ - صورة الأرض، ص٣٨٨.

٣- كانـت مدينـة(اسـبيجاب) لا تـدفع الخـراج ، ويتضـح ذلـك مـن قـول ابـن حوقـل[١]: "ولـيس بخراسـان كلـها ومـا وراء النـهر بلـد لإخـراج عليـه إلا اسبيجاب" ، ويبدو سبب ذلك كونها من المدن الواقعة على حدود خراسان والمتاخمـة للعـدو والتي تتمتع بحكم ذاتـي داخـل الدولـة السامانية ، لـذا فـإن خراجها يصرف على شؤونها العسكرية ، وكـانوا يبعثون الهـدايا إلى الأمـراء السامانيين رمزاً لارتباطهم المالي والسياسي[٢].

٤- ذكر ابن حوقل مقدار جباية الجريب الصغير في هذا الإقليم وكـان مـن ربع درهم إلى ثلثي درهم إلى ثلاثة أرباع درهم[٣] ، ويبدو أن هذا المبلغ زهيد جداً.

٥- ذكر طريقة جباية الخراج بناحية(هراة) ، وكان يقبض خراجها على دفعتين[٤].

ويتضح من كل ما سبق أن ابن حوقل ذكر معلومات عن ضريبة الخراج لكثير من الأقاليم الإسلامية ، وتبدو معلوماته متفاوتة في هذا الموضوع ، فيلاحظ أن إشاراته كانت مقتضبة عن خراج بعض الأقاليم ، بينما كانـت معلوماتـه عـن خـراج(الجزيـرة ، ومصر ، وفارس ، وخراسان ، وبلاد ما وراء النهر) وافية إذ أعطت صورة تبدو واضحة في كثير من جوانبها عن طريقة ومقدار جباية الخراج في هذه الأقاليم ، وهنـاك بعض الأقاليم لم يشـر إلى أيـة معلومـات عـن طريقـة جبايـة الخـراج أو مقـداره ومنـها(بـلاد العرب) ، وربما مبعث ذلك أنه لم يقف على مقدار هذه الضريبة وطريقة جبايتها في هذا الإقليم ، وكذلك إقليم (السند) ، ويعزو سبب ذلك إلى كون ارتفاع هذه النواحي طفيفاً[٥] ، فربما لا يستحق الذكر. أما عدم ذكر خراج(الديلم وطبرستان) فقد وضـحها بقولـه: "وارتفـاع طبرسـتان غـير متحصـل منـذ سـنين كـثيرة لأنهـا متداولـة بأيـدي السلاطين وكان في القديم ارتفاعها كارتفاع جرجان ، لأنها قليلـة الغـلات تافهـة الحال

---

١ - صورة الأرض، ص٤١٨.

٢ - قحطان الحديثي، خرسان في العهد الساماني، ص٢٧٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٨٨.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٥٧.

٥ - المصدر نفسه، ص٢٨٤.

من زروع الحنطة والشعير"[1].

أما إقليم(سجستان) ، فقد ذكر مقدار الخراج ضمن أجمالي وجوه أمواله[2] مما يدلل على أن ضريبة الخراج في هذا الإقليم كانت مورداً مالياً لميزانيته.

ب- الضرائب الأخرى:

فضلاً عما ذكره ابن حوقل عن ضريبة الخراج كونها تشكل المورد الأساس لميزانية الأقاليم الإسلامية ، هناك ضرائب أخرى قد ذكرها سنوردها حسب الأقاليم وهي كالآتي:-

١-إقليم العراق: أشار ابن حوقل إلى ضريبة الجزية التي وضعها الخليفة عمر بن الخطاب(﵁) على(٥٠٠٠٠٠) إنسان ، وكذلك أشار إلى ما يفرض في مدينة (البصرة) من ضرائب على المراكب التجارية ، وكان البحر يضمن لأخذ هذه الضريبة[3].

٢- إقليم الجزيرة: ذكر مقدار الضريبة في مدينة(نصيبين) من الجماجم عن جواليها ولوازمها مع الزيادات فيها فكانت(٥٠٠٠) دينار ، ومقدار عشور أموال اللطف[4] (٥٠٠٠) دينار ، وفرضت في هذه المدينة ضريبة على الغنم والبقر والبقول ومقدارها(٥٠٠٠) دينار ، وضريبة على الطواحين ، وعلى الضياع المقبوضة والمشترات ، وعلى غلات العقار المسقف من الخانات والحمامات والحوانيت والدور وكان مقدار هذه الضرائب(١٦٠٠٠) دينار ، أما ضرائب مدينة الموصل فقد كانت مال اللطف والجوالي[5] ، وكذلك فرضت ضرائب على

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٢٦.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٥٧.

٣ - المصدر نفسه، ص٢١١، ص ٢١٤.

٤ - اللطف: وذكرها ابن حوقل أنها ضرائب الشراب، المصدر السابق، ص١٩٣، بينما ذكر ابن منظور تحت مادة لطف أنها الهدايا، ينظر: لسان العرب المحيط، ج٣، ص٣٦٩.

٥ - الجوالي: هم الذين جلوا عن أوطانهم ويسمى في بعض البلدان مال الجماجم، وهو ما يؤخذ من أهل الذمة عن الجزية المقررة على رقابهم سنوياً، ينظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص٤٠،=

الطواحين وكان مقدار ضرائب الطواحين والجوالي وما أشبه ذلك(٣٠٠٠٠) دينار[١].

٣- إقليم الشام: ذكر ابن حوقل ضريبة الجزية التي فرضها الروم على المناطق التي خضعت لسيطرتهم ، وهي ما عدا المناطق الممتدة على ساحل بحر الروم من طرابلس وأنفه[٢] إلى نواحي يافا وعسقلان ، واللاذقية وما نزل عنها وحاذاها وهذه المناطق بقيت بيد المسلمين ، وكانت هذه الضريبة ثقيلة جعلت البعض من الأهالي يتحول إلى دين النصرانية أنفه من ذلة الجزية[٣] ، وكذلك الحال بخصوص مدينة حلب ، إذ أصبحت جهتين أحداهما في قبضة الروم وفيها كل إنسان يؤدي عن داره ودكانه جزية ، والجهة الثانية تحت سيطرة أمير فرض على أهاليها ابشع صور الاستغلال الاقتصادي ، ويتضح ذلك فيما ذكره ابن حوقل[٤]: "إن أميرها إذا وردها متاع من حسيس ونفيس اشتراه من جالبه وباعه هو لأهلها على أقبح صورة وأخس جهة ، وما يستثار بها من خل وصابون فهو يعمله ويبيعه ، وليس بها مبيع ولا مشترى إلا وله مدخل قبيح". وكانت هذه الجهة من حلب تدفع أيضاً للروم في كل سنة قانوناً يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة[٥].

٤- إقليم(مصر): ذكر ابن حوقل الضريبة التي تفرض في(الاشتوم)[٦] على ما

=الأسعد بن مماتي قوانين الدواوين، تحقيق د. عزيز شوريان عطية(القاهرة: ١٩٤٣م)، ص٣١٧،ص ٣١٩.

١ - صورة الأرض، الصفحات:١٩٣- ١٩٤، ١٩٧- ١٩٨.

٢ - أنفه: بُليدة على ساحل بحر الشام شرقي جبل صهيون بينهما ثمانية فراسخ، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٧١.

٣ - صورة الأرض، ص١٧٢.

٤ - المصدر نفسه، ص١٦٣.

٥ - صورة الأرض، ص١٦٤.

٦ - الاشتوم: موضع قرب بحيرة تنيس وفيه مصب ماء البحيرة إلى بحر الروم، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٩٦.

يحمل من الإسكندرية ويحمل إليها من متاع البحر وعلى بقية المواد التجارية وفرضت ضريبة على صيد الأسماك في مدينة(نستراوه) - الواقعة على بحيرة البشمور- إذ ذكر بأن عليها قبالة كبيرة للسلطان ، وتفرض في مدينة(ببيج) ضريبة على الجماجم ، وفي قرى(البهنسية ، وبيخيط ، وبيريس) كانت تفرض لوازم للسلطان وجزية على النصارى[1].

٥- إقليم(المغرب): ذكر ضرائب مدينة(سرت) وهي الصدقات على الابل والغنم ، وضرائب على القوافل المجتازة ، وضرائب مدينة(طرابلس) على القوافل المجتازة أيضاً ، وضرائب قرية(بلبدة) على الجمال والأحمال والمحامل والبغال والرقيق والغنم والحمير ، وفي مدينة(فاس) تؤخذ الصدقات والزكاة وتفرض الجوالي على اليهود. وفي مدينة(سجلماسة) تفرض ضرائب على القوافل الخارجة إلى بلد السودان والأعشار ، وفيها ضرائب قديمة تفرض على ما يباع ويشترى من الابل والغنم والبقر وعلى المواد التجارية الصادرة والواردة من نواحي أفريقيا وفاس والأندلس والسوس وأغمات ، وكذلك على دار الضرب والسكة ، وفي مدينة(تنس) من الضرائب الجوالي والصدقات والأعشار وهناك مراصد تؤخذ ضريبة على المواد التجارية المصدرة والمستوردة. وفي مدينة (سبتة) فرض واليها على البربر المقيمين بظاهر المدينة ، ومن الضرائب الأخرى التي ذكرها ابن حوقل في هذا الإقليم ما تفرضه قبائل البربر القاطنين بين(اودغست وسجلماسة) من ضرائب على التجارة الصادرة(من كل جمل وحمل) ، ومن التجار الواردة بالتبر من بلد السودان ، وكذلك الحال فيما يخص البربر القاطنين بين(سجلماسة والمغرب) حيث تؤخذ اللوازم من المواد التجارية المجتازة من(فاس إلى سجلماسة) وتؤخذ هذه اللوازم لقاء خدمات الحماية التي يقدمها البربر في هذه المنطقة للقوافل التجارية[2].

---

١ - صورة الأرض، ص١٣٢، ص ١٣٣،ص ١٤٥.

٢ - المصدر نفسه، الصفحات:٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٩- ٨٠، ٩٩، ٩٤.

٦- بلاد (الأندلس): ذكر ابن حوقل ضرائب هذا الإقليم وهي: الصدقات ، وجبايات(لم يذكر نوعها ومقدارها) والأعشار ، وضمانات ، ومراصد ، وجوالي ، وكذلك ما يقبض من الأموال الوافرة على المراكب الواردة اليهم والصادر عنهم ، وهناك رسوم على البيع والشراء في الأسواق[١].

٧- بلاد(صقلية): وضرائب هذه الجزيرة: الأخماس[٢] ، والمستغلات ، ومال اللطف ، والجوالي ، ومال البحر[٣] ، والهدية الواجبة في كل سنة من أهل (قلورية)[٤] ، وقبالة الصيد [٥].

٨- بلاد(الروم): وتحدث ابن حوقل عن الضرائب التي كانت تفرض على المسلمين من قبل الروم ، وأثقل هذه الضرائب ما كان يفرض على بلد (اطرابزنده) و(انطاكية) على ما يرد من بلد الإسلام لما يؤخذ من سواحل الشام ومراكبهم ويغنم بالشلنديات[٦] والمركب الحربية والشينيات[٧] ، وللملك ضريبة تسمى(ضريبة الملك) تؤخذ بمقدار الثمن من مراكب المسلمين وأمتعتهم ويستأثر موظفو جباية هذه الضريبة بأخذ ما يزيد على مقدارها من أثمان الأمتعة والمراكب ، أما الضريبة على (انطاكية) فقد أسقطت على

---

١ - صورة الأرض ، ص١٠٧- ص ١٠٨.

٢ - الأخماس: وتؤخذ من: (أ) الزكاة:- وهو كل مال وجد مدفوناً من ضرب الجاهلية.
(ب)- المعادن:- واختلف الفقهاء في مقدار الضريبة على المعادن وهل تكون الخمس أو العشر.
(ج)- الغنائم:- ينظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٨٥.

٣ - مال البحر: ضريبة تفرض على ما يخرج من البحر كالعنبر واللؤلؤ، واختلف الفقهاء في مقدارها، وبعضهم يرى أن فيها الخمس، ينظر: قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص٢١٠، بينما عرفها إحسان عباس، أنها ما يحصل على السفن الراسية في الموانئ الصقلية، العرب في صقلية، ص٦٩.

٤ - قلورية: جزيرة في شرقي صقلية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩٢.

٥ - المصدر نفسه، ص١٤٣.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٤٣.

٧ - المصدر نفسه، ص١٤٣.

صاحب المراكب الذي يقصد الدخول إلى بلاد الإسلام. وقد كانت قبل ذلك بسنين عندما دار لهم الظفر من بعد سنة(٣٢٠هـ/ ٩٣٢م) مقدارها(ثلاثة) قناطير[١] ذهب وتكون مع اللوازم[٢] ، وقد فرض الروم ضرائب في غزوهم للمسلمين بحراً إذ كانوا يفرضون على الضياع الساحلية ضريبة مقدارها ديناران من كل بيت ، ووصف ابن حوقل جباية هذه الضريبة بقوله: "وسبيلهم فيما يقيمونه من غزو المسلمين في البحر بالمراكب الحربية والشلندية والشينية أن يأتوا إلى كل ضيعة تقارب البحر ، فيأخذوا من كل دخان أي من كل بيت دينارين وتجمع ذلك ويدفع إلى النافذين في البحر اثنا عشر ديناراً لكل إنسان..." [٣] وفي غزوهم براً فرضوا ضرائب اثقل ، وصفها ابن حوقل بقوله: "وأما غزوهم في البر فإن ملكهم نقفور أخذ من كل دخان يسكنه رئيس من يملك خدماً وبقراً وغنماً وأرضاً ومزدرعاً في حال متوسطة عشرة دنانير عينا ذهباً ، ومن فوق هذه الطبقة في القوة جعل عليها رجلاً بسلاحه ودوابه وقوامه ومؤنه ونفقة له ثلاثين ديناراً"[٤] ، وكانت هذه السياسة الضرائبية التي استخدمها نقفور في غزواته ضد العرب المسلمين ذات أثر وخيم عليه إذ كانت سبباً لقتله[٥].

٩- بلاد العرب: تحدث ابن حوقل عن الضرائب التي فرضتها الدولة الزيادية في زمن(أبي الجيش اسحق بن إبراهيم بن زياد) وهي: العشور ومقدارها ما ينيف على(٥٠٠٠٠٠) دينار عثرى ، وقبالات مدينة(زَبيد) عن جميع ما يدخلها ويخرج عنها وتشتمل عليه وجوه الأموال ومقدارها(٢٠٠٠٠٠) دينار عثرى ، وجباية ميناء (عدن) إذ اتصل إليه من ضريبة العشر على المراكب وجبايتها تعمل بالأمانات

---

١ - صورة الأرض، ص١٤٣.

٢ - المصدر نفسه، ص١٧٩- ص ١٨٠.

٣ - المصدر نفسه، ص١٨٠.

٤ - المصدر نفسه، ص١٨١.

٥ - المصدر نفسه، ص١٨١.

وذلك لأنه ربما تزيد أو تنقص المراكب التي ترسوا في هذا الميناء ومقدار هذه الضريبة(٢٠٠٠٠) دينار عشري ، وتفرض أيضا ضريبة على العنبر المستخرج من سواحل عدن. أما ضرائب مدينة (عثر) فذكر أن مواردها تشتمل على وجوه من الأموال وضروب من الجبايات ، وتصل مواردها المالية إلى مقدار نصف ما يصل إلى بني زياد ، ولا يُفَصِّل ابن حوقل أنواع هذه الضرائب. أما مدينة(حلى) فهي دون جباية مدينة(عثر) إلا أنه يذكر أنواعها ومقاديرها. أما مدينة(صعدة) فتفرض فيها المستغلات[1] على المدابغ. وفي مدينة(سرين) تفرض ضرائب على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن. وفي البحرين تفرض ضريبة ثقيلة على المراكب المجتازة يعود واردها إلى(أبي سعيد الحسن بن بهرام وولده سليمان) ، فضلا عن ذلك فإن فيها من الضرائب: المرافق[2] والقوانين والمراصد[3] ، ويتضح مما سبق أن ابن حوقل لم يذكر ضرائب بقية مدن(بلاد العرب) فربما لم يقف على مقاديرها وطرق جبايتها ، ثم على الرغم من تفصيله في ذكر ضرائب الدولة الزيادية ، إلا أنه لم يذكر مقاديرها في حديثه عن ضرائب مدن(عثر ، وحلى ، وصعدة ، والسرين ، والبحرين).

١٠- إقليم(فارس): ذكر ابن حوقل ضرائب هذا الإقليم وهي: الصدقات ، أعشار السفن ، أخماس المعادن ، الجزية ، دار الضرب ، ضرائب الملاحات والآجام ، أثمان الماء والمراعي ، المستغلات ، وأجرة الدور التي يعمل فيها ماء الورد[4].

---

١ - المستغلات: تطلق على الضرائب التي تفرض على الدور والأسواق والطواحين التي بناها الناس على أرض حكومية، ينظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢٠٤.

٢ - المرافق: تعرف بالمكوس في مصر في زمن الدولة الفاطمية، وقد استحدثت بعد سنة (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، ينظر: المقريزي، الخطط، ج٣، ص٨١،أو ما يحصل من مال المراعي، والمنتجات المحلية ، ينظر: إحسان عباس، العرب في صقلية، ص٦٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٣٢- ص ٣٣.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٦٤.

١١-إقليم(كرمان): أشار فقط إلى ضريبة(العشور للسلطان) في مدينة(جيرفت)[1].

١٢-إقليم(أرمينية وأذربيجان والرآن): إن الضرائب التي ذكرها ابن حوقل في هذا الإقليم هي مآصر السفن على فم مدخل بحر الخزر في مدينة(باب الأبواب) حيث تؤخذ ضريبة من السفن ، وكذلك ما تدفعه ناحية(الرآن) من الضرائب واللوازم في كل سنة إلى أمراء أذربيجان فلا تنقطع وكانت رمزاً للطاعة وكانوا يدفعون القليل واحيانا يكتفون بإرسال الهدية ، ولكن عندما صار الأمر إلى المرزبان بن محمد بن مسافر المعروف بالسلار[2] ، جعل لها دواوين وقوانين ولوازم[3].

١٣-إقليم(الديلم وطبرستان): أشار ابن حوقل إلى الضريبة التي تفرض على المراكب الواردة والصادرة في بحيرة طبرستان[4].

١٤-إقليم(الخزر): ذكر ما في هذا الإقليم من ضرائب وهي الأرصاد وعشور التجارات على رسوم لهم من كل طريق سابل اليهم ، فضلاً عن الضرائب التي تفرض على أهل المحلات والنواحي من كل صنف ما يحتاج إليه من طعام وشراب وغير ذلك[5].

والمُلاحظ أن ابن حوقل ذكر أنواعاً من الضرائب كانت سائدة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي يمكن أجمالها:-

١- الصدقات والزكاة.

٢- الجزية أو الجوالي وضريبة الجماجم.

٣- المكوس.

---

١ - صورة الأرض، ص٢٧٢.

٢ -المرزبان محمد بن مسافر السلار، تولى أذربيجان سنة ٣٣٠هـ وتوفي سنة٣٤٩هـ ، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٨٦، ٥١٩.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٩١- ص ٢٩٨.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٢٦.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٣٠.

٤- ضرائب على الملاحات والآجام.

٥- أعشار السفن.

٦- أخماس المعادن(المناجم).

٧- مال البحر.

٨- المستغلات.

٩- ضرائب على المحلات ودور الصناعة والمدابغ.

ويتضح أنه لم يذكر ما كانت عليه الضرائب-غير الخراج- في أقاليم (الشام ، ومصر ، وخوزستان ، وخراسان ، وما وراء النهر). وهناك ضرائب أخرى لم يشر إليها ابن حوقل ، مثل(الاحداث) [١] ، (الإرث)[٢] ، التي كانت تفرض في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي في العراق.

الموارد المالية :

ذكر ابن حوقل(ارتفاع) بعض الأقاليم الإسلامية ، إلا أنه لم يقدمها بقائمة تفصيلية ، كما جاءت في قوائم الخراج التي أوردها(ابن خرداذبه ، وقدامة بن جعفر ، والجهشياري ، وابن خلدون) والملاحظ في حديثه عن الموارد المالية للأقاليم التي جاءت على شكل معلومات ذكرها بعد انتهائه من وصف كل إقليم. وفيما يلي جدول يبين مبالغ الارتفاعات لقسم من الأقاليم الإسلامية كما أوردها ابن حوقل:

---

١ - الاحداث: هي الغرامات التي تفرضها الشرطة ، ينظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص١٩٧.

٢ - الإرث: ضريبة لم تكن مشروعة، أثقلت كاهل الناس، واستمرت هذه الضريبة طيلة القرن الرابع الهجري وكانت مورداً مهماً للخزينة، ينظر: الدوري، المرجع نفسه، ص٢٠٠.

جدول يبين مبالغ الارتفاعات لقسم من الأقاليم الإسلامية

الإقليم	الوحدة الإدارية الفرعية	الفترة التاريخية	التفصيلات	المقدار
العراق[1]		في زمن قباذ		١٠٠٠٠٠٠٠٠ درهم
		زمن الخليفة عمر بن الخطاب		١٠٠٢٨٠٠٠ درهم
		الحجاج بن يوسف الثقفي		١٨٠٠٠٠٠٠ درهم
	البصرة	٣٥٨هـ/٩٦٨م	ضمنت إلى أبي الفضل الشيرازي	٦٠٠٠٠٠٠ درهم
	واسط	٣٥٨هـ/٩٦٨م	ضمنت إلى أبي الفضل الشرازي	٦٠٠٠٠٠٠ درهم
	———	٣٥٨هـ/٩٦٨م	ارتفاع العراق باستثناء البصرة وواسط وعقد ضمانها إلى أبي الفضل الشيرازي من دون زيادة الصنجة[2] وحق بيت المال	٣٠٠٠٠٠٠٠ درهم
الجزيرة[3]	نصيبين	إلى سنة ٣٢٠هـ	١- من الحنطة والأرز والشعير	١٠٠٠٠٠ دينار
		سنة٣٥٨هـ/٨٦٨م	٢- من الجماجم والجوالي ولوازمها	٥٠٠٠ دينار
			٣- الضرائب المأخوذة من الغنم	٥٠٠٠ دينار
			والبقول والفواكه	٥٠٠٠ دينار
			٤- الضرائب على الطواحين والضياع والمستغلات	١٦٠٠٠ دينار
			٥- تقدير رستاق ابنين وكان لسيف الدولة (٢٠٠٠) كر حبوب مقداره.	١٠٠٠٠٠٠ دينار
				———
			٦- أعمال دار[4] في الربع الشمالي	٣٠٠٠٠ دينار

---

١ - صورة الأرض، ص١٤٣.

٢ - الصنجة : تعني أوزان خاصة من الزجاج، طبع عليها شكل الدراهم أو الدينار ونقوشه لتعيين أوزان النقود، انظر: الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٢١١- ص ٢٢٢.

٣ - صورة الأرض، ص١٩٣- ١٩٤، ١٩٦- ١٩٧.

٤ - أعمال دارا: تقع في الربع الشمالي من نصيبين (نصيبين مقسمة إلى أربعة أرباع) ابن حوقل، ص١٩٤.

	الموصل	٣٥٨هـ/٩٦٨م	وطير عبدين [1] ايضا . ٧- رفع مصيرها وإسقاؤها وجماجمها وعرصتها وطواحينها. دخلها من ١- الحاصل دون قسمة المزارعين بنينوى [2] والمرج [3] وكبيرة حزة [4] (٦٠٠٠) كر حنطة أو شعير قيمته. ٢- ارتفاعها من الحبوب والقطن(٣٠٠) كر قيمتها. ٣- بها من الأموال(جوال وضمانات ومرافق بيت المال) ردت عينا من دون ضياع الأخوة. ٤- ضياع الأخوة حاصلها(٤٠٠٠) كر حنطة وشعير قيمتها من العين. ٥- توابعها من موجب بيت المال السلطان . ٦- اموال الناحية المتقبل حراصها وجزائرها وبساتينها والمستغلات المستغلة من أصحابها والمشتراة ومال اللطف والجوالي. ٧- حاصل باعريا [5] دون الواصل بحق	٣٠٠٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠٠ دينار ١٠٠٠٠ دينار ١٠٠٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠من الورق و٢٠٠٠٠ درهم ٢٠٠٠٠٠٠درهم ٤٠٠٠٠٠٠ درهم ٢٠٠٠ دينار- ٢٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠٠٠٠درهم (٢٠٠٠)دينار - ٣٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠٠٠ دينار ٣٠٠٠٠ دينار

١ - طور عبدين: بليدة من أعمال نصيبين، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٨.

٢ - المرج: رستاق من رساتيق مدينة الموصل محاذي لرستاق نينوى فيه مدينة تعرف بسوق الأحد، صورة الأرض، ص١٩٦.

٣ - المصدر نفسه، ص١٤٣.

٤ - كورة حزة: وهي إقليم له رساتيق، يقع بينه وبين رستاق المرج الزابي الكبيرة، صورة الأرض، ص١٩٦، وذكرها ياقوت الحموي، أنها بليدة قرب اربل من أرض الموصل، انظر: مادة أربل في معجم البلدان، ج٢، ص٢٥٦.

٥ - باعربايا: من نواحي الموصل، صورة الأرض، ص١٩٧.

			المقاسمة إلى الإكراه والمزارعين(٨٠٠٠) كر حنطة وشعير قيمتها من الورق دون زيادة الصنجة وحق الخزن. ٨- عرصة برقعيد [١]. ٩- بازيادى [٢] ودخلها من الحنطة والشعير قيمته من الورق وبها وجوه الأموال قيمته. ١٠- باهدرا [٣] الحنطة والشعير(٣٠٠٠) كر قيمتها وبها من وجوه إسقائها ومياهها قيمة. ١١- فردى [٤] حاصل الحنطة والشعير وما أشبه ذلك جبايته وبها من وجوه الطواحين والجوالي وما أشبه ذلك جبايته ويجمل مجموع أعمالها وجبايتها.	١٠٠٠٠٠ دينار ٣٠٠٠٠ دينار ١٦٢٩٠٠٠٠ درة
الشام [٥] مصر [٦]	فلسطين والأردن دمشق	أيام أبي السمك كافور ——— ٢٩٦هـ/٩٠٨م	أجمالي ارتفاع إقليم الشام	٥٠٠٠٠٠ درنار ٥٠٠٠٠٠ دينار ٣٩٠٠٠٠٠٠ درهم

١ - برقعيد: بلدة تبعد عن الموصل عشرين فرسخاً، قدامة بن جعفر، الخراج، ص١١٢.

٢ - بازيدى: كورة غرب دجلة، ياقوت الحموي، ج١، ص٣٢٠.

٣ - باهدارا: كور من الموصل، صورة الأرض، ص١٩٧.

٤ - قردى: وتشمل جزيرة ابن عمرة جبل باسورني ونواحيه إلى حدود باعيناثا، صورة الأرض، ص١٩٧.

٥ - صورة الأرض، الصفحات: ١٥٩، ١٦١- ١٦٢.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٥٢.

		٣٥٩هـ/ ٩٦٩م		٣٤٠٠٠٠٠ دينار
المغرب[1]		٣٣٦هـ/ ٩٤٧م	وجوه الأموال من(١)- الخراج(٢)- العشر(٣)- صدقات(٤)- مراع(٥)- جوالي(٦)- مراصد (٧)- ما يؤخذ مما يرد من بلاد الروم والأندلس فيعشر على سواحل البحر.(٨)- ما يلزم الخارج من القيروان إلى مصر ما يرد منها من الورق والمقوم بقيمة العين فيكون.	٨٠٠٠٠٠ دينار
الأندلس[2]		٣٤٠هـ/٩٥١م وبعد سنة٣٥٠هـ/٣٦٠هـ		٢٠٠٠٠٠٠٠ دينار
خوزست[3]		٣٥٨هـ/٩٦٨م	ضمنت إلى أبي الفضل الشيرازي وكان مقداره دون زيادة الصنجة وحق بيت المال	٣٠٠٠٠٠٠٠ درهم
فارس[4]	الرجان	٣٥٠هـ/٩٦١م	كان ارتفاعه باستثناء كورة الرجان لأنها كانت خارجة عن عمل فارس وأبواب المال فيها: (١)- من الزموم(٢)- ما تطبق عليه الدواوين(٣)- خراج الأرضين(٤)- الصدقات (٥)- أعشار السفن(٦)- أخماس المعادن (٧)- المراعي(٨)- الجوالي(٩)- غلة دار الضرب(١٠)- المراصد في الضياع (١١)- المستغلات(١٢)- أثمان الماء (١٣)- ضرائب الملاحات والآجام. خارجة عن عمل فارس في هذه المدة،	١٥٠٠٠٠٠ دينار ٥١٠٠٠٠ دينار

١ - صورة الأرض ، ص٩٧.

٢ - المصدر نفسه، ص١٠٤.

٣ - المصدر نفسه، ص٢٣٣.

٤ - المصدر نفسه، ص٢٦٥.

			لأنها كانت بيد أبي الفضل بن ابن العميد.	
كرمان [1]				٥٠٠٠٠٠ دينار
أرمينية وأذربيجان والرآن [2]				٥٠٠٠٠٠ دينار
الجبال [3]	مدينة(مارياذ ا مدينة أصبهان		خراجهما	١٠٠٠٠٠درهم ١٢٠٠٠٠٠٠ درهم
الديلم وطبرستان [4]	جرجان		مواردها المالية من: جبايات، قبالات، حقوق السلطان، ما يؤخذ من المراكب الواردة والصادرة في بحيرة طبرستان ومقدار ذلك.	٢٠٠٠٠٠ دينار- ٢٠٠٠٠٠٠ درهم
سجستان [5]	الجوزجان			١٠٠٠٠٠ دينار من الورق مع توابعه ٤٠٠٠٠٠درهم
	سجستان والرخج دون بست غزنة وكابس وما يعاقب البتكين الحاجب يصاحب هذه الأعمال من أعمال الهند			١٠٠٠٠٠ درهم ١٠٠٠٠٠دينار من الورق ٦٠٠٠٠٠ درهم

---

١ - صورة الأرض، ص٢٧٣.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٠٣.

٣ - المصدر نفسه، ص٣١٠.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٢٦.

٥ - المصدر نفسه، ص٣٥٧.

ويمكن أن نلحظ من الجدول السابق ما يأتي:-

١-ذكر ابن حوقل أجمالي الموارد المالية للأقاليم (العراق ، الجزيرة ، الشام ، مصر ، المغرب ، الأندلس ، خوزستان ، فارس ، كرمان ، وأرمينية وأذربيجان ، والرآن).

٢- ذكر أحيانا الموارد المالية لبعض الوحدات الإدارية التابعة للأقاليم ، كما في حديثه عن الموارد المالية للدولة الزيارية ، إلا أنه لم يفصل في وجوه أموالها ، وفي إقليم الجزيرة ذكر تفصيلات دقيقة عن الموارد المالية لمدينتي (نصيبين ، والموصل) ، وفي العراق ذكر وارد مدينتي(البصرة ، وواسط) ، وفي إقليم الجبال ذكر وارد(جرجان) ، وفي إقليم سجستان ذكر وارد (الجوزجان) ، و(سجستان والرخج دون بست) و(غزنة وكابل وما يصافيها من أعمال الهند).

٣- لم يذكر مقدار مجمل الموارد المالية لبعض الأقاليم والبلدان مثلاً(صقلية) فعلى الرغم من تفصيلاته عن أوجه الجباية ، بيد أنه لم يشر إلى مقداره ، وكذلك ما يخص إقليم(الجبال) و(سجستان) و(خراسان) و(ما وراء النهر).

٤- لم يذكر أوجه الجباية في بعض الأقاليم ، ولا مقاديرها ، كما في إشارته إلى إقليم السند ، ويبدو السبب ما جاء في قوله: "ارتفاع هذه النواحي إلى ملوكها والقائمين بأمورها فشيء طفيف وقدر سخيف لا يتجاوز مؤنهم ولا يزيد على لوازمهم"[١]وكذلك إشارته إلى إقليم سجستان إذ يوضح عدم ذكره لمواردها المالية بقوله: "فأما ارتفاع هذه النواحي التي جمعت صورتها وذكرتها من الأعمال المجاورة فإني لم أجد بداً من الصاق بعضها إلى بعض بالمجاورة ، فإنها مختلفة متباينة بالعمال لكل ناحية من قاض وصاحب خبر وبريد ، وصاحب معونة وكاتب سلة يعرف بالبندار يطالب بالخراج"[٢].

٥- إن ما ذكره من موارد مالية في أكثر الأقاليم يمثل المدة التي زار ابن حوقل

---

١ - صورة الأرض، ص٢٨٤.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٥٦.

هذه الأقاليم ، حيث اطلع بنفسه على مواردها المالية ، باستثناء ما ذكره عن مقدار مجمل الموارد المالية لإقليم الشام في عام(٢٩٦هـ/٩٠٨م) ، والعراق إذ ذكر أوجه من مقادير جبايته في حقب تاريخية مختلفة ، فضلاً عما ذكره لمقدار جبايته في مدة زيارته لهذا الإقليم.

٦- ذكر ابن حوقل مقدار الموارد المالية لقسم من الأقاليم بالدراهم وهي:(العراق ، الشام ، خوزستان ، الجبال ، الديلم وطبرستان) ، ويلاحظ أيضاً أن معظم مقادير الموارد المالية لإقليم الجزيرة ذكرها بالدنانير ، بيد أن مقدار أجمالي مدينة الموصل ذكره بالدراهم ، وكذلك الحال فيما يخص إقليم الشام ، أما الأقاليم والوحدات الإدارية التي ذكر مقادير مواردها المالية بالدنانير فهي(مصر ، المغرب ، الأندلس ، فارس ، كرمان ، وأرمينية وأذربيجان والرآن) ومدينة عثر.

٧- إن أكثر الأقاليم ارتفاعاً في الموارد المالية هي الأندلس ومصر.

الفصل الرابع

الجوانب المُدنية عند ابن حوقل

أولا: مفهوم المدينة عند ابن حوقل.

ثانيا: حجوم المدن.

ثالثاً: تخطيط المدن.

رابعاً: مياه الشرب.

خامساً: وظائف المدن.

سادساً: إضافات العرب المُدنية.

سابعاً: عوامل اضمحلال المدن.

الجوانب المُدنية عند ابن حوقل

أولا: مفهوم المدينة [1] عند ابن حوقل:

يتضح في وصف ابن حوقل لكثير من المدن الإسلامية ، إن المدينة كانت بمثابة الوعاء الحضاري الذي يستوعب مختلف أنشطة الأنسان الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

لقد استوعب ابن حوقل في وصفه للمدينة أكثر من تعريف لها ، ويتضح ذلك من خلال وصفه لمدينة الري في (ناحية الديلم) وبعض مدنها الصغيرة كمدينة خوار وويمه وشلنبه التعريف الإحصائي للمدينة- أي بمعنى حجم السكان الذي تصبح عنده أو بعده لكي يطلق عليها مدينة- فيقول: "وللري سوى هذه المدن قرى تزيد قدرها وجلالتها على هذه المدن كثيراً ولا منابر فيها مثل سد وارمين...وغير ذلك من القرى التي بلغني أن في أحدها ما يزيد من أهلها على عشرة آلاف رجل" [2]. ويبدو أن ابن حوقل حينما ذكر رقم(١٠٠٠٠) شخص فإنه يهدف إلى إظهار حجم السكان لهذه القرى التي تعبر عن حجمها المناسب لأن تكون مدينة صغيرة كتلك المدن التي

---

١ - لقد تناول عبد الجبار ناجي، مفهوم العرب للمدينة بشكل عام، ينظر: دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، الباب الثاني، ص٤٥ وما بعدها

٢ - ينظر: صورة الأرض، ص٣٢٢.

ذكرها(خوار وويمة وشلنبة)[١].

واستوعب ابن حوقل التعريف الوظيفي للمدينة ، على أساس أن الوظيفة قاعدة تعريف المدينة ، حيث مظهر المباني يختلف ما بين القرية والمدينة نتيجة لاختلاف النمط الوظيفي[٢]. فالمدينة عند ابن حوقل نشأت وتطورت بفعل العامل الوظيفي [٣]. يتضح مما سبق أن مفهوم ابن حوقل للمدينـــــــة يقترب إلى حد ما من التعريف المعاصر.

وفضلاً عن استيعابه لتعريف المدينة ، يلاحظ من خلال وصفه للمدن وضوح مفهوم الموقع والموضع عنده. باعتبار الموقع عنصراً ثميناً جدا في حياة أية مدينة بينما الموضع ثانوي جداً. وقد يظل موقع ما على جانب كبير من الأهمية بينما تتعاقب مدينة داخل إطارها العام على بضعة مواضع مختلفة[٤]. ويتضح ذلك بما ذكره عن بناء مدينة الزهراء في(الأندلس) واتخاذها عاصمة للبلد بقرب مدينة قرطبة العاصمة الأم[٥].

واستوعب أيضاً البناء الوظيفي للمدن ، وحجم المدينة ، وعواملا اضمحلالها ، وعضوية المدينة على أساس أن المدينة تنشأ ثم تنمو وتزدهر ثم تضمحل ، ويبدو ذلك في وصفه لمدينة برذعة عاصمة الرآن في(إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن) بقوله: "ولم يكن بين العراق وطبرستان بعد الري وأصبهان مدينة أكبر منها ولا أخصب ولا أحسن موضعاً ومرفق وأسواقا إلى فنادق ودور وحمامات وأحوال وتجارات ، فاختل حالها.... ولقد بلغني أنها وقتنا هذا من سوء الحال واختلال الاسباب.... أن جميع من يخبز بها خمسة خبازين ، ولقد كان بها منهم أكثر من الف ومائين"[٦].

واهتم ابن حوقل في وصف بنية المدينة-أي تركيبها المعماري الداخلي- سواء

---

١ - عبد الجبار ناجي، مفهوم العرب للمدينة، ص٩٥.

٢ - ينظر هذا التعريف عند د٠جمال حمدان، جغرافية المدن،ط٢،(القاهرة:١٩٧٧م)، ص١٧.

٣ - سيتضح ذلك في دراسة وظائف المدن.

٤ - جمال حمدان، جغرافية المدن، ص٢٧٨.

٥ - صورة الأرض، ص١٠٧.

٦ - المصدر نفسه ، ص٢٩٠.

أكان بوظائفها الدينية(الوحدات العمرانية الدينية من جوامع ومعابد ، مصلى ، منابر...) أم الإدارية(كدار الأمارة ، بيت المال ، الحبوس...) ، أم التجارية من(أسواق ، خانات ، حوانيت ، خنبارات[1]...) أم العسكرية(أسور ، قلاع ، حصون ، ابراج...) ، فضلاً عما جاء في وصفه للجوانب الطبيعية سواء أكانت معالم السطح أم موارد مائية أم إشارات مناخية ، وسجل أيضاً ما تشتهر به المدن من غلات زراعية أو معادن أو ثروة حيوانية أو مواد تجارية سواء أكانت مصنعة أم طبيعية.

وأشار في وصفه إلى الجوانب المالية في المدن من ضرائب وأسعار ونقود ومكاييل وموازين ، وسجل وصفاً للحياة الاجتماعية في المدن بما فيها من رسوم وعادات وأزياء وملابس....

كذلك ذكر جوانب تاريخية من خلال وصفه لبعض المدن وما حلت بها من أحداث ، فيذكر أحيانا تاريخ بناء المدينة واسم بانيها ، ويذكر سنة الفراغ من بنائها ، وأحياناً يشير إلى العوامل التاريخية التي تؤدي إلى خرابها مثال ذلك ما ذكره ابن حوقل من أحداث تاريخية عن مدينة الموصل تبدو صفحة تاريخية لهذه المدينة إبان حكم الحمدانيون[2] ، وكذلك الحال عن مدينة حلب وما واجهها إبان مدة وصف ابن حوقل لها من مصائب غزو البيزنطيين[3] ؛ لذا فإن الروايات التاريخية التي تضمنتها أوصافه الجغرافية لبعض المدن الإسلامية لها أهمية خاصة في التسلسل التاريخي لهذه المدن والمنطقة على حد سواء[4].

وذكر أيضاً التوزيع السكاني للمدن سواء أكان خطط الأهالي منها أم المحلات كما في وصفه لمدن (البصرة ، الكوفة ، والفسطاط)[5].

---

١ - الخانبارات: محلات كبار تجري فيها عمليات البيع والشراء، وتنتشر في الأقاليم الشرقية للدولة الإسلامية، ينظر: صورة الأرض، ص٢٦٢.

٢ - ينظر: صورة الأرض، ص ١٩٥.

٣ - ينظر: المصدر نفسه ، ص١٦٢- ص١٦٣.

٤ - عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص١١٩،ص ١٢٠.

٥ - ينظر: صورة الأرض، ص٢١٢،ص ٢١٥،ص ١٩٤.

وقد أورد ابن حوقل أنواعا من المدن ، فهناك العواصم الإقليمية[1] ، وعواصم للتقسيمات الإدارية أو الأقاليم الفرعية[2] ، وهناك مدن إقليمية[3] ، ومدن بمثابة المراكز الإدارية التابعة للمدن الإقليمية والمدن الأخيرة صغيرة الحجوم على حد تعبيره[4].

ولكن هل تناول وصف ابن حوقل جميع المدن التي وردت في كتابه على منوال واحد؟ إن ابن حوقل كان يطيل في وصفه لأمهات المدن الإسلامية على سبيل المثال: (بغداد ، البصرة ، الكوفة ، والموصل...)[5] ويوجز أحياناً من هذا الوصف نلتمس ذلك في وصفه لمدينة(الحديثة ، أذرمة ، عانة) في إقليم الجزيرة أو مدينة بسمد في(إقليم السند)[6].

حجوم المدن :

تهدف دراسة هذا الموضوع معرفة عوامل تباين حجوم المدن وتصنيف المدن وفقاً لحجومها من خلال ما ذكره ابن حوقل في وصفه للمدن.

أ- عوامل تباين حجوم المدن :

ميز ابن حوقل جملة عوامل كانت وراء التباين في حجوم المدن وهي:-

(١) سعة الرقعة التي تشغلها المدينة :

يتضح ذلك من خلال وصفه لمدينة عدن على ساحل البحر العربي ونعته إياها بالمدينة الصغيرة ، إذ يقول عنها: "مدينة صغيرة وشهرتها لأنها فرضة على البحر...

---

١ - ينظر : مثلاً ما ذكره عن مدينة بغداد أو مدينة شيراز(قصبة بلاد فارس)،صورة الأرض، ص٢١٥،ص ٢٣٦.

٢ - ينظر: مثلاً ما ذكر عن قصبات التقسيمات الإدارية(الأجناد) لبلاد الشام، صورة الأرض، ص١٥٧- ص ١٥٨،ص ١٦٥.

٣ - ينظر: مثلاً وصفه لمدينتي البصرة، الموصل ...، المصدر نفسه ، ص٢١٢،ص ١٩٥.

٤ - ومن أمثلة المدن التي ذكرها بهذا الخصوص(مدن البصرة) وهي عبادان، والابلة، والمفتح، والمذار، ينظر: المصدر نفسه ، ص٢١٤.

٥ - ينظر: المصدر نفسه ، الصفحات:٢١٥، ٢١٨، ٢١٢- ٢١٥، ١٩٤- ١٩٨.

٦ - ينظر: المصدر نفسه ، الصفحات :١٩٨، ١٩٩، ٢٠٩، ٢٧٩.

وباليمن مدن أكبر منها ليست كشهرتها"[١] ويتبين هنا صغر رقعة المساحة التي تشغلها هذه المدينة. ويبدو هذا العامل أكثر وضوحاً في موازنته بين حجم مدينة الموصل وبين مدينة نصيبين(في إقليم الجزيرة) إذ يقول عن مدينة الموصل: "إنها أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال وكثرة الضياع وعظم اعمالها... "[٢] ، وفي وصف ابن حوقل لمدينة المهدية(في إقليم المغرب) فعلى الرغم من أنها تمتلك معايير المدن الكبيرة من أسواق وحمامات وخانات وكثرة العمارة والقصور والأبنية التي تشير إلى وظيفتها السياسية(عاصمة الفاطميين) ، إلا أنه نعتها بالمدينة الصغيرة ، وتبدو الإشارة واضحة إلى رقعة المساحة التي تشغلها المدينة[٣].

(٢) حجم(عدد) السكان :

يتضح هذا العامل في وصف ابن حوقل لمدينة طرطوس في(بلاد الشام) إذ يقول: "فأما مدينة طرطوس فكانت المدينة المشهورة المستغنى بشهرتها عن تحديدها كبيرة استحدثها المأمون بن الرشيد ومدنها ، وجعل عليها سورين... يذكر أنه كان بها مائة الف فارس"[٤]. يتبين من ذلك أن حجم السكان وهو مائة الف جعلها في مصاف المدن الكبيرة.

وهناك معالم عمرانية ذكرها ابن حوقل في وصفه لبعض المدن هي أفران الخبز للأهالي إذ أنها تشير إلى حجم السكان. ففي وصفه لمدينة الفسطاط يقول: "وفيها غير فرن لخبز عجين أهلها"[٥] ، ويبدو من ذلك كثرة عدد سكانها وكذلك في وصفه لمدينة برذعة ، ما يشير إلى هذا المعيار(عدد السكان) إذ بسبب احتلالها قل عدد سكانها ، يتضح هذا في قلة عدد أفران الخبز فيها بقوله: "وقد بلغني أنها وقتنا هذا

---

١ - صورة الأرض، ص٤٤.

٢ - صورة الأرض ، ص١٩٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٠٧.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٣٧.

من سوء الحال واختلال الأسباب بما أصارها إلى أن جميع من يخبز بها خمسة خبازين ، ولقد كان بها منهم أكثر ألف ومائين"[1].

وجعل ابن حوقل حجم السكان من المعايير التي توازن بها حجوم المدن كما في موازنته بين حجم مدينة الموصل ومدينة نصيبين بما قاله عن مدينة الموصل: "إنها أضعاف أعمال نصيبين في فسحة الأعمال وكثرة الضياع ... وغزارة السكان واهل السوق"[2].

(٣) البنية الوظيفية:

إن البنية الوظيفية تتيح للمدن أحجاما كبيرة ، ويتضح ذلك في وصف ابن حوقل لمدينة الموصل كونها مدينة كبيرة ذات وظيفة سياسية-إدارية وتمارس أيضاً وظيفة تجارية إذ يقول: "وبها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجتبي أموالها وارتفاعها... وهي مدينة أبنيتها بالجص والحجارة كبيرة غناء ... وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة ، مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد ... وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت إليها سكان البلاد النائية ، فقطنوها وجذبتهم إليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكونها وهي فرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشام"[3].

ويتضح هذا العامل أيضاً في وصفه لمدينة نيسابور عاصمة(إقليم خراسان) ، بقوله: "وكان دار الأمارة بخراسان في قديم الأيام بمرو وبلخ إلى أيام الطاهرية فإنهم نقلوها إلى نيسابور ، فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت أموالها عند توطنهم إياها وقطنوهم بها"[4] ، ويتضح من ذلك أن انتقال العاصمة إلى نيسابور ساعد على كبر حجمها.

---

١ - المصدر نفسه، ص٢٩٠.

٢ - صورة الأرض ، ص١٩٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٩٤- ص ١٩٥.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٦١.

ومما يجدر ذكره ضمن هذا العامل أنماط استعمالات الأرض ، سواء أكان استعمالات الأرض التجارية أم السكنية ، ففي المدن الكبيرة يلاحظ ما تشغله استعمالات الأرض من نسبة كبيرة من مساحة المدينة كما في وصفه لمدينة سمرقند قصبة إقليم السغد(في بلاد ما وراء النهر) بقوله: "وهي مدينة فيها أسواق كبار وفيها ما في المدن العظام من المحال والحمامات والخانات والمساكن"[١].

وكذلك فيما يخص المساجد ، فعدد المساجد في المدن الكبيرة أكثر مما في المدن الصغيرة كما يلاحظ في وصف ابن حوقل لمدينة الفسطاط إذ ذكر : فيها خمسة مساجد فضلا عن مسجدين لصلاة الجمعة[٢] ، لذا يُعد الجامع من المعايير التي تقاس بها حجوم المدن.

(٤) غنى إقليم المدينة[٣]:

عده ابن حوقل من العوامل التي تؤدي إلى نمو حجم المدينة ويبدو ذلك من وصفه لمدينة الموصل بوصفها مدينة كبيرة بقوله: "....وللموصل نواح عريضة ورساتيق عظيمة وكور كثيرة ، غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي إلى غير ذلك من أسباب النتاج والسائمة من الأغنام والكراع"[٤].

(٥) مركزية المدينة:

تعني كثافة المرور الداخل والخارج للمدينة ، وكذلك سهولة الوصول إليها فيلاحظ ذلك في وصف ابن حوقل لمدينة الموصل كونها فرضة لأذربيجان والعراق

---

١ - صورة الأرض، ص٤٠٦.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٣٨.

٣ - ويعني بالمفهوم الجغرافي الحديث(إقليم المدينة)يضم مجموعة من القرى والمستوطنات الريفية وشبه الريفية، والأراضي الزراعية، وعدد من المدن الصغيرة والمتوسطة الحجم وأحياء حضرية وتوابع، كما يدخل ضمن الإقليم أنواعاً مختلفة من موارد الثروة الطبيعية والبشرية، ينظر: عبد الرزاق عباس حسين، جغرافية المدن، بغداد: ١٩٧٧، ص٣٤٨.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٩٦.

والشام ، فضلاً عن رخص الأسعار فيها[1] ، أدى ذلك بالنتيجة إلى جذب سكان المناطق النائية ، ورواج التجارة فيها.

وتُعد سهولة الوصول إلى المدينة من المعايير التي تكشف حجمها ، إذ عموماً تزداد مسافة التباعد بين المدن الكبيرة عن معدل التباعد بين المدن الصغيرة[2]. ويتضح ذلك في ذكره للمسافات في إقليم فارس فعلى سبيل المثال أن المسافة من مدينة شيراز إلى أصبهان ثلاثة وسبعين فرسخاً ، ويوجد على هذا الطريق مدن صغيرة والمسافة بين الواحدة والأخرى تتراوح بين أربعة إلى ثمانية فراسخ[3].

ب- تصنيف المدن على وفق حجومها :

من خلال العوامل التي كانت وراء التباين في حجوم المدن تمكن ابن حوقل من تصنيف المدن إلى:

(١) المدن الكبيرة:

من أمثلة هذه المدن ما جاء في وصف ابن حوقل لمدينة الموصل ، وكذلك في وصفه لمدينة قرطبة إذ يقول عنها: "قرطبة وليس بجميع المغرب لها شبيه ، بالجزيرة والشام ومصر ما يدانيها في كثرة أهل(حجم السكان) وسعة رقعة(سعة الرقعة التي تشغلها المدينة) وفسحة أسواق ونظافة محال ، وعمارة مساجد وكثرة حمامات وفنادق (استعمالات الأرض)... وفيها لم يزل ملك سلطانهم ومساكنه وقصره من داخل سورها المحيط بها(البنية الوظيفية..)[4].

---

١ - المصدر نفسه، ص١٩٦.

٢ - خالص الأشعب، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق، مجلة آفاق عربية، عدد(٧)، السنة الحادية عشر(تموز ١٩٨٦م)، ص٧٧.

٣ - صورة الأرض، ينظر: وصفه للطريق بين شيراز- أصبهان، ص٢٥٠.

٤ - المصدر نفسه، ص١٠٧- ص ١٠٨.

(٢) المدن الوسطى:

مما تجدر الإشارة إليه أن ابن حوقل نعت مدينة برقة في(إقليم المغرب) أنها مدينة وسط[١] على الرغم مما ذكره عنها من معايير المدن الكبيرة من سعة مساحة الأرض ، مركزية المدينة ، ووجود الأسواق ورواج التجارة إلا أنه لم يذكر سبب جعلها مدينة متوسطة ، فربما كان حجم سكانها أقل مما في المدن الكبيرة أو ربما كون المعايير التي سبق ذكرها والتي تقاس بها حجم المدينة لم تكن بمستوى تجعلها ترتقي إلى مصاف المدن الكبيرة.

وثمة تعبيران أوردهما ابن حوقل في وصفه لبعض المدن وهما (المدينة المقتصدة) و(المدينة المقتدرة)[٢] وكلا التعبيرين يشيران إلى المدن المتوسطة - أي المدن الأقل حجماً من المدن الكبيرة وأكبر حجماً من المدن الصغيرة- فقد نعت مدينة نكور في (إقليم المغرب) بالمدينة المقتصدة بقوله: "ونكور مدينة مقتصدة في وقتنا هذا ، وكانت قديماً أعظم مما هي وآثارها بينة ، ولها مرسى ترسى فيه المراكب"[٣] ، وكذلك في وصفه لمدينة البصرة في(إقليم المغرب) بأنها مدينة مقتصدة[٤]. أما تعبير المقتدرة فقد ورد في وصفه لمدينة بونه بقوله: "ومدينة بونه مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة"[٥].

(٣) المدينة فوق الصغيرة:

بمعنى أنها أكبر حجماً من المدن الصغيرة وأقل حجماً من المدن المتوسطة ، ويتضح هذا التعبير في وصفه لمدينة تنس في(إقليم المغرب) إذ يقول: "وتنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدّة ، وبعضها على جبل قد أحاط به السور ، وبعضها في

١ - المصدر نفسه، ص٦٩.

٢ - وتعني وسط، ينظر: ابن منظور، لسان العرب المحيط، مادة(قدر)، ج٣، ص٣٠.

٣ - المصدر نفسه ، ص

٤ - المصدر نفسه ، ص٤٠٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص٧٧.

سهل وهي من البحر(المتوسط) على نحو ميلين على واد كثير الماء ، وشربهم منه. وهي مدينة فوق الصغيرة..."[1].

(٤) المدن الصغيرة:

وجاء هذا التعبير في وصفه لمدينتي(عدن والمهدية) كما سبقت الإشارة إلى ذلك. ومن أمثلة المدن الصغيرة التي ذكرها ابن حوقل في العراق مدينة النهروان: "وهي صغيرة عامرة من بغداد على أربعة فراسخ..")[2] ، ومدينة القادسية بقوله: "مدينة على شفير البادية صغيرة ذات نخيل ومياه..."[3].

ثالثاً: تخطيط المدن:

يمكن القول أن خطط المدن كانت متنوعة عند ابن حوقل ، وذلك من خلال تميزه بين العناصر العمرانية والتخطيطية للمدينة ممثلة بما يلي:

أ- المنشئات الدينية الإسلامية:

ميز ابن حوقل في وصفه للمنشئات الدينية في المدن الإسلامية بين المسجد الجامع وبين الجامع وبين المصلى.

(١) المسجد الجامع:

الذي ينشأ في المدن الكبيرة وتقام فيه صلاة الجمعة ، ويبدو من خلال إشارات ابن حوقل إلى المسجد الجامع ، أنه يحتل الوحدة العمرانية المركزية في أغلب المدن ، فمثلاً في وصفه لمدينة بلخ في(إقليم خراسان) ، ذكر أن مسجد جامعها في وسطها[4] ، وربما يعزى السبب الذي دفع المسلمين إلى بناء المسجد الجامع في وسط المدينة كونه

---

١ - صورة الأرض، ص٧٨.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢١٥.

٤ - المصدر نفسه، ص٣٧٣، وينظر: وصفه لمسجد هراة في(إقليم خراسان)، ص٣٦٦.

يؤدي وظائف عامة سياسية واجتماعية فضلاً عن أهميته الدينية[1].

أما عن المساحة التي يشغلها المسجد الجامع فترد أشارته إلى مسجد مدينة بلرم في (صقلية) في قوله: "وفيها مسجد الجامع الأكبر"[2] ، وكذلك ما جاء في وصفه لمسجد مدينة الخالصة في(صقلية) بقوله: "وفيها مسجد جامع صغير مقتصد"[3] ، وكون المسجد الجامع يمثل الوحدة العمرانية المركزية ، لهذا أصبحت الأسواق تحيط به كما يلاحظ من وصفه لمدينة بلخ بقوله: "وأسواقها تحف بمسجد جامعها...."[4]. وهذه الإشارة تؤكد أن المركز الأساس الذي تقوم عليه المدينة الإسلامية ، وإنما في الغالب يتألف من مؤسستين مهمتين هما المسجد والسوق وكثيراً ما نجد أحدهما قرب الآخر[5]. وفي المدن الكبار أشار ابن حوقل إلى وجود أكثر من مسجد لصلاة الجمعة فمثلاً في مدينة بغداد إن صلاة الجمعة تقام في أربعة مواضع ، الأول في الجانب الغربي بمدينة المنصور المدورة ، والثاني بالرصافة لأهل باب الطاق ، والثالث في دار السلطان[6] ، والرابع مسجد براثا[7] في الجانب الغربي من بغداد[8]. وفي مدينة الفسطاط ذكر مسجدين لصلاة الجمعة ، أحدهما بناه عمرو بن العاص في وسط الأسواق ، والآخر في الموقف[9] ، بناه أحمد بن طولون[10].

---

١ - عبد الرزاق عباس حسين، نشأة المدن وتطورها، المطبعة الفنية (القاهرة: ١٩٧٣)، ص٤١.

٢ - صورة الأرض، ص١١٣.

٣ - صورة الأرض ، ص١١٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٧٣.

٥ - عدي مخلص، المقدسي البشاري، ص١٨٨.

٦ - بنى هذا القصر المعتضد على نهر دجلة سنة(٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، ويعرف بدار الخلافة وكان الناس يصلون الجمعة في الدار. وليس هناك رسم لمسجد وإنما يؤذنون للناس في الدخول وقت الصلاة ويخرجون عند انقضائها، ينظر: الخطيب البغدادي،تاريخ بغداد ، ج١،ص١٠٩.

٧ - مسجد براثا، ذكر ابن حوقل أنه استحدثه الأمام علي(عليه السلام)، وبالحقيقة هو الموضع الذي صلى به أثناء اجتيازه إلى النهروان، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ، ج١، ص١٠٩.

٨ - صورة الأرض، ص١٣٨.

٩ - الموقف، محلة بمصر، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٢٦٦.

١٠ - صورة الأرض، ص١٣٨.

ولا يهمل ابن حوقل الجوانب المعمارية في وصفه لبعض المساجد ، ففي وصفه لمسجد الجامع في مدينة دمشق يتحدث عن أساطين هذا المسجد وجدرانه ومعاقد رؤوسه ومحرابه وترابيعه وما فيه من آيات الفن وبدائع الصنع[1]. كذلك ما ذكره عن مسجد الجامع في مدينة الفارياب في(إقليم خراسان) بقوله: "وليس لمسجد جامعها منارة... وإن ذكرت ما مر لي في استحداث منارة بالفارياب مع أهلها وأميرها وجلّة أهلها لطال ، وهم يأبون إلا قولهم هذه سنة وقبيح بالخلف تغيير رأي رآه السلف"[2]. وقد لفت انتباهه أيضاً مسجد مدينة اليهودية في(إقليم خراسان) إذ وصفه أن له منارتين[3].

ولم تقتصر إشارة ابن حوقل إلى ذكر موقع المسجد الجامع وموقع الأسواق منه ، وعددها في قسم من المدن ، أو وصف الجوانب المعمارية للقسم الآخر ، بل امتد وصفه ليشمل ما يؤمها الناس فقد ذكر: "وليس بخراسان وما وراء النهر وسجستان والجبال مسجد أعمر بالناس على دوام الأيام من مسجد هراة ومسجد بلخ وإليه مسجد سجستان"[4].

(٢) المسجد أو الجامع :

ذكر ابن حوقل المسجد أو الجامع الأقل حجماً من المسجد الجامع سواء أكان في المدن الكبيرة أم في المدن الصغيرة ، فبجانب ما ذكره عن مسجدي صلاة الجمعة في مدينة الفسطاط أشار إلى الجامع الذي ابتنته نساء أهل المغرب بالقرافة[5] إذ وصفه

---

١ - صورة الأرض ، ص١٦١.

٢ - المصدر نفسه، ص٣٦٩- ص ٣٧٠.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤٠٦.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٦٦.

٥ - القرافة: خطة بالفسطاط، كانت مساكن لقبائل اليمن(لبني غصن بن سيف بن وائل من المعاقر)، نزلوها فسميت بهم، ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض ، ص١٣٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣١٧

أنه: "من الجوامع الفسيحة الفضاء الرائعة البناء ، أنيق السقوف ، بهي المنظر"[1].

ومن غريب ما ذكره ابن حوقل ، هو كثرة عدد المساجد في مدينة بلرم ، ففضلاً عن وجود مسجد الجامع ، أنه أشار إلى وجود نيف وثلاثمائة مسجد في هذه المدينة. ولم يرَ ابن حوقل مثل هذا العدد من المساجد بمكان ، ولا ببلد من البلدان الكبار ، حتى إنه في مقدار رمية سهم (إشارة إلى المسافة القصيرة) نحو عشرة مساجد ، وقد استفسر عن سبب ذلك ، فأخبر أن القوم كان الواحد منهم يحب أن يكون له مسجد مقصور عليه ، لا يشاركه فيه غير أهله وحاشيته ، وربما كان الإخوان المتلاصقة دارهما قد عمل كل واحد منهم مسجداً لنفسه ليكون جلوسه فيه وحده ، وفي جملة هذه العشرة مساجد التي ذكرها مسجد يصلي فيه أبو محمد القفصي[2] وبينه وبين دار ولد له يتفقه دون الأربعين خطوة ، وقد ابتنى ابنه مسجداً إلى جانب داره وهو مغلق الباب أبداً ويحضر أوقات الصلاة وهو جالس في دهليز داره المجاور لمسجده ، فلا يصلي فيه ، وكأن رغبته في ابتنائه أن يقال مسجد الفقيه ابن الفقيه ، وفي هذه الاربعين خطوة بين مسجد ، ومسجد أبيه يوجد مسجد آخر[3]. ويتضح مما سبق أن كثرة عدد المساجد في مدينة بلرم ليس للتوسع الحاصل في حجم المدينة ، وإنما هي رغبة من بعضهم في أن يكون له مسجد مقصور عليه.

أما في المدن الصغيرة ، فمن أمثلة هذه المدن التي ذكر جوامعها مدينتي (الحديثة وألوس) في إقليم الجزيرة[4].

---

١ - صورة الأرض، ص١٣٨.

٢ - هو أبو محمد عبد الواحد بن محمد المعروف بالقفصي الفقيه الوثائقي، ينظر: صورة الأرض، ص١١٥.

٣ - المصدر نفسه ، ص١١٥- ص١١٦، وانفرد ابن حوقل من بين الجغرافيين المعاصرين له بذكر عدد المساجد في صقلية.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٠٦.

(٣) المُصلى:

ذكر ابن حوقل(المُصلى) وحدة عمرانية دينية ، ففي وصفه لمدينة نسف(في بلاد ما وراء النهر) يقول: "ومسجد الجامع بناحية باب غوبذين ، والمصلى بناحية باب النجارية داخل الباب...."[١] ، وفي مدينة الترمذ[٢] (في بلاد ما وراء النهر) ذكر موقع المصلى ومسجد الجامع داخل السور في الربض[٣]. ولم يصف ابن حوقل ما كان عليه المصلى آنذاك.

ب- دار الإمارة:

لم ترد عند ابن حوقل نصوص تفصل في دار الإمارة مع أنه من الوحدات العمرانية التي تدل على الوظيفة السياسية للمدن ، وكانت دار الإمارة من ضمن الوحدات العمرانية التي فكر العرب المسلمون في اختيار موضعها منذ البداية الأولى لتخطيط المدن التي أنشأوها. وتجاوز ابن حوقل أيضاً ذكر الجوانب التخطيطية لدار الإمارة ، واقتصر وصفه على ذكر مواقعها أحياناً وأشار إلى بانيه ، ونورد بعض الأمثلة التي توضح ما ذكره ابن حوقل بهذا الخصوص. فحينما وصف مدينة هراة في (إقليم خراسان) أشار إلى أن: "دار الإمارة خارج الحصن بمكان يعرف بخراسان أباذ وبين المدينة نحو ثلث فرسخ"[٤].

وأحياناً تكون دار الإمارة قريبة من المسجد الجامع فمثلاً ذكر في وصفه لمدينة قاين(قصبة ناحية قوهستان في إقليم خراسان) أن دار الإمارة ومسجد الجامع في القهندز (القلعة)[٥].

---

١ - صورة الأرض ، ص٤١٢.

٢ - الترمذ: مدينة على نهر جيحون، المصدر نفسه ، ص٣٩٤.

٣ - صورة الأرض ، والربض: يعني أساس المدينة والبناء، أو ما حوله من خان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٥.

٤ - صورة الأرض، ص٣٦٦.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٧٢، وترد مثل هذه الإشارات في وصفه لمدينة تونكث(قصبة ايلاق) في بلاد ما وراء النهر، ص٤١٨.

ويشير أحياناً إلى وجود أكثر من دار للإمارة في المدينة كما جاء في وصفه لمدينة زرنج (قصبة إقليم سجستان) وما فيها من دور الإمارة لآل الصفار ، وذكر ابن حوقل مواقع هذه الدور فقال: "ودار الإمارة في الربض بين باب الطعام وباب فارس خارج المدينة... وهناك أيضاً دار إمارة على ظهر الجامع عند الحبس قديمة ومنها نقلت خارج الربض. وبين باب الطعام وباب فارس قصران ليعقوب بن الليث ولعمرو بن الليث ودار الإمارة في دار يعقوب بن الليث"[١].

أما عن أهمية وأثر دار الإمارة على المدينة فيتضح ذلك مما ذكره عن مدينة نيسابور إذ يقول: "وكانت دار الإمارة بخراسان في قديم الأيام بمرو وبلخ إلى أيام الطاهرية فإنهم نقلوها إلى نيسابور ، فعمرت وكبرت وغزرت وعظمت أموالها...."[٢].

ومما ذكره ابن حوقل عن دار الإمارة يظهر أن وجودها كان في عواصم الأقاليم الرئيسة كما يتضح في مدن (زرنج ، نيسابور ، بخارا) ، وفضلاً عن ذلك يتبين أن هناك داراً للإمارة في بعض عواصم الأقاليم الفرعية ، فمثلاً ما ذكره عن مدينتي قاين ، وبنكث (قصبة إقليم الشاش في بلاد ما وراء النهر) ، وهناك دار للإمارة في بعض المدن الإقليمية كما جاء في وصفه لمدينة نسف [٣].

ج- خطط الأهالي:

يبدو أن إشارات ابن حوقل عن خطط الأهالي مبتسرة ، إذ لمح أحيانا إلى التوزيع القبلي للسكان ، ويظهر هذا التوزيع تأثير النظام الاجتماعي القبلي الذي كان سائداً في جزيرة العرب على سكنى الأهالي في الأمصار الإسلامية. فقد أشار إلى خطط أهالي البصرة بقوله: "فهي خِططٌ وقبائل كلها"[٤] من غير أن يدخل في تفاصيل ذلك. ولمح ابن حوقل إلى خطط الأهالي في مدينة الكوفة بقوله: "إنها خطط لقبائل

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٤٩- ص ٣٥٠.

٢ - المصدر نفسه ، ص٣٦٣.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤١٣.

٤ - ص٣٤٩- ص ٣٥٠.

العرب"[1]. وانسجاما مع التوزيع القبلي للسكان، جعل مثل هذا النمط من الاستيطان يتكرر في مدينة الموصل إذ يقول: "وأهلها عرب ولهم بها خطط وأكثرهم ناقلة الكوفة والبصرة"، ويضيف في حديثه عن مدينة الموصل إشارة إلى البيوتات الفاخرة والأقوام أهل المروءة الذين استوطنوها، كبني فهد وبني عمران من الأزد وأشراف اليمن، وبنى شخاج وبني أود وبني زبيد وبني الجارود وبني أبي خداش والصداميين والعمريين وبني هاشم وغير ذلك[2]. ويبدو أن لكل من هؤلاء خطة أو محلة خاصة بهم ومسجد[3]. ويشير ابن حوقل إلى التوزيع القبلي أيضاً لمدينة الفسطاط وأنها: "قبائل وخطط تنسب إليها محالهم كالكوفة والبصرة"[4].

د- الأسواق:

تؤدي الأسواق دوراً رئيساً في النشاط التجاري للمدينة. وفي وصف ابن حوقل للمدن ذكر معلومات تتعلق بمواقع الأسواق، وأقسامها وأنواعها وحالتها وأسمائها.

وقد سبقت الإشارة إلى أن السوق مع الجامع يُعدّان من الوحدات العمرانية

---

١ - صورة الأرض، ص٢١٥، وتشير الروايات التاريخية أن الكوفة قسمت على أسباع، ينظر: محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، المطبعة الحسينية المصرية، الأهالي، ج٤، ص١٨٩، كاظم الجنابي، تخطيط مدينة الكوفة من المصادر التاريخية والأثرية (خاصة في العصر الأموي)، بغداد: ١٩٦٧م، ص٧٨، عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص١٦٤- ص١٦٩.

٢ - صورة الأرض، ص١٩٥، للتوسع عن خطط أهالي في مدينة الموصل، ينظر: أبو زكريا يزيد بن محمد الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق الدكتور علي جيبة، القاهرة(١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، الصفحات:٦٨، ٨١، ٩١، ٩٢، ١١٣، ٢٨٦، ٣١٢، عبد الماجود أحمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، مطبعة جامعة الموصل،(١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م)، ص٦٦- ص٧٠،عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص٣٤٧- ص٣٤٩.

٣ - عبد الجبار ناجي، المرجع نفسه.

٤ - صورة الأرض، ص١٣٧، للتوسع عن خطط الأهالي في مدينة الفسطاط، ينظر: ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، تحقيق عبد المنعم عامر، الناشر لجنة البيان العربي (١٩٦١م)، ص١٤١ وما بعدها، ابن دقماق، الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ص٦ وما بعدها، عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص١٨٥- ص ١٩٥.

المركزية في داخل المدن ، حيث يكون أحياناً أحدهما ملاصقاً للآخر ، وفضلاً عن الموقع المركزي الذي يحتله السوق ، ذكر أسواقاً تمتد على واجهات الطرق الرئيسة عند أبواب المدينة وخارجها كما في وصفه لمدينة الري إذ ذكر أسواقها المشهورة وهي : "رَوذه ، وبليسان ، ودهك بُرّ ، ونصراباذ ، وسارباناان ، وباب الجبل وباب هشام ، وباب سين ، وأعظمها الروذه وبها معظم التجارات والخانات وهو شارع عريض مشتبك الأبنية والعقارات والمساكن"[١].

وفضلاً عما ذكره عن مواقع الأسواق ، يصف ابن حوقل الأسواق الموسمية التي تعقد في أوقات معلومة من الأسبوع أو الشهر أو السنة ، حتى غدت بعض المدن تحمل اسم اليوم الذي يعقد فيه سوقها كما هو واضح في مدينة سوق الأحد من(مدن الموصل) ، إذ يقول: "فيها أسواق ولها موعد لأوقات يحضر فيها السوق"[٢]. واحيانا يغلب اسم السوق على اليوم الذي يعقد فيه السوق فيصف سوق الكركي بمدينة برذعة بقوله: "سوق يعرف بسوق الكركي مقداره فرسخ ، ويجتمع فيه الناس كل يوم أحد وينتابونه من كل مكان .... ويجتمع فيه أهل القرى حتى يكاد يداني سوق كورسرة[٣] وقد غلب اسم السوق على اسم اليوم لدوامه وقولهم يوم الكركي ، حتى إن كثيراً منهم إذ عد أيام الجمعة قال الجمعة والسبت والكركي الاثنين ؛ يريد بالكركي الأحد"[٤].

وذكر ابن حوقل أسواقا موسمية تعقد في أوقات معلومة من الشهور ، كما هو الحال في أسواق مدينة بخارا ، بقوله: "أسواق متصلة معلومة في أوقات من الشهور داخل الحائط وخارجه ، دارة المواعيد تجري فيها للشرى والبيع"[٥] ، ووردت إشارة عند

---

١ - صورة الأرض، ص٣٢١.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٩٦.

٣ - كورسرة: قصر بحصن عظيم في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن) في طريق اردبيل- المراغة، وله أسواق في كل شهر ومواعيد من السنة، المصدر نفسه ، ص٣٠١.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٩١.

٥ - المصدر نفسه ، ص٤٠٤.

ابن حوقل إلى أسواق تعقد في أوقات معلومة من السنة كما جاء في وصفه لأسواق مدينة الطواويس(من مدن بخارا) إذ يقول: "فكان لهم سوق ومجمع عظيم ينتابه الناس من أقطار أرض خراسان في وقت معلوم من السنة"[1].

ويتضح من هذا النص سعة منطقة النفوذ التجاري لأسواق الطواويس بحيث يعمها الناس من أقطار خراسان ، كما هي الحال في سعة منطقة النفوذ التجاري لأسواق الكركي التي مر ذكرها.

أما أسماء الأسواق فقد تحمل أسماء المهن والحرف التي تتخصص بها ، أو تحمل اسم المكان الذي توجد فيه كأسواق مدينة الري التي سبق ذكرها ، وأحياناً تحمل اسم الذي ابتناها كما هو الحال في الأسواق التي ابتناها عمر بن الليث الصفار في مدينة زرنج فذكر موقعها في المدينة الداخلة ملاصقة لمسجد الجامع ووصفها أنها أسواق على غاية العمارة وأوقف عمر هذا السوق على المسجد الجامع والبيمارستان (المستشفى) والمسجد الحرام ، وذكر أيضاً غلة هذا السوق إلى نحو الف درهم كل يوم مما يدل على رواج هذا السوق وعظمته[2] .

وصف ابن حوقل الأسواق المتخصصة في بعض المدن حيث لكل مهنة أو طائفة من التجار سوق خاص بهم إذ أنه ذكر الأسواق المتخصصة في مدينة بلرم وقد اسهب في وصفها قائلاً: "وأكثر الأسواق فيما بين مسجد ابن سقلاب والحارة الجديدة: كسوق الزياتين بأجمعهم والدقاقين(بائعي الطحين) وأسواق القمح والطرازين والسماكين والابزاريين[3] وطائفة من القصابين وباعة البقل وأصحاب الفاكهة والريحانيين[4] والجرارين والغضائريين والخشابين خارج المدينة وببلرم طائفة من

---

١ - المصدر نفسه ، ص٤٠٣.

٢ - صورة الأرض ، ص٣٥٠.

٣ - الابزاريون: بائعي الحبوب مثل بزور البقول وما أشبهها، ينظر: مادة بزر، ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص٢٠٧.

٤ - الريحانيون: بائعي الخمر والرياح بالفتح: الراح وهي الخمر، ينظر: مادة ريح، ابن منظور، لسان العرب المحيط، ج١، ص١٢٦٥.

القصابين والجرارين والأساكفة وبها للقصابين دون المائتي حانوت لبيع اللحم ، والقليل منهم في المدينة برأس السماط ويجاورهم القطانون والحلاجون والحذاؤون وبها غير سوق صالحة"[1]. وربما يعزى سبب هذه الظاهرة التخصصية إلى تأثير النقابات المهنية ، حيث كان على أصحاب المهن المتشابهة أن يتقارب منتسبوها لضمان سهولة الاتصال ببعضهم ، أو ربما ميل أصحاب المصالح المشتركة إلى التقارب وذلك للاستفادة من بعضهم من حيث المنافسة وتصريف البضاعة[2].

وتتكرر ظاهرة تخصص الأسواق أيضاً في مدينة الموصل حيث ذكر ابن حوقل[3]: "كان بها لكل جنسين من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة ، مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد". وتظهر هذه الإشارة ، العلاقة الطردية بين حجم الأسواق وعدد الحوانيت أو المحال التي تحويها هذه الأسواق ، وبهذا فقد دخل عدد الحوانيت معياراً له دلالته في أهمية كل سوق وأجزاء المنطقة التجارية[4].

وتحدث ابن حوقل عن نوع جديد من الأسواق في مدينة نيسابور ويشمل خانات وفنادق يسكنها التجار وتجري فيها عمليات البيع والشراء ، وكل فندق منها قد تخصص بنوع من التجارة ، وكانت هذه الفنادق تشغل من قبل كبار التجار ، أما أهل المهن وأرباب الصنائع فقد خصصت لهم دكاكين وحجر وحوانيت مشحونة بالصناع فمثلاً للقلانسيين في سوقهم غير فندق فيه الحوانيت والحجر المملوءة بهم ، وكذلك الأساكفة والخرازون والحبالون إلى غير ذلك من الحرف ففي أسواقهم الفنادق المملوءة بذوي الصناع منهم ، أما بخصوص فنادق البزازين فإنها تحتوي على محلاتهم التي تجري فيها عمليات البيع والشراء التي يشاركهم فيها بزازي بقية البلدان[5].

---

١ - صورة الأرض، ص١١٤.

٢ - صورة الأرض، ص٤٢.

٣ - صورة الأرض، ص١٩٥.

٤ - خالص الأشعب، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق، ص٧٤.

٥ - صورة الأرض، ص٣٦٢.

(٥) أسوار المدن:

إن تحصين المدن تقليد قديم يشتمل على إحاطتها بالأسوار والخنادق واختيار الموضع وإقامة الأبراج والدعائم والبوابات وتصميم المداخل وكل ما من شأنه أن يزيد من قدرتها الدفاعية بوجه الغارات الخارجية المعادية [١].

ففي وصف ابن حوقل لأسوار كثيرة من المدن ترد إشارات عن مدى إحكام هذه الأسوار، ومادة بنائها، وأطوالها أحيانا، وأبواب الأسوار والجهات التي تؤدي إليها.

فمن الأسوار الحصينة التي أشار إليها ابن حوقل سور مدينة بلرم، إذ يدل وصفه على أن سورها كان في غاية التحصين حيث يقول: "وعليها سور عظيم من حجارة شامخ منيع"[٢]. حتى إن هذا السور اتخذ أساساً لموازنته بسور مدينة الخالصة[٣]، إذ يبدو هو الآخر من الأسوار الحصينة. وقد وصف ابن حوقل مدنا حظيت بتحصين أكثر عندما أحيطت بأكثر من سور، ويتضح ذلك من خلال ما ذكره عن مدينة طرطوس(من ثغور بلاد الشام) التي استحدثها الخليفة المأمون وجعل عليها سورين من حجارة[٤]. ويبدو مما سبق أن هناك علاقة بين حجم المدينة والأسوار، فإن مناعة سور مدينة(بلرم) جاءت بسبب أهمية المدينة السياسية وكونها أكبر مدينة في(صقلية)، أما مدينة طرطوس فكونها من المدن المواجهة للدولة البيزنطية التي تكن العداء للدولة الإسلامية لهذا حتم الاهتمام بزيادة تحصينها.

وعلى الرغم من حصانة بعض الأسوار، إلا أن هناك إشارة وردت عند ابن حوقل تفيد أن مناعة السور لم تكن كفيلة بصد هجمات الأعداء كما في مدينة حلب التي على الرغم من حصانة سورها المبني من الحجارة إلا أنه لم يغن عنهم

---

١ - مصطفى عباس الموسوي، العوامل التاريخية لنشأة المدن وتطورها، منشورات وزارة الثقافة والإعلام(بغداد: ١٩٨٢)، ص٢٣٣، وينظر: خالص الأشعب، المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق، ص٧٥.

٢ - المصدر نفسه، ص١١٣.

٣ - المصدر نفسه، ص١١٤، وينظر: أيضاً وصفه لحصانة سور مدينة المهدية(في المغرب)، ص٧٣.

٤ - المصدر نفسه، ص١٦٨، وينظر: أيضاً وصفه لأسوار مدينة بخارا، ص٣٩٨.

من العدو شيئاً[1] ، وكذلك وجود قلعتها التي قال عنها: "لها قلعة غير طائلة وقد عمرت وقتنا هذا ولجأ إليها في وقت فتح حلب قوم فنجو"[2].

وتحدث ابن حوقل عن مادة بناء الأسوار ، وذلك لأنها تدخل في درجة أحكامها ، فضلاً عن الأسوار التي ذكرها أنها من حجارة مثل أسوار مدن (بلرم ، الخالصة ، المهدية ، طرطوس...) أشار أيضاً إلى نوع الحجارة التي استعملت في بناء الأسوار ، ففي وصفه لسور مدينة نقاوس في(إقليم المغرب) قال: "عليها سور من حجارة قديمة أزلية"[3] وفي وصفه لسور مدينة آمد في(إقليم الجزيرة) ذكر أن سورها يسمى ميموناً لشدة سواده ، وليس لحجارته من جميع الأرض نظير[4]. وفضلا عما ذكر من المدن التي أحكمت أسوارها بالحجارة ، فلا تخلو نصوص ابن حوقل من الإشارة إلى أسوار شيدت بمادة الطين كما في وصفه لسور مدينة بلخ ، وأشار أيضاً إلى سور مدينة قصر الفلوس في (إقليم المغرب) الترابي بقوله: "لها سور وهي لطيفة وسورها من تراب"[5] ، وفضلا عن الحجارة كونها مادة إنشائية دخلت في بناء الأسوار ، ذكر ابن حوقل مواد إنشائية أخرى ، ففي وصفه لمدينة باب الأبواب في ناحية الرآن (في إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن) ذكر أن عليها سور منيع من حجارة وآجر وطين[6]. وعّد مادة الجص من المواد الإنشائية التي دخلت في بناء بعض الأسوار مثل سور مدينة منك في(إقليم خراسان) أن سورها من جص وحجارة [7].

ولم تقتصر إشارة ابن حوقل إلى الأسوار المنيعة لبعض المدن ، فقد ترد إشارات

---

١ - صورة الأرض ، ص١٦٣.

٢ - المصدر نفسه.

٣ - صورة الأرض ، ص٩١.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢٠١، وآمد مدينة على جبل غربي دجلة.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٧٣، وينظر: أيضا وصفه لسور مدينة تفليس في (الرآن) ص٢٩٢.

٦ - المصدر نفسه ، ص٧٨– ص ٧٩.

٧ - صورة الأرض، ص١٧٤، ومدينة منك من أعمال الختل التابعة إدارياً لمدينة بلخ في (إقليم خراسان).

إلى أسوار بعض المدن غير المنيعة كما في وصفه لسور مدينة البصرة في (إقليم المغرب) حيث ذكر: أن "عليها سور ليس بالمنيع" [١] ، كما أشار إلى أسوار بعض المدن بشكل مجرد دون الإشارة إلى حصانتها أو عدمه كما في وصفه لأسوار مدن (قرطبة وكركوية) في بلاد الأندلس[٢]. ومما تجدر الإشارة إليه أن هناك مدناً لم تحط بالأسوار كما ذكر ابن حوقل ذلك ، ويعزى السبب في ذلك إلى الطبيعة الجبلية الوعرة التي يمتاز بها موقع المدينة حيث أغناها عن بناء السور واكسبها التحصين الطبيعي بوجه الأعداء ، كما يلاحظ ذلك في وصف ابن حوقل لمدينة كرت في (إقليم المغرب) في قوله: "مدينة لطيفة في سفح جبل أيضاً بغير سور" ، ومن المدن التي وصفها أنها خالية من السور أيضاً مدينة قصر الأفريقي في (إقليم المغرب)[٣]. وكذلك مدينة اصطخر إذ كان عليها سور في قديم الأيام من طين ولكنه قد تهدم[٤] ، ولا يعطي سبباً عن خراب هذا السور.

وفضلاً عن وصف ابن حوقل لأسوار المدن ، يلاحظ أنه قد وصف أبواب بعض المدن إذ ذكر عددها وأحياناً يذكر الجهات التي تؤدي إليها هذه الأبواب ، وأحياناً يذكر مادة الأبواب سواء أكانت من خشب أم حديد لبيان درجة إحكامها ، فمن أمثلة المدن التي وصفها ابن حوقل وذكر أبوابها مدينة بخارا ، ولبخارا سبعة أبواب حديد ، وهي باب المدينة ، وباب نود ، وباب حضره ، وباب الحديد ، وباب القهندز(القلعة) ، وباب بني أسد(باب مهر) وباب بني سعد ، ويلاحظ أنه ذكر أسماء بعض أبواب المدينة بأسماء قبائل عربية ، وهذا يدل على سكنى العرب في هذه المدينة. وفضلاً عما ذكره عن الأبواب السبعة للمدينة ذكر أبواب قلعتها فيقول: "ولقندزها بابان أحدهما يعرف بالريكستان والآخر بباب الجامع يشرع إلى مسجد الجامع"[٥].

---

١ - صورة الأرض ، ص٨١.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٠٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٤٥.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣١٢.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٩٩.

ولا يخلو وصف ابن حوقل لأبواب بعض المدن من إشارات تاريخية ، فعند وصفه لمدينة مرو (مرو الشاهجان في إقليم خراسان) بقوله: "إن للمدينة الداخلة أربعة أبواب فأحدهما الذي يلي مسجد الجامع وباب يعرف بباب سنجان وباب بالين وباب درمسكان ، ومن هذا الباب يخرج إلى ما وراء النهر وعلى هذا الباب عسكر المأمون وضرب مضربه أيام مقامه بها إلى أن انتهت إليه الخلافة"[1].

وفي وصفه لأبواب مدينة الري تبدو الإشارة واضحة إلى الجهات التي تؤدي إليها هذه الأبواب فذكر باب ماطاق يخرج منه إلى الجبال والعراق ، وباب بليسان يخرج منه إلى قزوين ، وباب كوهك يخرج منه إلى طبرستان ، وباب هشام يخرج منه إلى قومس[2] وخراسان ، وباب سين يخرج منه إلى قم[3]. وجاء في وصف ابن حوقل لأبواب الربض في مدينة سمرقند ، أنها شارعة أي ليس لها أبواب تغلق ، ويعزى سبب ذلك إلى الفتن التي نشبت فأمر السلطان بقلعها[4].

و- معالم عمرانية أخرى:

تطرق ابن حوقل في وصفه للمدن إلى معالم عمرانية أخرى أهمها:-

١- الحمامات:

حظيت الحمامات بعناية العرب المسلمين فقاموا بتشييد كثير منها في المدن حتى إنها صارت إحدى الوحدات العمرانية التي تمتاز بها المدينة الإسلامية. وقد ورد ذكر للحمامات في كتاب ابن حوقل من غير توسع في الوصف ، فمن أمثلة ذلك حمامات مدن(كركوية ووادي الحجارة) في بلاد الأندلس وفي مدينة الخالصة ، وفي مدينة حمص[5]. ويشير أحياناً إلى عددها كما في قوله: "لمدينة الفسطاط حمامان"[6].

---

١ - صورة الأرض، ص٣٦٤.

٢ - قومس: ناحية في إقليم الديلم وطبرستان، ومدنها الدامغان وسمنان وبسطام، ينظر: المصدر نفسه، ص٣٢١.

٣ - المصدر نفسه.

٤ - المصدر نفسه، ص٤٠٧.

٥ - المصدر نفسه، ص١١١، ص١١٤، ص١٦٣.

حماماں"[1].

ووصف ابن حوقل الحمامات ذات الماء الساخن ، وتبدو إشارته هذه إلى المياه المعدنية ويتضح ذلك من ذكره لحمامات مدينة تفليس في ناحية الرآن في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن) وتشبيهها بحمامات طبرية إذ يقول: "وبها حمامات كحمامات طبرية ماؤها سخين من غير نار"[2].

٢- الفنادق:

من الوحدات العمرانية التي أشار إليها ابن حوقل هي الفنادق ولاسيما في المدن التجارية حيث وظيفتها تتطلب تأدية خدمات لمن يرتادها حتى غدت الإشارة إلى الفنادق تقترن بذكر الأسواق ، مما يحمل على الاعتقاد أن حاجة المدن التجارية للفنادق تكون أكثر بسبب من يرتادها من التجار من أنحاء مختلفة لبيع وشراء البضائع وهذا يؤدي بالضرورة إلى وجود هذه الفنادق ، ويتضح اقتران الفنادق بالأسواق في وصف ابن حوقل لمدينتي(كركوية ووادي الحجارة)[3] ، وفي وصفه لمدينة حمص يقول: "لها أسواق حسنة وحمامات وفنادق"[4]. وإن عدم وجود الأسواق في بعض المدن يؤدي إلى انتفاء الحاجة إلى وجود الفنادق فيها ، كما في قوله عن مدينة الخالص"... ولا أسواق فيها ولا فنادق"[5].

٣- أفران الخبز:

من المعالم العمرانية التي أشار إليها ابن حوقل وجود أفران الخبز ، ففي وصفه لمدينة الفسطاط يقول: "وفيها غير فرن لخبز عجين أهلها"[6] ، وأشار إلى أفران الخبز

---

١ - المصدر نفسه، ص١٣٧.

٢ - صورة الأرض ، ص٢٩٢، ولاحظ ما ذكره اليعقوبي عن المياه المعدنية في طبرية، ينظر: كتاب البلدان، ص٣٢٧.

٣ - المصدر نفسه، ص١١١.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦٣، وتبدو الإشارة أكثر وضوحاً في حديثه عن فنادق مدينة نيسابور في الإشارة التي سبق الحديث عنها في الأسواق.

٥ - المصدر نفسه ، ص١١٤.

٦ - المصدر نفسه ، ص١٣٧.

في مدينة برذعة [1].

٤- **البيوت والقصور:**

في وصف ابن حوقل للمعالم العمرانية في المدن لم يهمل ذكر تصميم البيوت ففي وصفه لمدينة سمندر في(إقليم الخزر) ، أشار إلى سطوح المنازل التي قد سنمت بقوله: "وكانت منازل سمندر خركاهات[2] وأبنيتهم من خشب قد نسج وسنمت سطوحه"[3] ، ويبدو سبب جعل سطوحهم بهذا الشكل كثرة تساقط المطر والثلج في هذا الإقليم ، ولهذا صممت بما يتلاءم وهذا المناخ ، وأشار ابن حوقل إلى البيوت الخشبية ، فتحدث عن منازل ناحية برطاس في(إقليم الخزر) ذاكراً أنهم: "أصحاب بيوت خشب وهم مفترشون في نواحيهم لكثرتهم..."[4] ، وفي هذا النص أشار إلى الكثافة السكانية ، وإلى الحيز الذي تشغله الوحدات السكنية في هذه الناحية. كما تحدث عن الدور الفاخرة والقصور في مدينة أصبهان في (إقليم الجبال)[5].

وتحدث ابن حوقل عن البناء العمودي في مدينة الفسطاط إذ من المعروف عن الفسطاط أنها مدينة ذات كثافة سكانية عالية[6] ، وأن رداءة موضعها من حيث ملوحة التربة وعدم توفر مياه الشرب لا يساعد على انتشار السكان وإنما إلى تركيزهم ، لهذا فقد عولجت هذه المشكلة ببناء الدور ذات الطوابق المتعددة ، إذ يصف ابن حوقل دورها بقوله: "والدار تكون بها طبقات سبعاً وستاً وخمس طبقات ، وربما سكن في الدار المائتان من الناس"[7].

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٩٠.

٢ - خركاهات: تطلق على المحل الواسع ولاسيما على الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان مسكناً لهم، ينظر: ادى يشير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص٥٣. واستعملها ابن بطوطة بصورة معربة خرقة، ينظر: رحلة ابن بطوطة، (باريس: ١٩٧٢)، ص٢٩٩- ص٣٠٠.

٣ - صورة الأرض ، ص ٣٣٣.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٣٥.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٠٩.

٦ - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٩٧.

٧ - صورة الأرض ، ص١٨٣.

٥- الجسور والقناطر:

أشار ابن حوقل إلى الجسور و القناطر المعقودة على الأنهار ، فذكر الجسور المبنية بالآجر ومن أمثلتها جسر المدائن وجسر تكريت [١] على نهر دجلة وذكر كذلك جسور السفن ، ففي وصفه لمدينة الفسطاط يشير إلى جسرين من هذا النوع أحدهما معقود بين الفسطاط وبين الجزيرة ويتكون من ثلاثين سفينة ، والجسر الثاني بين الجزيرة وبين الجيزة[٢]. وذكر ابن حوقل في وصفه لمدينة بغداد إذ كان فيها جسران على نهر دجلة ، إلا أن في زمن ابن حوقل قد تعطل أحد هذين الجسرين ، وبقي جسر واحد يربط الجانبين قرب باب الطاق[٣]. ومن الجسور الأخرى التي ورد ذكرها عند ابن حوقل جسر السفن في مدينة واسط على نهر دجلة[٤].

أما ما ذكره عن القناطر فأشار مثلاً إلى قنطرة سنجة في(إقليم الشام) فقال: "ليس في الإسلام قنطرة أعجب ولا أعظم منها يضرب بها المثل فيقال: من عجائب الدنيا كنيسة الرها وقنطرة سنجة"[٥] ، ووصف أيضاً قنطرة ثكان على نهر طاب بين فارس وإقليم خوزستان بقوله: "فقد كانت قليلة النظير وهي عندي أجل من قرطبة التي بالأندلس"[٦].

رابعاً: مياه الشرب:

---

١ - صورة الأرض ، ص٢١٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٣٧.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢١٦.

٤ - المصدر نفسه ، ص٢١٤، ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها جسور السفن على نهر صرصر(في العراق)، ينظر: ص٢١٧، جسر عسكر مكرم على نهر المسرقان(في إقليم الأحواز) يتكون من عشرين سفينة، ينظر: ٢٢٨.

٥ - المصدر نفسه ، ص١٦٦، وقد عد ياقوت الحموي عجائب الدنيا أربعة حيث أضاف منارة الإسكندرية ومسجد دمشق، ينظر: معجم البلدان، ج٣، ص٢٦٥.

٦ - المصدر نفسه، ص٢٤٣.

لقد اهتم ابن حوقل كغيره من الجغرافيين العرب في ذكر مصادر المياه ، إذ أنها العامل الأساس في انتشار السكان واستقرارهم ، ففي وصفه لكثير من المدن يلاحظ أنه أشار إلى تجهيز المدن الإسلامية بمياه الشرب ، فقد ذكر طريقة إمداد أهالي مدينة الفسطاط بمياه الشرب عن طريق الحمالين بقوله: "وبالفسطاط دار تعرف بدار عبد العزيز بن مروان ، وكان يسكنها ويصب فيها لمن فيها في كل يوم عهدنا هذا اربع مائة راوية ماء"[١] ، وكانت القنوات من وسائل إيصال المياه لبعض المدن مثل مدينة طنجة كما جاء في وصفه: "أن ماؤها مجلوب إليها في قنى من مكان بعيد لا يعلم أصله ولا يعرف من أين مجيئه وإنما يضنون جهاته" [٢] ، ووصف ابن حوقل أيضاً القنوات المبنية تحت الأرض وصفاً دقيقاً ، إذ أنه حدد عمقها عن سطح الأرض ، كما في وصفه لقنوات مدينة نيسابور حيث بينت إشارته مستوى الرقي الذي وصلته هندسة الري في الأجزاء الأقاليم الشرقية الإسلامية فيقول: "وشرب البلد مياهه فأكثره من قنى تجري تحت مساكنهم وتظهر خارج البلد في ضياعهم ، ومنها أيضاً قنى تظهر في داخل البلد في قصبة نيسابور تجري في دورهم وبساتينهم..."[٣] ، أما عن عمق هذه القنى فذكر أن بعضها تحت الأرض بعمق مائة درجة[٤].

وقد حظيت مسألة تجهيز المدن بمياه الشرب وتنظيمها باهتمام الدولة ، فقد ذكر ابن حوقل بهذا الخصوص القناة التي بنيت على عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م) في مدينة مكة بعد أن كان مصدر مياههم الأمطار[٥]. ويتضح مثل هذا الاهتمام عندما خصص موظف مسؤول على تقسيم مياه نهر مرغاب في مدينة مرو الشاهجان وبمعينة طائفة من العاملين تقدر بـ(١٠٠٠٠) رجل لكل واحد منهم على هذا الماء عمل ، إذ كانت مقاسم الماء على هذا النهر توجد في قرية رزق ، وقد جعل

---

١ - صورة الأرض ، ص١٣٧، وذكر المقدسي أن الحمالون يصعدون الدور بنصف دانق، ينظر: أحسن التقاسيم، ص٣٠٧.

٢ - المصدر نفسه ، ص٨٠.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٦٣.

٤ - المصدر نفسه.

٥ - المصدر نفسه ، ص٣٧.

لكل محلة أو سكة من هذا النهر ساقية صغيرة عليها الواح خشب فيها ثقب مقدرة لا يترك أحد يزيد فيها ولا ينقص ، ويأتي كل قوم من شربهم بمقدار ، إن زاد الماء دخلت عليهم الزيادة وإن نقص نقصوا بأجمعهم لا إيثار لقوم على قوم[1].

وقد أشار في وصفه لكثير من المدن إلى مصادر المياه فيها وهذه المصادر ، هي:

أ- المياه السطحية:

من أمثلتها ما ذكره ابن حوقل عن أنهار مدينة بغداد بقوله: "والأنهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فإنها من ماء النهروان[2]وتامرا[3] ، وليس يرفع إليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العمارة ، وأما الجانب الغربي فيشق إليه من نهر الفرات نهر عيسى[4] من قرب الأنبار تحت قنطرة دما ، وتتحلب من هذا النهر صبابات تجتمع فتصير نهراً يسمى الصراة[5] يفضي أيضاً إلى بغداد وعليه عمارات كثيرة للجانب الغربي وتنفجر منه أنهار كثيرة لعمارات الناحية ، ويقع ما يبقى من ماء الصراة الصغيرة والكبيرة فيما يجاور نهر عيسى من بغداد في نحو نصف المدينة ، وعليها كثير من مساكنهم ودورهم وبساتينهم"[6] ، ويتضح مما سبق أنه فَصَّل في وصف شبكة إرواء مدينة بغداد في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي. ومن الأمثلة الأخرى ما ذكره عن المياه السطحية في

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٦٥، وينظر: وصف المقدسي للوح تقسيم المياه، أحسن التقاسيم، ص ٣٣٠ – ص ٣٣١.

٢ - النهروان: وهو نهر مبتدؤه قرب تامرا وحلوان ويفضي إلى سواد بغداد اسفل من دار السلطان إلى الاسكاف(تابعة إداريا إلى مدينة النهروان) ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص٢١٨، ياقوت، معجم البلدان، ج٥، ص٣٢٤.

٣ - تامرا(نهر ديالى): يسمى نهر دجلة مما يلي جلولاء وخانقين من طريق خراسان بنهر تامرا، ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٥٣.

٤ - نهر عيسى: نسبة إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص٩٢، وهو مجرى الصقلاوية الحالي مع شيء من التفاوت.

٥ - نهر الصراة: ويأخذ هذا النهر ماؤه من نهر الفرات ويصب إلى نهر دجلة، ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٥٢، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٤٢.

٦ - صورة الأرض، ص٢١٧.

مدينة الكوفة وذكرها يتفرع من نهر الفرات من جهة الشرق ، والشمال من أنهار صغيرة إلا أنها تغطي حاجتهم ويصفها أنها أعمر النواحي ؛ والسبب يعود إلى توفر المياه ، وينتهي المجرى الرئيس(نهر الفرات) إلى نهر سورا[1] ، الذي يتفرع من نهر الفرات وتقع عليه مدينة سورا وهذا الفرع يعده أكبر من نهر الفرات ، وأشار أيضاً إلى جريانه في سائر سواد الكوفة ومن ثم يصب في بطائحها[2].

ب- المياه الجوفية:

ذكر ابن حوقل بعض المدن التي تعتمد في شربها الآبار ، منها حارة المسجد في(صقلية) فيقول: "ليس بها ماء جار وإنما شرب أهلها من الآبار"[3] ، وقد تكفي مياه الآبار لممارسة النشاط الزراعي كما هو في(المدينة المنورة) إذ أشار إلى أن مياه نخيلهم وزروعهم من الآبار[4] ، وأشار ابن حوقل إلى الآبار المنزلية من عمل الأهالي وشربهم منها يتضح ذلك في وصفه لمصادر المياه في مدينتي بلرم والخالصة بقوله: "...وباقي أهلها(بلرم) ، وأهل الخالصة وجيع أهل الحارات[5] شربهم من آبار دورهم...."[6].

ومن المياه الجوفية التي ذكرها ابن حوقل(مياه العيون) وقد وصفها في صقلية وصفا دقيقاً يدل على ملاحظة مبنية على المشاهدة الدقيقة التي سجلها أثناء زيارته

---

١ - نهر سورا: عندما يتجاوز الفرات نهر كوثي ستة فراسخ ينقسم إلى قسمين فيمر الفرات إلى قنطرة الكوفة ويماس مدينة الكوفة ويمر إلى البطائح ويسميه المسعودي العلقمي، أما القسم الآخر فيسمى سورا الأعظم، ويتفق كل من سهراب، والاصطخري والمسعودي، وابن حوقل على أن نهر سورا أعظم من الفرات، ينظر: عجائب الأقاليم السبعة، نشرة فريك، فينا (١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م)، ص١٢٤، المسالك والممالك، ص٦، التنبيه والأشراف، ص٥٢، صورة الأرض، ص٢١٨.

٢ - صورة الأرض، ص٢١٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص١١٤.

٤ - المصدر نفسه ، ص٣٧.

٥ - من هذه الحارات(حارة الصقالبة، حارة المسجد، الحارة الجديدة، والحارة(هي حارة كبيرة تقارب المسجد)، ينظر: المصدر نفسه ، ص١١٤.

٦ - المصدر نفسه ، ص١١٧.

لهذه المدينة فذكر أن أهل مدينة بلرم المجاورين لسورها شربهم من مياه العيون ، وقد أحصى عيون الماء في مدينة بلرم وذكر أسماءها ، ففي منطقة المعسكر ذكر عين الغربال[1] ، وعين التسع ، وعين أبي سعيد[2] ، وعين أبي علي[3] ، أما الناحية الغربية فشربهم من عين الحديد ، وتحيط بالبلد عيون غير مشهورة وينتفع من مياهها كالقادوس في ناحية القبلة وبها الفوارة الصغيرة والفوارة الكبيرة والتي هي أغزر عيونهم ماء ، أما القرية البيضاء فشربهم من عين حسنة تعرف بالبيضاء ، أما الناحية المعروفة ببرج البطال فشربهم من العين المعروفة بعين أبي مالك[4].

ومن المياه الجوفية المواجن (الصهاريج) وأشار إليها مثلاً في وصفه لمدينة سوسة في إقليم المغرب بقوله: "وماؤها معين ، وبها مواجن قليلة"[5] وكذلك في مدينة ارجكوك في (إقليم المغرب) إذ ذكر "وفيها مياه ومواجن كثيرة"[6].

ج- مياه الأمطار:

ومن أمثلة المدن التي أشار إلى أن مصدر مياهها الأمطار حصن مسلمة[7] في (إقليم الشام) قال: "شرب أهلها من السماء"[8].

خامسا : وظائف المدن :

---

١ -الغربال:عيون كثيرة صغيرة، تنبع من جبل أمام مدينة بلرم، ينظر: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص١٩٣.

٢ - أبو سعيد: ربما هو أبو سعيد موسى بن أحمد الذي أصبح والياً على صقلية سنة(٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج٨، ص٧٢.

٣ - أبو علي: والي على صقلية، ذكره ابن حوقل وفي أيامه صارت الهدنة بينه وبين الروم، ينظر: صورة الأرض، ص١١٧.

٤ - صورة الأرض، ص١١٧- ص١١٨.

٥ - المصدر نفسه، ص٧٤.

٦ - المصدر نفسه، ص٧٩.

٧ - حصن مسلمة: نسبة إلى مسلمة بن عبد الملك بناه بالجزيرة بين رأس عين والرقة، ينظر: صورة الأرض، ص٢٠٦، ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص٢٦٥.

٨ - صورة الأرض، ص٢٠٦، وكذلك مدينة أوجلة في إقليم المغرب، ينظر: ص٧٠.

تُعد الوظيفة مبرر وجود المدينة وتحدد نمط الحياة فيها ، وقد أشار ابن حوقل في وصفه للمدن إلى أهمية الوظائف في نشأتها وأثرها في ازدهار المدن وانتعاشها ، وكذلك تأثير اضمحلال الوظائف المُدنية في انكماش أو تدهور المدينة.

وتتوخى هذه الدراسة محاولة بيان مدى استيعاب ابن حوقل لوظائف المدن ، من حيث أهميتها ، وتصنيف المدن على وفقها ، كأن تكون مدينة عسكرية ، أو تجارية أو مالية ، أو حرفية ، أو دينية ، أو سياسية- إدارية مع الاستشهاد بأمثلة أينما كان ذلك ضرورياً.

أ- الوظيفة العسكرية :

نشأت كثير من المدن على أساس عسكري ، إذ كانت هذه الوظيفة الأساس الأول في نشأتها ، وعموماً أن الوظيفة العسكرية سواء أكانت أولية أم ثانوية ، توجد غالباً في أصل كثير من المدن[1]. وبدون أدنى شك أن نشأة المدن الإسلامية في أول أمرها كان على هيأة معسكرات حيث كانت نواة للمدينة التي جذبت بقية الوظائف وأصبحت فيما بعد من أمهات المدن ، ومن أمثلة هذه المدن(البصرة ، الكوفة ، الفسطاط....).

وتبدو أهمية العامل العسكري جلياً في انتخاب مواضع بعض المدن في المناطق الجبلية الوعرة وتتجلى فيما ذكره ابن حوقل عن أهمية موضع مدينة كرت في (إقليم المغرب) من الناحية العسكرية بقوله: "بأنها مدينة لطيفة في سفح الجبل منيعة بغير سور"[2] ، وتتضح أهمية انتخاب الموضع لتأدية الوظيفة العسكرية بشكل أكثر وضوحاً عندما ذكر مدينة الحجر في(إقليم المغرب) بقوله: "الحجر مدينة عظيمة محدثة على جبل شامخ لآل إدريس ، وهي حصن منيع فيه أملاكهم وهي من أعظم مدنهم منزلة وأكبرها خطراً ، وماؤها فيها ، ولها بساتين فيها وليس عليها طريق ولا إليها سبيل إلا من جهة واحدة يسلكه الراجل بعد الراجل"[3] ، ومن أنواع المدن العسكرية التي ذكرها ابن حوقل هي:-

(١) المدن العسكرية البرية :

---

١ - جمال حمدان، جغرافية المدن، ص٢٣.

٢ - صورة الأرض، ص٨١.

٣ - المصدر نفسه ، ص٨١- ص ٨٢.

من الأمثلة التي أورد ذكرها ابن حوقل لهذا النوع من المدن العسكرية هي:-

- **مدن الثغور**[1]:

من هذه المدن التي ذكرها ابن حوقل هي ثغور إقليمي (الشام والجزيرة) والتي نشأت وتطورت بفعل العامل العسكري ، نتيجة لتهديد البيزنطيين لحدود الدولة الإسلامية ، أو أنها استعملت قاعدة لشن هجمات الجيش العربي على البيزنطيين ، وقد تجلى هذا العامل في النشأة العسكرية وأثره في نمو مدينة طرطوس والتي زارها ابن حوقل في سنة(٣٦٧هـ/٩٧٨م) بقوله عنها: "وكانت تشتمل من الخيل والرجال والعدة والعتاد والكراع والسلاح والعمارة والخصب والغلالة والأحوال والسعة في جميع الأحوال على حال لم يتصل بمثله ثغر من ثغور المسلمين لكافر ولا مسلم... وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام"[2]. ويضيف ابن حوقل مبيناً أهميتها بما تحويه من الدور والرباطات(المعسكرات) التي تستوعب المقاتلين من أنحاء مختلفة من الدولة الإسلامية ، حيث كان لأهل كل إقليم من هذه الأقاليم دار ورباط[3].

ولم تقتصر الثغور على بلاد الشام وإقليم الجزيرة بل ذكر ثغور الجلالقة[4] في

---

١ - الثغور: تعرف أنها كل موضع قريب من أرض العدو يسمى ثغراً، وهي خط طويل من القلاع، وينقسم خط القلاع هذا إلى مجموعتين: أحدهما تحمي الجزيرة وتسمى(الثغور الجزرية) وهي الشمالية الشرقية والثانية تحمي الشام وتسمى(الثغور الشامية) وهي الجنوبية الغربية، ينظر: ابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص٩٧، ١٠٠، قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص١٨٨، ٢٠٠، الاصطخري، المسالك والممالك، ص٤٣، ابن حوقل، المصدر السابق، ص١٥٤، نقولا زيادة، جغرافية الشام عند جغرافي القرن الرابع الهجري، ص١٥٦- ١٦٤.

٢ - صورة الأرض، ص١٦٨- ص١٦٩. وجبل اللكام: اسم اطلقه البلدانيون العرب على سلسلة جبال انتي طوراس، ينظر: لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص١٦١

٣ - المصدر نفسه ، ص١٦٨- ص١٦٩.

٤ - ثغور الجلالقة: تقع في شمال غرب الأندلس، وبلدهم سهل جميعه والغالب على أرضهم الرمل، وهم في حرب مع الفرنجة، وهم أشد بأسا من الفرنج، ينظر: البكرى، جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت: ١٩٦٨)، ص٧٤- ص ٨١.

بلاد الأندلس وهي (ماردة ونفزة ووادي الحجارة) [1] ، وأشار أيضاً إلى الثغور في إقليم (الديلم وطبرستان) إذ قال: "وكان لهم رباط يعرف برباط دهستان مدينة قصدة ولها منبر ، وهي ثغر".

- **مدن الحصون البرية :**

ذكر ابن حوقل هذا النوع من المدن العسكرية عند حديثه عن مدينة بلزمة في (إقليم المغرب) أنها: "حصن لطيف فيه رجال جلد ، وله ماء جار... وله سور تراب"[2].

٢- **المدن العسكرية البحرية :**

فضلاً عما ذكره ابن حوقل عن مدن ذات وظيفة عسكرية تشغل موقعا برياً ، ذكر مدناً ذات موقع بحري تؤدي وظيفة عسكرية وتسمى حالياً(الموانئ الحربية) مع الفارق إن صح التعبير ، ومن أمثلة هذا النوع من المدن ما ذكره عن مدينة انطرسوس بقوله إنها: "حصن على البحر ثغر لأهل حمص... وعليه سور من حجارة التي غزاها الروم أكثر من مرة..."[3]. ومن الأمثلة الأخرى عن هذا النوع من المدن مدينة الأسكندرونة ووصفها أنها حصن على ساحل بحر الروم(المتوسط)[4].

أما عن جذب الوظيفة العسكرية للوظائف المدنية الأخرى فيتضح ذلك من وصف ابن حوقل لمدينة وادي الحجارة في(الأندلس) بقوله: "مدينة كبيرة وثغر مشهور الحال مسور بحجارة(وظيفة عسكرية) ذات أسواق وفنادق وحمامات (وظيفة تجارية) وحاكم و مخلف ، وبها سكن ولاة الثغور "وظيفة سياسية إدارية"[5].

ويبدو من وصف ابن حوقل للمدينة ذات الوظيفة العسكرية ، التشديد على اختيار الموضع ذي المناعة الطبيعية ، وأحياناً تعزيز هذا الموضع بإحاطة المدينة بالأسوار ، أو بإضافة معالم عمرانية عسكرية أخرى ، وتتضح أيضاً أهمية هذا العامل في نشأة وازدهار المدن ، هذا وأن تركيز ابن حوقل في وصفه لهذا النوع من المدن على

---

١ - صورة الأرض، ص١٠٦.

٢ - صورة الأرض ، ص٩١- ص٩٢، ومن الأمثلة الأخرى التي ذكرها حصن المنصور، حصن برزويه في(إقليم الشام)، ينظر: ص١٦٦، ص١٦٤.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٦٣.

٤ - المصدر نفسه ، ص١٦٧.

٥ - المصدر نفسه ، ص١١١.

المعالم العمرانية العسكرية ، لا يعني إغفال ذكر المعالم العمرانية الأخرى ، من أسواق وفنادق وحمامات ومؤسسات إدارية.

ب- الوظيفة التجارية :

للتجارة دور كبير في نشأة وتطور عديد من المدن الإسلامية وأن أكثر النشاط التجاري كان مركزه المدن ، شأنها في ذلك ، شأن الوظيفة العسكرية حيث يرمزان إلى تناوب النشاط السلمي والحربي في التاريخ[1]. وقد استوعب ابن حوقل العوامل التي جعلت كثيراً من المدن ذات وظيفة تجارية وهذه العوامل هي:-

(١) الموقع :

وأهمية الموقع تكمن في انتخابه لكثير من المدن لأن تقوم بدور تجاري ، ولاسيما المدن التي تقع على الطرق التجارية البرية منها والبحرية ، فمثلاً ما ذكره ابن حوقل عن مدينة الخونج في إقليم (أرمينية وأذربيجان والرآن) إذ قال: عنها: "مدينة بها مرصد على ما يخرج من أذربيجان إلى نواحي الري ولوازم على الرقيق والدواب وأسباب التجارات كلها من الأغنام والبقر ، ومقاطعة هذا المرصد دائماً مائة الف دينار وزائد إلى ألف درهم وناقص في السنة ، وليس له لما يجتاز به شبه في جميع أقطار الأرض"[2]. وتتضح أهمية الموقع في المدن الساحلية إذ يمنحها موقعها هذا لأن تؤدي دوراً تجارياً كونها مدن مرفأ بقول ابن حوقل عن موقع مدينة عدن: "أنها مدينة صغيرة وشهرتها لأنها فرضة على البحر ينزلها السائرون في البحر ، وباليمن مدن أكبر منها ليست كشهرتها"[3].

(٢) إن تخصص قسم من المدن بتجارة بعض المواد يؤدي إلى انجذاب التجار إليها ويتضح ذلك بما ذكره ابن حوقل عن مدينة برقة بقوله: "فأما برقة فمدينة وسط ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة.... وبها من التجار وكثرة الغرباء في كل وقت ما ينقطع طلابا لما فيها

---

١ - جمال حمدان، جغرافية المدن، ص٤٥.

٢ - صورة الأرض، ص٣٠٢.

٣ - المصدر نفسه ، ص٤٤.

من التجارة ، وعابرين عليها مغربين ومشرقين. وذلك أنها تنفرد في التجارة بالقطران الذي ليس في كثير من النواحي كهو ، والجلود المجذوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة ، ولها أسواق حادَّة حارَّة من بيوع الصوف والفُلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من المشرق والواردة من المغرب...."[1].

ويظهر مما سبق أن ابن حوقل شدد على العامل الوظيفي التجاري الذي تقوم به المدينة ، والمستلزمات التي يتطلبها هذا العامل دون التركيز على حجم المدينة ، وهو في ذلك لا يشترط أن تكون المدن التجارية كبيرة الحجم ، بل ربما تكون مدناً صغيرة ، كما هو الحال في مدينة عدن ، أو ربما تكون وسطاً كما اتضح في وصفه لمدينة برقة ، أو مدينة كبيرة كما في وصفه لمدينة الموصل[2]. وفي وصف ابن حوقل للمدن التجارية يمكن تمييز نوعين منها:

- **المدن التجارية البرية:**

هي مدن الأسواق التي تمارس بها العمليات التجارية داخل أسواق المدينة ، وترتبط أهميتها بعدد أسواقها ، وكثرة وتنوع المواد التجارية داخل هذه الأسواق فضلاً عما تقدمه من خدمات إلى التجار الوافدين إليها من المناطق البعيدة ، كما يظهر من وصف ابن حوقل لمدينة الموصل مثالاً لمدن السوق بقوله: "وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان وكان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والأربعة والثلاثة ، مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد و بها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت إليها سكان البلاد النائية. فقطنوها وجذبتهم إليها برخصها وميرها وصلاح أسعارها فسكنوها"[3]. ويتبين كذلك أن ابن حوقل لم يغفل الربط بين عامل التخصص الوظيفي للمدينة ، وسعة منطقة نفوذها ، حيث تزود

---

١ - صورة الأرض ، ص٦٩.

٢ - ينظر: صورة الأرض، ص٤٤، ص٦٩،ص ١٩٤.

٣ - المصدر نفسه، ص١٩٥، ينظر: أيضا أهمية الوظيفة التجارية على مدينة أصبهان (في إقليم الجبال)، ص٣٠٩.

أسواق المدينة زبائنها الوافدين إليها من البلاد النائية ، ومن هذا تتضح أهمية الوظيفة التجارية على بنية الأسواق وعلى حجم أبنية لمدينة ، وعلى سعة منطقة النفوذ التجاري للمدينة ، إذ أن مدينة الموصل تجاوزت منطقة إقليمها المحلي إلى خارجه كونها فرضة لـ(أذربيجان وأرمينية والعراق والشام) ، واتضحت أيضاً أهمية الوظيفة التجارية على المستوى الاقتصادي لمدينة الموصل الذي تمثل برخص وصلاح الأسعار.

- **المدن التجارية البحرية:**

من المدن التجارية البحرية التي ذكرها ابن حوقل مدن الموانئ(المرفأ) إذ أن وقوعهم على الساحل أو قريبة منه هو الحجر الأساس لانتخابها مدينة تقوم بدور الوظيفة التجارية ، ونكتفي بهذا المقام بذكر بعض الأمثلة ففي وصف ابن حوقل لمدينة وهران(على ساحل البحر المتوسط في إقليم المغرب) حيث تبدو إشارته لمرساها غاية في الدقة إذ ينتبه إلى ذكر الخصائص المطلوب توفرها بهذا المرسى بقوله: "ولمدينة وهران مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح ، وما أظن له مثلا في جميع نواحي البربر سوى مرسى موسى ، فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن... وهي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال" [(١)] ، وهناك أمثلة لمدن المرفأ التي لا تقتصر أهميتها على عملية تحميل أو تفريغ البضائع فحسب ، بل تستفيد من المرفأ في عملية استيراد وتصدير المواد التجارية التي تصنع فيها ، كما جاء في وصفه لمدينة اجدابية في إقليم المغرب بقوله: "وهي أيضاً قريبة من البحر المغربي(المتوسط) فترد عليها المراكب بالمتاع والجهاز وتصدر عنها بضروب من التجارة ، وأكثر ما يخرج منها الأكسية... وشقة الصوف"[(٢)].

وتحدث ابن حوقل عن مدن المرفأ التي توفر بعض التسهيلات للسفن التي تدخل في مرفأها ، ولاسيما في المناطق التي يكون منسوب المياه فيها ضحلاً ، فيصف عملية دلالة السفن التي تمخر عباب الخليج العربي في طريقها إلى مدخل شط العرب

---

١ - صورة الأرض، ص٧٩.

٢ - المصدر نفسه ، ص٧٠.

قائلا: "وفي مكان يعرف بالخشبات من عبادان على نحو ستة أميال على جرى دجلة إلى البحر ، وربما يرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار أن تسلكه خشية أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد وبهذا الموضع اربع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل ليهتدي به ويعلم به المدخل إلى الدِجلة ، وإذا ظلت السفينة خيف انكسارها لرقة الماء"[1].

ويتضح في وصف ابن حوقل لمدن الموانئ ، التشديد على الموقع سواء أكانت على الساحل أم بالقرب منه ، حيث جاء في وصفه لمدينة القلزم(السويس) ما يؤكد أهمية الموقع ، على الرغم من عدم توفر مياه الشرب ، وانعدام الحياة الزراعية فيها ، إلا أن موقعها أكسبها الاستمرار لأن تؤدي وظيفة المدينة التجارية ، بقوله: "وهي مدينة على شفير البحر ونحره منتهى هذا البحر إليها ، وهي في عقم هذا البحر من آخر لسانه ، وليس بها زرع ولا شجر ولا ماء ، وماؤهم يحمل اليهم من آبار بعيدة ومياه منها على نأى ، وهي تامة العمارة بها فرضة مصر والشام ، ومنها تحمل حمولات الشام ومصر والحجاز واليمن وسواحل هذا البحر"[2].

ومن المدن ذات الوظيفة التجارية ، مدن موانئ صيد الأسماك ، فهذه المدن يكون نشاطها التجاري متخصصاً بهذه الحرفة ، وقد وردت إشارات عند ابن حوقل إلى هذا النوع من المدن حينما وصف مدينتي(نستراوة والبرلس) في إقليم مصر ، اللتين تقعان على بحيرة البشمور(نستراوة) فمثلاً ذكر مدينة نستراوة"... كانت حسنة ، وهي على بحيرة البشمور ويحيط بها المياه كثيرة الصيود من السموك"[3] ، مما تقدم يتضح أن ابن حوقل استوعب العوامل التي تجعل كثيراً من المدن تؤدي وظيفةً تجاريةً. ووضح أهمية الوظيفة التجارية تبعاً لحجم المدينة ، وسعة منطقة نفوذها التجارية ، وكذلك أوضح أهمية هذه الوظيفة على المستوى الاقتصادي للمدينة ، وميَّز بين نوعين من المدن

---

١ - صورة الأرض ، ص٥٢.

٢ - المصدر نفسه، ص٥٣.

٣ - المصدر نفسه، ص١٣١.

التجارية.

ج- الوظيفة المالية:

من وصف ابن حوقل للمدن الإسلامية ، اتضح أن قسماً منها يقوم بوظيفة مالية ، إلا أن هذه الوظيفة لم تكن الأساس في نشأتها وإنما لها أثر في زيادة حجمها.

فمن الوحدات العمرانية التي تؤدي وظيفة مالية في المدن الإسلامية بيت المال[1] ، ففي وصفه لمدينة برذعة ، فضلاً عن كونها قصبة(ناحية الرآن) فإنها تؤدي أيضاً الوظيفة المالية بقوله: "لهم مسجد جامع حسن فسيح وفيه بيت مال الناحية كالذي اتخذه بنو أمية بمصر وغيرها وهو من عملهم"[2].

وكذلك ما ذكره عن مدينة بم في إقليم(كرمان) بقوله: "وفي المسجد الجامع للخوارج بيت مالهم للصدقات"[3]. ويتضح من ذلك سعة حجم المدن التي تؤدي دور الوظيفة المالية ، من خلال سعة إقليمها.

وفي وصف ابن حوقل لمدينة أودغست في إقليم (المغرب) ، ما يشير إلى أثر الوظيفة المالية في اتساع إقليم المدينة التجاري ، من خلال اتساع الرقعة الجغرافية التي شملتها عملية التبادل التجاري لها. فقد أشار ابن حوقل إلى التعامل بالصك في هذه المدينة[4] ، ويتضح من ذلك أن الوظيفة المالية في هذه المدينة لم تكن مستقلة وإنما مرتبطة بالوظيفة التجارية.

---

١ - عن بيت المال ، ينظر: خولة الدجيلي، بيت المال نشأته وأطوره من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري، مطبعة وزارة الأوقاف، (بغداد: ١٩٧٦)، ص١٣.

٢ - صورة الأرض، ص٢٩١، وما يؤكد ذلك ما ذكره ابن رسته في وصفه لبيت المال في مصر، وما ذكره المقريزي أن متولي خراج مصر عام٩٧هـ/٧١٥م في الفسطاط ابتنى بيت المال في جامع عمرو بن العاص، ينظر: الأعلاق النفيسة، ص١١٦، الخطط، ج٤، ص٩.

٣ - صورة الأرض ، ص٢٧١.

٤ - المصدر نفسه ، ص٩٦.

د- الوظيفة الحرفية:

لم تكن الصناعة الحرفية التي كانت تمارس في بعض المدن الإسلامية هي المصدر الوحيد لحياة السكان ، ولكنها أسهمت إلى حد ما في ازدهار بعض المدن ، ومن خلال النصوص التي ذكرها ابن حوقل يبدو ثمة ارتباط بين وظيفتي التجارة والصناعة ، ففي وصفه لمدينة بم في إقليم(كرمان) يتضح أن محصول القطن الذي يزرع في أراضيها ، يُصنع إلى ثياب قطنية ، وينتج عن هذه الوظيفة الصناعية(الحرفية) وظيفة تجارية بتصدير ما تنتجه من هذه الثياب إلى العراق ومصر وخراسان[1]. وبجانب هذا فإن الصناعات الحرفية في المدن الإسلامية لم تقتصر على سد حاجة المدينة بما تحتاجه من مواد مصنعة فحسب ، بل تسهم في توفير جزء من دخلها عندما تنشط الوظيفة التجارية مستغلة ما تنتجه المدينة محلياً ، فإشارة ابن حوقل إلى ما تشتهر به بعض المدن المصرية من الصناعات النسيجية يؤيد ذلك: "ومن جليل مدنها وفاخر خواصها ما خصت به تنيس ودمياط.... وفيها يتخذ رفيع الكتان وثياب الشراب والدبيقي ، والمصبغات من الحلل التنيسية التي ليس من جميع الأرض ما يدانيها في القيمة والحسن والنعمة والترف والرقة والدقة ، وربما بلغت الحلة من ثيابها مائتي دينار إذا كان فيها ذهب ، وقد بلغ مالا ذهب فيه منها مائة دينار وزائد وناقص ، وجميع ما يعمل بها من الكتان فربما بلغ مثقال غزل من غزولها دنانير ، وإن كانت شطا ودبقوا ودميرة وثونة وما قاربهم بتلك الجزائر يعمل بها الرفيع من هذه الأجناس ، فليس ذلك بمقارب للتنيس والدمياطي والشطوى. مما كان يحمل على عهدنا يبلغ من عشرين ألف دينار إلى ثلاثين الف دينار لجهاز العراق"[2].

يتضح مما سبق تأثير الوظيفة الحرفية على بعض أنشطة المدينة ، أكثر من مساهمتها مع الوظيفة التجارية في إنشاء مدن إسلامية متكاملة ، إذ إنها أسهمت بصيغة أو أخرى في نمو حجم المدن.

---

١ - صورة الأرض ، ص٢٧١.

٢ - المصدر نفسه ، ص١٤٣.

٥- الوظيفة السياسية- الإدارية:

مما لا ريب فيه أن الوظيفة السياسية- الإدارية من الوظائف المُدنية الأولية [١]. ويؤدي الموقع أهمية كبيرة في انتخاب المدن ذات الوظيفة السياسية -الإدارية. وقد شخص ابن حوقل ضوابط نشأة المدن السياسية- الإدارية ، والمتمثلة بالموقع الذي يسهم في انتخاب هذه المدن ، فيتضح ذلك بما ذكره ابن حوقل عن نقل عاصمة أذربيجان من مدينة المراغة إلى أردبيل على الرغم من أن مدينة أردبيل تلي المراغة بالكبر ، إلا أن موقعها الذي يتوسط جميع البلد رشحها لأن تؤدي وظيفة العاصمة[٢]. ويدخل العامل التاريخي ضابطاً في اختيار المدينة(السياسية –الإدارية) ، إذ إن تاريخها يرشحها لأن تقوم بهذه الوظيفة ، ويتضح بما ذكره عن مدينة جور عاصمة كورة اردشير(في بلاد فارس): "كورة اردشير ومدينتها جور ، وبهذه الكورة مدن هي أكبر من جور مثل شيراز وسراف. وإنما صارت جور مدينتها لأنها بناء اردشير ودار ملكه"[٣].

وقد كان للعامل السياسي أثر في نشأة بعض المدن الإسلامية ويتضح ذلك من وصفه لمدينة الزهراء التي كان الهدف من بنائها سياسياً ، وبما يتناسب ومقام الدولة وعظمتها أراد لها بانيها عبد الرحمن بن محمد[٤] أن تكون منافسة لقرطبة العاصمة الأم ، لذا فقد شجع الأهالي في الأندلس على الانتقال إلى العاصمة الجديدة وقدم لهم

---

١ - جمال حمدان، جغرافية المدن، ص٨١.

٢ - صورة الأرض، ص٢٨٨.

٣ - صورة الأرض ، ص٢٣٦.

٤ - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن كنيته، أبو المطرف، لقبه الناصر لدين الله حكم الأندلس سنة(٣٠٠هـ/ ٩١٢م)، وتوفي سنة(٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ينظر: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س كولان و أ.ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ج٢، ص١٥٧.

التسهيلات المالية اللازمة كي يتموا بناءهم ونقل إليها المؤسسات الإدارية من مدينة قرطبة (العاصمة السابقة)[1].

ولم تقتصر أهمية العامل السياسي على نشأة بعض المدن ، وإنما أدى دوراً مهما نحو حجمها ففي وصف ابن حوقل لمدينة بغداد تتضح أهمية الوظيفة السياسية في في نمو حجمها وذلك زمن الخليفة المهدي موازنة مع ما كانت عليه في مراحل نشأتها الأولى زمن الخليفة أبي جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحاشيته ومواليه واتباعه كقطيعة الربيع والحربية وغيرها ، ثم عُمرت وتزايدت ، فلما ملكها الخليفة المهدي جعل معسكره في الجانب الشرقي فسمي عسكر المهدي ، فتزايد بالناس وبالبنيان وكثرت عمارتهم وانتقل اسم الخلافة إلى الجانب الشرقي... ويتصل قصور السلطان وبساتينها من بغداد إلى نهر بين[2] فرسخين على جدار واحد ، ثم يتصل من نهر بين إلى شط دجلة ، ويتصل البنيان بدار خلافتهم مرتفعاً على دجلة إلى الشماسية[3] نحو خمسة أميال ، وتحاذي من الجانب الغربي الحربية[4] فيمتد نازلاً على دجلة البنيان إلى آخر الكرخ. ويسمى الجانب الشرقي منها جانب باب الطاق[5] ، وجانب الرصافة ، ويسمى عسكر المهدي"[6].

ويشير ابن حوقل إلى تفاوت الحجوم في المدن ذات الوظيفة السياسية- الإدارية ،

---

١ - صورة الأرض، ص١٠٧.

٢ - نهر بين: وهو نهر يصب في نهر دجلة بعد خروج دجلة من بغداد، ينظر: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٥٣.

٣ - الشماسية: منسوبة إلى بعض شماسي النصارى: وهي محلة في أعلى مدينة بغداد، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٣٦٢.

٤ - الحربية: محلة كبيرة مشهورة ببغداد، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، أحد قواد أبي جعفر المنصور، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٤، ياقوت الحموي ، المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٧.

٥ - باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، تعرف بطاق أسماء، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٨.

٦ - صورة الأرض، ص٢١٦.

ما بين حجم قصبات الأقاليم الرئيسة ، وما بين حجم قصبات الأقاليم الفرعية ، فيصف اتساع حجم مدينة بخارا التي فيها دار إمارة جميع خراسان مشيراً إلى سعة الرقعة التي شغلتها المدينة(اثنتي عشر فرسخاً في مثلها) ، وأحاطتها بأكثر من سور ، ووجود المسجد الجامع فيها ، كما وازن بين اتساع حجمها ببقية مدن خراسان وما وراء النهر بقوله: "وليس بخراسان وما وراء النهر مدينة أشد اشتباكاً من بخارا ولا أكثر أهلا على قدرتها منها..."[1]. وفي وصفه لمدينة(بنكث) وهي قصبة إقليم الشاش في(ما وراء النهر) ، فعلى الرغم من اتساع حجمها كونها مدينة ذات وظيفة سياسية إلا أن بموازنة حجمها بمدينة بخارا يتضح أنها أقل حجماً من الأخيرة[2]. يتبين من ذلك أن الحد الأدنى للحجوم في مدن القصبات مرتفع ، ويعزى ذلك إلى طبيعة الوظيفة السياسية- الإدارية وجاذبيتها للوظائف الأخرى ، وإلى تواجد المؤسسات الإدارية فيها وعدُها مركزاً للحكم جعلها تحتل مرتبة المدينة الأولى في الإقليم.

أما عن موقع الأبنية التي تقدم الوظائف السياسية والإدارية داخل المدينة وهي (دار الإمارة ، الدواوين) فإن موقعها في الغالب مركزياً يسهل الوصول إليه من أنحاء المدينة والإقليم التابع كما جاء في وصف ابن حوقل لمدينة تونكث قصبة إقليم ايلاق (في بلاد ما وراء النهر): "ولها قهندز ومدينة وربض حولها على نهر ايلاق ودار الإمارة في القهندز والمسجد الجامع ، والحبس عند القهندز..."[3].

ومن ذلك كله يتضح أن في وصف ابن حوقل للمدن ذات الوظيفة السياسية- الإدارية تشديد على أهمية الموقع لمثل هذا النوع من المدن ، ويوضح أهمية العامل السياسي في نشأة واتساع بعض المدن الإسلامية ولم يغفل الإشارة إلى تفاوت حجوم المدن ذات الوظيفة السياسية.

و- الوظيفة الدينية:

---

١ - صورة الأرض ، ص٣٩٨.

٢ - ينظر: وصفه لمدينة بنكث، المصدر نفسه ، ص٤١٧.

٣ - صورة الأرض ، ص٤١٧.

تدخل الوظيفة الدينية في حياة عدد من المدن الإسلامية ، فقد نشأت بعض المدن بفعل العامل الديني ، وتطورت أخرى بسببه.

ولا يخضع اختيار مواضع المدن ذات الوظيفة الدينية للمنطق الجغرافي ، بل تتحدد مواضعها لاعتبارات روحية مرتبطة بعقائد الناس وأفكارهم[1]. فقد يتحدد الموقع أحياناً بسبب وجود(صنم) كما هو الحال في مدينة المُلتان في (إقليم السند) إذ يوجد هناك صنم المُلتان الذي يحظى بقدسية عند عبدة الأوثان من الهند والسند[2] ، وقد تنشأ الوظيفة الدينية حول ضريح كما في وصف ابن حوقل لمدينة الكوفة إذ يوجد فيها قبر الأمام علي بن أبي طالب(u)[3].

وميَّز ابن حوقل في وصفه عدة أنواع من هذه المدن منها:-

١- مدن الحج

ومن أمثلتها وصفه لمدينة مكة [4] ، إذ ذكر موقع الكعبة وكذلك الوحدات الدينية الأخرى مما جعلها لأن تقوم بدور المدن ذات الوظيفة الدينية.

٢- مدن الأضرحة:

ومن الأمثلة التي ذكرها ابن حوقل لهذا النوع من المدن الدينية مدينة الكوفة ، ومدينة كربلا حيث ذكر فيها قبر الإمام الحسين بن علي(u)وله مشهد عظيم ، وقد حظي في أوقات السنة بزيارته[5].

٣- مدن الأديرة:

وقد ورد هذا النوع من المدن عند ابن حوقل في وصفه لمدينة تكريت(التي تقع على غربي دجلة وأكثر أهلها نصارى... وهي قديمة وتجمع سائر فرق النصارى ، وبها

---

١ - جمال حمدان، جغرافية المدن، ص١٧٧، عبد الرزاق عباس حسين، جغرافية المدن، ص٣٣٨.

٢ - صورة الأرض، ص٢٧٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢١٥.

٤ - صورة الأرض، ص٣٥- ص٣٦.

٥ - المصدر نفسه، ص٢١٨.

من البيع والأديرة القديمة التي تقـارب عهد عيسى عليـه السـلام وأيام الحوارنيين ولم تتغير وثاقة وجلدا" [١].

٤- المدن التذكارية:

في وصف ابن حوقل لمدينـة حران نستشـف أن بعـض الوحـدات الدينيـة عُدت تذكاراً يرمز إلى وظيفة دينية ، بقوله: "وهي مدينة الصابئيين وبهـا سـدنتهم ولهـم بهـا طربال[٢] كالطربال الذي بمدينة بلخ عليه مصلى ، يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم"[٣].

أما عن أهمية الوظيفة الدينية فيتضح ذلك من خلال وصف ابـن حوقـل لمدينـة الُملتان إذ بين نشأة الوظيفة الدينيـة وجـذبها لبقيـة الوظـائف المدنيـة الأخـرى ، واتسـاع حجم المدينة وديمومة وجودها: "الُملتان مدينة نحو المنصورة في الكبر وتسمى فرج بيت الذهب ، وبها الصنم الأعظم للهند الذي تحج إليه من أقاصي بلدانها وسائر أصـقاعها وتعظمه ، ويتقرب إلى هذا الصـنم في كـل سنة بمال عظـيم فينفق علـى بيـت الصـنم وعلـى سـدنته والمعـتكفين عليـه منـهم. وسميـت الُملتـان باسـم الصـنم والصـنم اسمـه الُملتان ، ومكان هـذا الصـنم في قصـر مـبني في أعمـر موضـع بسـوق الملتان بـين سـوق العاجيين وصف الصفارين ، وفي وسط هذا القصر فيه والصنم فيها ومن حوالي القبة بيوت يسكنها خـدم هـذا الصـنم ومـن اعتكـف عليـه. وقـد قصـدهم الهنـد غـير وقـت للتغلب على الُملتان في انتزاع الصنم منهم ، فيتظاهرون المتغلبين عليهم القاصدين لهـم بكسرة وإحراقه فيرجعون عنهم ولولا ذلك لخربـوا الُملتـان ، وعلـى الُملتـان حصـن وبهـا منعة وهي خصبة رخيصة الأسعار"[٤]. ويتضـح من هذا النص أن وجـود صـنم الُملتـان أدى إلى جذب الحجاج وأدى ومن ثم إلى جـذب الوظيفـة التجاريـة وإنشـاء الأسـواق وأن قدسـية الصـنم عنـد عبـدة الأوثـان مـن الهنـد والسـند أدت إلى تنشـيط الوظيفـة

---

١ - المصدر نفسه ، ص٢٠٥- ٢٠٦، وينظر ايضا وصفه لمدينة الرها الغالب على أهلها النصارى والتي بها زيادة على ثلاثمائة بيعة ودير، ولها كنيسة ليس في النصرانية، اعظم ولا أبدع صنعة، ص٢٠٤.

٢ - الطربال: كل بناء عال، معرب تريالي، ينظر: ادشير، الألفاظ الفارسية المعربة، ص١١١.

٣ - المصدر نفسه ، ص٢٠٤.

٤ - صورة الأرض، ص٢٧٨.

الحربية وإنشاء الأسوار المنيعة حول المدينة ، وكذلك أدى وجود الصنم في المدينة إلى وجود من يقوم بالخدمات ومن يعتكف عليه ؛ وبهذا نشطت الوظيفة السكانية. من هذا يتضح تكامل الوظيفة الدينية مع الوظائف الأخرى كالتجارية والعسكرية والسكانية. ويتضح أيضاً موقع الوحدات العمرانية الدينية المركزي في وسط الأسواق ، واتساع إقليم هذه المدينة.

سادساً : إضافات العرب المدنية :

لقد تمثلت إضافات العرب المدنية في جانب استحداث عدد من المدن في الأقاليم التي تم فتحها ، وتبدو الحاجة العسكرية والإدارية أكثر الحاحا على العرب المسلمين في هذه الأقاليم ؛ لإختطاط هذه المدن والتوسع في بعضها ، واسهم العرب أيضاً في توسيع المدن بإضافة بعض المعالم العمرانية إلى المدن القديمة التي سكنوها ، فأصبحت هذه المدن بثوب عربي مديني جديد.

وابن حوقل من بين الجغرافيين الذين اسهموا في الكشف عن هذه الإضافات المُدنية ، إذ ترد إشارات يمكن الوقوف عليها وتلمس هذه الإضافات ولو أن هذه الإشارات تبدو مقتضبة واحيانا لا تقدم المعلومات التاريخية الكافية عن ظروف وأسباب وعوامل الإختطاط الأولى ، هذا ويمكن أجمال إضافات العرب المُدنية بالآتي:-

أ- إقامة المدن الجديدة :

سيتم استعراض المدن الجديدة التي اختطها العرب المسلمون كما ورد ذكرها عند ابن حوقل مع مراعاة التسلسل التاريخي لنشأتها.

فمن المدن التي أشار إليها مدينة البصرة بقوله: "مدينة عظيمة لم تكن أيام العجم ، وإنما اختطها المسلمون أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ومصرها عتبة بن غزوان"(١) ، وذكر أيضاً اختطاط العرب المسلمون مدينة الكوفة وهي: "على

---

١ - صورة الأرض، ص٢١٢.

الفرات وبناؤها كبناء البصرة ، مصّرها سعد بن أبي وقاص"[1] ، وأشار إلى استحداث مدينة واسط في العصر الأموي من قبل الوالي الحجّاج بن يوسف الثقفي وتبدو إشارته مقتضبة: "وهي المدينة محدثة في الإسلام استحدثها الحجّاج بن يوسف...."[2] ، ولم يوضح فيما إذا كان الحجاج استحدثها على الجانبين أو ابتنى المدينة في الجانب الغربي من دجلة والمدينة القديمة في الجانب الشرقي [3].

وأشار إلى استحداث مدينة شيراز في(إقليم فارس) في العصر الأموي من قبل محمد بن القاسم الثقفي سنة(٧٥-٩٥هـ/ ٦٩٤-٧١٣م) في زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك بقوله: "مدينة إسلامية بناها محمد بن القاسم ابن أبي عقيل ابن عم الحجاج وسميت شيراز تشبيهاً لها بجوف الأسد"[4].

وذكر استحداث حصن المثقب في(إقليم الشام) في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠٣هـ/ ٧١٧-٧٢١م) ومن المعروف تاريخيا أن هذا الحصن استحدث في زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م) على يد حسان بن ماهوية[5].

ومن المدن ذات الأهمية التاريخية التي استحدثها العرب المسلمون في العصر العباسي مدينة بغداد وصفها ابن حوقل بقوله: "محدثة في الإسلام ابتناها أبو جعفر المنصور في الجانب الغربي من دجلة وجعل حواليها قطائع لحاشيته وحواليه كقطيعة

---

١ - المصدر نفسه ، هناك روايات تختلف في تاريخ تمصيرها، فبعض الروايات تشير إلى سنة ١٧ هـ، وبعضها إلى سنة ١٩هـ، وبعض الآخر لسنة ١٨ه، ينظر: اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري، النجف، (العراق: ١٣٥٨هـ)، ج٢، ص١٢٧، البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٧٤- ٢٨٧، الطبري، تاريخ الطبري، ج٤، ص١٨٩، ابن قتيبة، المعارف، حققه وقدم له ثروت عكاشة ، مطبعة دار الكتب(مصر:= =١٩٦٠م)، ص٥٦٤، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٩١.

٢ - ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص٢١٤.

٣ - اليعقوبي، البلدان، ص٣٢٢.

٤ - صورة الأرض، ص١١٧، ولا يشير المقدسي إلى استحداثها، ينظر: احسن التقاسيم، ص٤٢٩- ص٤٣٠.

٥ - ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧١، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٥٤.

الربيع والحربية وغيرها"[1]. ويتابع في وصفه التطور العمراني الحاصل للمدينة في زمن خلافة المهدي[2].

وذكر استحداث مدينة طرطوس في(إقليم الشام) إذ أشار إلى أن المأمون بن الرشيد مدنها وجعل عليها سورين من حجارة[3] ، وترد أكثر من رواية تتفق مع ما ذكره ابن حوقل على أنها مدينة تم عمارتها وتمصيرها من قبل العرب المسلمين ، بينما تختلف معه في مدة التمصير[4]. ومن المدن التي أشار ابن حوقل إلى استحداثها مدينة الهارونية في(إقليم الشام) سنة (١٨٣هـ/ ٧٩٩م) فذكر أن تسميتها جاءت نسبة إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد[5]. وأشار إلى استحداث مدينة فاس في(إقليم المغرب) بقوله: "وهي مدينة خصبة مفترشة بالحجارة أحدثها إدريس بن إدريس"[6].

---

١ - صورة الأرض، ص١٦٧.

٢ - ابن حوقل ، المصدر نفسه ، وعن تاريخ استحداثها ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٢٩٣وما بعدها، اليعقوبي، البلدان، ص٢٣٧، المقدسي، احسن التقاسيم، ص١٣١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ص٦٩ وما بعدها، وقد تباينت الآراء حول سنة تأسيس المدينة، ولكن الرأي الأرجح أن= =المدينة بنيت سنة١٤٥هـ، كبداية للتأسيس، ينظر: عبد الجبار ناجي، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ص٢٧٢.

٣ - ابن حوقل ، المصدر نفسه ، ص١٦٨.

٤ - إذ أشار البلاذري الذي سبق ابن حوقل بقرن أو أقل بقليل إلى أن استحداثها في زمن هارون الرشيد حيث استتم بناءها سنة(١٧٢هـ/ ٧٨٨م)، أما ياقوت الحموي فقد ذكر استحداثها من قبل سليمان الذي كان خادماً للرشيد في سنة نيف وتسعين ومائة.

٥ - صورة الأرض، ص١٦٧، وتشير الرواية التاريخية: "في سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر هارون الرشيد ببناء الهارونية فنسبت اليه، ويقال أنه بناها في خلافة المهدي ثم أتمت في خلافته"، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص١٧٥، وينقل ياقوت نص البلاذري عن بنائها ويحدد موقعها بالقرب من مرعش في طريق جبل اللكام، ينظر: معجم البلدان، ج٥، ص٣٨٨.

٦ - المصدر نفسه ، ص٨٩، ولا يرد ذكر استحداثها عند الاصطخري والمقدسي، وتشير بعض المصادر أن مدينة فاسمدينتان عدوة الأندلسيين التي أسست في سنة(١٩٢هـ/ ٨٠٨م) وعدوة القرويين سنة(١٩٣هـ/ ٨٠٩م) فيحكم إدريس بن إدريس، ينظر: المسالك والممالك، ص٣٤، أحسن التقاسيم، ص٢٢٩ـ٢٣٠، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، تحقيق دي سلان، الجزائر١٨٥٧م،

ومن المدن التي ذكر استحداثها من قبل الأدارسة أيضاً مدينة الأقلام في(إقليم المغرب) والتي استحدثها يحيى بن إدريس[1]. وذكر أيضاً استحداث مدينة سر من رأى التي استحدثت في سنة(٢٢١هـ/ ٨٣٥م) فوصفها: "مدينة استحدثها أبو إسحاق المعتصم بن الرشيد... ولما ابتدأ بناءها المعتصم استتمه المتوكل"[2].

وأشار إلى مدينة الكرخ في إقليم الجبال وأنها مدينة لآل أبي دلف[3] ، والمعروف تاريخيا أن مدينة الكرخ قد مُصرت في زمن الخليفة(العباسي المأمون) سنة(٢١٠هـ/ ٨٢٥م) من قبل أبي دلف فسميت بكرج أبي دلف.

ومن المدن التي استحدثها العرب المسلمون وذكرها ابن حوقل مدينة المهدية في(إقليم المغرب)سنة(٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) بقوله: "مدينة صغيرة استحدثها المهدي[4] القائم بالمغرب وسماها بهذا الاسم وتحول إليها من رقادة القيروان في سنة ثمان وثلاثمائة (٩٢٠م) ....."[5].

ص١١٥، مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، دار الشؤون العربية،(بغداد: ١٩٨٦م)، ص١٨٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٣٠.

١ - المصدر نفسه ، ص٨١، ولا يشير إلى استحداثها كل من الاصطخري، والمقدسي، والبكري، وصاحب كتاب الاستبصار وياقوت الحموي الذي ينقل نصا عن ابن حوقل في وصفه لهذه= =المدينة إلا أنه لا يشر إلى استحداثها، انظر: المسالك والممالك،أحسن التقاسيم، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، معجم البلدان، ج١، ص٢٣٧.

٢ - المصدر نفسه ، ص٢١٨.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣١٣، وآل أبي دلف، هو أبو دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي، ينظر: البلاذري، فتوح البلدان،ص٣١٠، المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٣٨، ٣٩، ابن النديم، الفهرست، ص١٣٠، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٤٤٦.

٤ - المهدي: عبيد الله بن علي بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن أبي طالب، انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٤- ص ٥٠، المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي(مصر: ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، ص٨١ وما بعدها.

٥ - صورة الأرض، ص٧٣، وتوسع البكري في ذكر أسباب بنائها، ويتفق مع ابن حوقل في ذكر تاريخ الانتقال إليها في سنة(٣٠٨هـ/ ٩٢٠م)، انظر: كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص٢٩- ٣١،

وقد جاءت إشارته مقتضبة عن استحداث مدينة زلول في(إقليم المغرب) إذ ذكر استحداثها من قبل الفاطميين[١] ، وأشار إلى استحداث مدينة المسيلة في (إقليم المغرب) التي استحدثت سنة(٣١٣هـ/ ٩٢٥م) بقوله: "وهي مدينة محدثة واستحدثها علي بن الأندلسي[٢] أحد خدم آل عبيد الله....."[٣].

ومن المدن التي استحدثها العرب المسلمون مدينة الزهراء في(الاندلس) إذ استغرق بناؤها حوالي اربع سنوات من سنة(٣٢٥- ٣٢٩هـ/ ٩٣٦-٩٤٠م) ، وانفرد ابن حوقل بذكره استحداث هذه المدينة من بين معاصريه من الجغرافيين وذكر بانيها وهو (عبد الرحمن بن محمد) ، والمعالم العمرانية التي بُنيت فيها (من حمامات وخانات وقصور ومتنزهات ومؤسسات إدارية)[٤].

وذكر ابن حوقل استحداث مدينة المنصورية غرب مدينة القيروان في(إقليم المغرب) مشيراً إلى الأسباب التي دفعت المنصور[٥] إلى استحداثها على إثر إخماد

وللتوسع عن بناء هذه المدينة، ينظر: كتاب الاستبصار، ص١١٧، المقريزي، المصدر السابق، ص١٠١ وما بعدها، ياقوت الذي نقل رواية البكري عن بناءها، معجم البلدان، ج٥، ص٢٣١.

١ - المصدر نفسه، ص٨٠، ولا يشير إلى استحداثها الاصطخري، والمقدسي، والبكري، وصاحب كتاب الاستبصار.

٢ - علي بن الأندلسي: هو علي بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجذامي المعروف بابن الأندلسي، ينظر: البكري، المصدر السابق، ص٥٩، كتاب الاستبصار، ص١٧٢، ويرد ذكر بانيها عند ياقوت باسم أبو القاسم محمد بن المهدي، ينظر: معجم البلدان، ج٥، ص١٣٠.

٣ - المصدر نفسه، ص٨٥، ويلاحظ خلال ذكر النصوص التي أوردها بعض البلدانيين حول استحداثها هناك اختلاف في ذكر سنة التأسيس فالبكري يذكر تاريخ(٣١٣هـ/ ٩٢٥م) ينظر: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، ص٥٩، ويرد التاريخ نفسه عند صاحب كتاب الاستبصار، انظر: ص١٧٢، بينما ترد سنة بناءها عند ياقوت (٣١٥هـ/٩٢٧م)، ينظر: معجم البلدان، ج٥، ص١٣٠.

٤ - صورة الأرض، ص١٠٧.

٥ - المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بن عبيد الله المهدي تولى حكم الدولة الفاطمية في شوال سنة(٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) وتوفي سنة(٣٤١هـ/ ٩٥٢م)، ينظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص١٢٩.

فتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد[1] وحصاره لمدينة المهدية وذكر استكمال بنائها وانتقال المنصور إليها سنة(٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) [2].

وذكر ابن حوقل استحداث مدينة القاهرة سنة(٣٥٨هـ/ ٩٦٨م) من قبل جوهر الصقلي[3] بظاهر مصر ، وتبدو المعلومات التي أوردها في وصفه لمدينة القاهرة ذات أهمية كونه عاصر بنائها ، فقد ذكر معالمها العمرانية ، ويتضح من وصفه لها أن عدد سكانها في مراحل نشأتها الأولى كان قليلاً كونها مدينة أُريد لها أن تكون معسكراً. وفي إشارة ابن حوقل لمدينة همذان في (إقليم الجبال) أنها محدثة إسلامية شيء من الغموض[4] إذ لا يذكر من هو محدثها ، ولا السنة التي استحدثت فيها؟ وربما تعني إشارته إلى تجديد عمارتها أو إضافة بعض المعالم العمرانية ذات الطابع الإسلامي إليها[5].

---

١ - هي أخطر ثورات الخوارج أضرمها ابن يزيد من قبيلة زنانة سنة (٣٣٣هـ/ ٩٤٤م) في جل أرجاء الدولة الفاطمية، واصبح مركزه يهدد مدينة المهدية واستطاع المنصور من إخمادها في سنة(٣٣٦هـ/ ٩٤٧م)، ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٥٠- ١٥٨، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ص٥٤- ٥٥.

٢ - صورة الأرض، ص٧٣- ٧٤، ويتفق البكري وصاحب كتاب الاستبصار مع ما جاء به ابن= =حوقل حول استحداث المدينة، أما ياقوت فينسب بناءها إلى منادين بلكين(يوسف بلكين الصنهاجي الذي تولى الإمارة الصنهاجية من سنة(٣٣٣هـ/- ٣٨٦هـ/٩٨٤- ٩٩٦م) وتعود تسميتها إلى أبي الفتح المنصورين بلكين، ينظر: المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب، ص٢٥، الاستبصار في عجائب الأمصار، ص١١٥، معجم البلدان، ج٣، ص٣٩١.

٣ - أبو الحسن جوهر بن عبد الله الصقلي، اشتهر بقيادته للجيوش الفاطمية وعين وزيراً وقائد للجيش في زمن المعز لدين الله، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٣٧٥، الدكتور علي إبراهيم حسن، تاريخ جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م.

٤ - صورة الأرض، ص١٣٨.

٥ - إن بعض المصادر التاريخية والبلدانية لا تذكر شيئاً عن استحداثها، فرواية الواقدي التي أوردها البلاذري تشير فقط إلى فتحها من قبل العرب المسلمين ويعني ذلك أنها مدينة قديمة، وان وصف الاصطخري والمقدسي وياقوت الحموي تخلو هي الأخرى من الإشارة إلى استحداثها، ينظر: فتوح البلدان، ص٣٠٦- ٣٠٧، المسالك والممالك، ص١١٧، أحسن التقاسيم، ص٣٩٢،

ب- توسيع وتطوير المدن القديمة:

ومما تجدر الإشارة إليه أن إضافات العرب المُدنية لم تقتصر على استحداث المدن فحسب ، بل إضافات عمرانية على درجة من الأهمية ، وهذا ما يؤكد إضافة العرب المسلمين على مستوى التخطيط والعمارة للمدن ، إذ إنهم أضافوا وحدات عمرانية ، لم تكن موجودة في تخطيط المدن القديمة ، وذلك نتيجة للتوسع الحاصل في الوظائف تماشياً مع تنامي ظاهرة الاستيطان الحضري في الدولة الإسلامية ، ويمكن تتبع هذه الإشارات عند ابن حوقل باختيار بعض الأمثلة من المدن التي شملها هذا التوسع المُدني العربي الإسلامي. ففي وصف ابن حوقل لمدينة مرو ما يؤكد ذلك حيث وصفها أنها مدينة قديمة تعرف بمرو الشاهجان ، وأن قلعتها من بناء طهمورث[1] ، والمدينة القديمة من بناء ذي القرنين. أما حال المدينة في العصور الإسلامية ففيها من المعالم العمرانية ذات الطابع العربي الإسلامي: ثلاثة مساجد لصلاة الجمعة ، وهذا يدل على اتساع حجم المدينة لاسيما أن عدد المساجد عُد من المعايير التي تقاس بها حجوم المدن ، وفصل ابن حوقل في ذكر جوامعها بإشاراته إلى أن أول جامع أقيمت فيه الجمعة مسجد بُني في أول الإسلام ، وعندما اتسع حجم المدينة وكثر عدد المسلمين بني المسجد المعروف بالمسجد العتيق على باب المدينة ، وبني بعد ذلك مسجد وسوق ودار للإمارة في العصر العباسي الأول ، حتى أصبحت مرو معسكراً للجيش العربي الإسلامي[2].

وفي وصف ابن حوقل لمدينة تونس يُلاحظ إضافات العرب المُدنية حتى في تغير اسمها القديم من ترشيش إلى مدينة تونس: "مدينة تونس وهي قديمة أزلية ذات مياه جارية قليلة... وكان اسمها في قديم الزمان ترشيش ، فلما أحدث فيها المسلمون

معجم البلدان، ج٥، ص٤١٠.

١ - طهمورث: من ملوك الفرس، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج١، ص٢٤٦.

٢ - صورة الأرض، ص٣٦٤- ص٣٦٥.

البنيان واستحدثوا البساتين والحيطان سميت تونس"[1] ، ويتضح من كل ما سبق عن إضافات العرب المُدنية من إنشاء مدن جديدة أو توسيع وتطوير المدن القديمة نتيجة للوظائف المُدنية التي نشطت بعد المد العربي الإسلامي لهذه المدن.

ونلحظ أن العامل العسكري كان السبب في إنشاء كثير من المدن مثل (البصرة ، الكوفة ، الفسطاط ، مدن الثغور...) ، والعامل السياسي اسهم أيضاً مساهمة فعالة في إنشاء أمهات المدن العربية الإسلامية مثل (بغداد ، القاهرة ...) والتوسع المُدني الذي شمل كثير من المدن القديمة ومبعث ذلك الوظائف المُدنية التي أريد لها من هذا التوسع ، فقد أضيفت وحدات عمرانية استجدت لحاجة العرب المسلمين إليها منها(الجامع ، بيت المال ، دار الإمارة[2]...). ومن هذا يتضح أصالة ظاهرة الاستيطان الحضري عند العرب المسلمين.

سابعاً : عوامل اضمحلال المدن :

لقد استوعب ابن حوقل عضوية المدينة كونها تنمو وتزدهر وقد تتدهور وتضمحل وهذا ما سبقت الإشارة إليه في وصفه لمدينة برذعة عاصمة ناحية الرآن في (إقليم أرمينية وأذربيجان والرآن). ويعني من ذلك أنه وضع نصب عينيه عوامل اضمحلال المدينة ، ومن خلال وصفه لكثير من المدن أنه ميز أيضاً بين عوامل اضمحلال المدن وتدهور بعضها وهي كالآتي:-

أ- العامل الطبيعي:

يتضح تأثير هذا العامل في اضمحلال بعض المدن من خلال وصف ابن حوقل لمدينة كاث درخاش عاصمة إقليم خوارزم في(ما وراء النهر) بقوله: "وكان لكاث قهندز مع مدينة فخربها النهر وأتى عليها والجامع الذي كان على ظهر القهندز فلم

---

١ - المصدر نفسه ، ص٧٥.

٢ - ينظر: ما ذكر عن خطط المدن الإسلامية في هذا الفصل، إذ ترد كثير من الأمثلة عن التوسع في خطط المدن القديمة.

يبق منها رسم ولا طلل"[١]. ويرى ابن حوقل أن انخفاض منسوب مياه نهر(هيل مند)[٢] في إقليم سجستان كانت له آثار على مدينة(رام شهرستان) التي تحول سكانها منها وابتنوا مدينة زرنج[٣].

ب- **العامل السياسي:**

يتمثل هذا العامل بانتقال الوظيفة السياسية لبعض المدن إلى غيرها وبنتيجة ذلك ينتهي دورها كمدينة ذات وظيفة سياسية-إدارية ويؤدي ضمور هذه الوظيفة إلى قلة حجمها. ومن المدن التي ذكرها ابن حوقل بهذا الخصوص مدينة المهدية(عاصمة الفاطميين) حيث زارها سنة(٣٣٦هـ/٩٤٧م) ووجدها قد اختلت أحوالها وانتقل رجالها عنها بانتقال المنصور ورجاله منها ، بسبب فتنة أبي يزيد بن كيداد بالمغرب وحصارها للمدينة. مما دفع المنصور بعد انهزام أبي يزيد إلى اختطاط مدينة (المنصورية) في الموضع الذي عسكر فيه والذي يقع غرب القيروان واستوطنها سنة(٣٣٧هـ/ ٩٤٨م) [٤] ، وبهذا انتهت وظيفتها السياسية وانكمش حجمها على إثر ذلك. وكذلك في وصفه لمدينة الأنبار يتضح أهمية هذا العامل بقوله أنها: "بلد السفاح(أبو العباس السفاح) وكانت داره التي يسكنها عامرة آهلة كثيرة النحل والزروع الجيدة والثمار والأسواق الحسنة على شرقي الفرات ، فتغيرت وخربت"[٥] ، ومن المعروف أن الأنبار كانت مركزاً للحكم في بداية تأسيس الدولة العباسية إلا أن بناء بغداد وانتقال العاصمة إليها أدى إلى اضمحلالها وخرابها.

ج- **العامل التجاري:**

---

١ - صورة الأرض، ص٣٩٥.

٢ - نهر هيل مند: ينبع من ظهر بلد الثغور، ثم ينتهي إلى سجستان، ويقع في بحيرة زوه، ينظر: صورة الأرض، ص٣٥١- ص ٣٥٢.

٣ - المصدر نفسه ، ص٣٥١.

٤ - صورة الأرض ، ص٧٣- ص ٧٤.

٥ - المصدر نفسه، ص٢٠٥.

لم يغفل ابن حوقل تأثير العامل التجاري في اضمحلال بعض المدن ويتمثل ذلك بالمدن التي يصيب وظيفتها التجارية ولاسيما المدن التي تقع على طريق تجاري ، فحياتها ترتبط بديمومة الطريق فوصف ابن حوقل لمدينة بالس في(إقليم الشام) يؤكد ذلك بقوله: "بالس مدينة على شط الفرات من غربيه صغيرة ، وهي أول مدن الشام من العراق ، وكان الطريق إليها عامراً ومنها إلى مصر وغيرها سابل ، وكانت لأهل الشام على الفرات فعفت آثارها ودرست قوافلها وتجارها........"[١].

د- العامل العسكري:

أشار ابن حوقل في اضمحلال بعض المدن إلى سلسلة المعارك والحروب التي خاضها العرب المسلمون مع البيزنطيين ، وتأثيرها على بعض المدن وخاصة الحدودية (الثغور)منها ، إذ إنها أصبحت مسرحاً للصراع الناشب والمستمر والذي أدى بالنتيجة إلى اضمحلال بعضها. ومن أمثلة هذه المدن(حلب ، وقنسرين ، وانطاكية ، وحصن منصورة ، والحدث ، ومرعش) في إقليم(الشام)[٢] ؛ ومدينتا(أذرمة ، وراس العين)[٣] في إقليم الجزيرة.

هـ- العامل الاجتماعي:

ومن خلال وصف ابن حوقل لمدية طبنة في (إقليم المغرب) ، يُلاحظ أنه وضع للعامل الاجتماعي أثراً في اضمحلال هذه المدينة فوصف المدينة وهي عامرة وذكر عناصر سكانها ومن ثم اقتصادها وأشار إلى اضمحلالها بقوله: "فحدث بينهم البغي والحسد إلى أن أهلك الله بعضهم ببعض ، وأتى على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة إلى الضيق والمذلة والصغار والشتات والقلة ، مشردين في البلاد مطرحين في كل جبل وواد"[٤].

وهناك مدن قديمة في إقليم المغرب ذكرها ابن حوقل:"أنها قد خربت" ، ولكن

---

١ - المصدر نفسه ، ص١٦٥.

٢ - صورة الأرض ، الصفحات:١٦٢- ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧.

٣ - المصدر نفسه ، ص١٩٩، ص٢٠٠.

٤ - المصدر نفسه ، ص٨٥.

إشـارته مقتضـبة لا تكشـف أسـباب ذلـك وهـذه المـدن(أشرشـال ، تامـدفوس ، دار مدلول)[1].

ويتضح مما سبق أن ابن حوقل قد ميز بـين العوامـل الـتي تـؤدي إلى اضـمحلال المدن واستوعب فاعليتها في ذلك.

الخاتمة

١ - المصدر نفسه ، ص٧٨،ص ٨٥.

تناول هذا البحث دراسة تاريخية في كتاب(صورة الأرض) لابن حوقل ، وقد تبين أنه على الرغم من إغفال كتب التراجم من الكشف عن حياة ابن حوقل ، بيد أن ما ذكره عن حياته وما ذكرته المصادر التي استقت بعض معلوماته منه ، تم التوصل إلى أن ولادته كانت في (إقليم الجزيرة) في مدينة الموصل أو ربما في مدينة نصيبين فهو عربي الأصل ، عاش في بغداد مدة من الزمن ومن ثم رحل عنها في عام(٣٣١هـ/٩٤٣م) ، وقد شملت رحلته كل الأقاليم الإسلامية ، وكان الغرض منها تجارياً وعلمياً. وقد نُوقش أيضاً ما ذكره المستشرقون وبعض الكتاب المحدثين من أن ابن حوقل كان عيناً للفاطميين ، وذلك من خلال تتبع بعض النصوص التي وردت في كتابه والتي ترجح عدم مصداقية ذلك.

أما عن منهج ابن حوقل فقد تم شرح الأسباب التي دفعته إلى تصنيف كتابه ، وهي اهتماماته المتنوعة العلمية منها والتجارية ، واتضح أيضاً أنه ذو منهج دقيق وأهم ما يلاحظ عليه ، أن مادته اقتصرت على وصف الأقاليم الإسلامية ، باستثناء إشارات وردت عن المناطق المجاورة وجاءت في ثنايا كتابه ، وأنه لم يتبع تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم (التقسيم الفلكي) ، بل اتبع تقسيماً جغرافيا يجعل كل إقليم منطقة جغرافية قائمة بذاتها ، أما عن منهجه في تبويب كتابه فقد كان للعامل القومي

والديني أثرهما عندما احتلت ديار العرب الأولوية في وصفه للأقاليم ، كما يلاحظ من عرض مادته أنه يميل إلى الإيجاز والنقد وتمحيص الروايات وعلى الرغم من دقة منهجه هذا ، إلا أن بعض المبالغات قد تسربت إلى مادة كتابه. وأهم ما يلاحظ على منهجه أنه جعل الخريطة أساساً للشرح الجغرافي ، فرسم خريطة لجميع الأرض ، وأفرد خريطة وأحياناً خريطتين لكل إقليم ، وبهذا فقد أصبحت الخريطة أساساً للدراسة الجغرافية ، واتضح أن جهوده في رسم الخرائط تُعد إحدى منجزات الفكر الجغرافي العربي ولاسيما في استعمال الرموز وتطوير صيغ تمثيل الظواهر الطبيعية والمستوطنات الحضرية على الخارطة. أما عن ترتيب مادة كتابه فقد احتوى على مقدمة ، وعرض لمادته التي جمعها من مصادر متنوعة وعلى اثنين وعشرين إقليماً ، وعلى خاتمة ، وعن أسلوبه فقد تبين أنه اتبع أسلوبا علميا في عرض مادته.

كما وصنفت أهم المصادر التي استقى ابن حوقل منها معلوماته وهي بالدرجة الأولى كانت الرحلة والمشاهدة ، ثم الروايات الشفوية ، أما آخر مصدر لمعلوماته فهي المصنفات المدونة ، وخاصة المصنفات الجغرافية التي أشار إليها ابن حوقل والتي كانت لا تفارقه في حله وترحاله.

أما عن أهميته في الفكر الجغرافي العربي ، فقد اتضح من خلال موازنة كتابه (صورة الأرض) بكتاب الاصطخري (المسالك والممالك) ، إن كتابه يحمل من الأصالة المتمثلة بإضافات كثيرة شملت جوانب مُتعددة ، وكذلك بما قدمه من معلومات واسعة عن مختلف الجوانب لكل إقليم من الأقاليم الإسلامية بحيث اصبح مصدرا مهما لعدد من الكتاب فنقلوا عنه معلومات مهمة أثناء تصنيف كتبهم وقد أحصتهم الدراسة.

أما في مجال دراسة الجوانب الإدارية ، فقد اتضح أن التعابير التي تشير إلى الوحدات الإدارية لم يوضحها ابن حوقل بدقة ، وذكر تقسيمات بعض الأقاليم أما الأخرى فإن كلامه في هذا المجال كان عاماً لم يوضح ما كانت عليه تقسيماتها الإدارية آنذاك.

وفي مجال وصف السكان وعاداتهم ، فقد وصف ابن حوقل سكان معظم الأقاليم

الإسلامية ، ولكن في معلوماته عن أهالي الأندلس وصقلية تحاملاً كثيراً ، وفي مجال توزيع القبائل والأقوام ، فإن ما ذكره في بعضها إشارات عامة ، وفي بعضها الآخر كان حريصا فيها على تعيين مواطنهم وسكناهم ، حيث أسهب في ذكر توزيع القبائل العربية في ديار العرب وهذا ما يؤكد اهتماماته القومية واعتزازه بعربيته ، فضلاً عن ذكر معلومات قيمة عن سكنى قبائل البربر في إقليم المغرب ، وذكره لأكثر من مائتي قبيلة منها. أما إشاراته عن توزيع الأديان ، فيلاحظ أنها مقتضبة جداً بحيث أغفل ذكرها في كثير من الأقاليم.

أما في الجوانب الاقتصادية فإن معلومات ابن حوقل كانت وافية ، بحيث وضحت جوانب مهمة للحياة الاقتصادية في الأقاليم الإسلامية في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ،وعلى مختلف الأنشطة الزراعية ، والتجارية ، والصناعية ، وكذلك وضحت ما كانت عليه الموازين والمكاييل والنظام النقدي الذي كان سائداً آنذاك واتضح من معلوماته أن هناك اختلافات في وحدات الوزن والكيل سواء أكانت في الإقليم الواحد أم بين الأقاليم ، وأغفل ذكر بعض وحدات الكيل التي كان معمولاً بها في المدة التي عاصرها ، ووضحت معلوماته أيضاً ما كان عليه المستوى المعاشي في بعض الأقاليم وأشار إلى أسعار بعض المواد التجارية فيها ، وأما معلوماته عن الضرائب فقد كانت وافية إذ بين أنواعها ، ومقاديرها ، واختلافها من إقليم إلى آخر ، وذكر الواردات المالية لكثير من الأقاليم ، هذا وأن معلوماته الاقتصادية كانت على العموم على درجة من الدقة يمكن الركون إليها ؛ كون ابن حوقل رحالة وتاجر اطلع عن كثب على تفاصيل الحياة الاقتصادية للأقاليم التي زارها.

أما في حقل المدن فقد توصل إلى أن ابن حوقل قد استوعب أكثر من تعريف للمدينة ، فقد لمح إلى التعريف الإحصائي ، وكان التعريف الوظيفي للمدينة هو الأساس عنده لأن المدن نشأت وتطورت بفعل العامل الوظيفي ، واستوعب في وصفه للمدن مفهوم الموقع والموضع ، وكذلك عضوية المدينة لأن المدن تنشأ ثم تنمو وتزدهر ثم تضمحل ، وكذلك وضح العوامل التي تؤدي إلى تباين حجوم المدن مصنفاً في ضوئها المدن إلى: (كبيرة ، وسطى ، فوق الصغيرة ، صغيرة) ، وفي مجال تخطيط المدن

اهتم في وصف بنية المدينة أي تركيبها المعماري سواء أكان بوظائفها الدينية ، أم الإدارية ، أم المالية ، أم التجارية ، أم العسكرية ، فضلاً عن وصفه لمعالم عمرانية أخرى ، ووضحت معلوماته مصادر المياه في داخل المدينة الإسلامية وكيفية تجهيز هذه المدن بها ، واستوعبت معلوماته وظائف المدن ، موضحاً تأثير الوظيفة على نشأة بعض المدن وتوسع في بعضها الآخر ، في ضوء ذلك صنفت المدن وظيفياً كما وضحت معلوماته إضافات العرب المُدنية على مستوى التخطيط والعمارة ، واستوعب ابن حوقل عوامل اضمحلال المدن وتفاعلها ، وبهذه المعلومات يكون ابن حوقل في دراسته قد اقترب إلى حد ما من الدراسات المُدنية المعاصرة.

المصادر والمراجع

المخطوطات:

البلخي: أبو زيد احمد بن سهل(ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م).

١- (صورة الأقاليم) مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد برقم(٣٢٩).

علي بن عيسى: (ألف في ٨٧٣هـ/ ١٤٦٨م).

٢- (كتاب عجائب البلدان والجبال والأحجار) مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد برقم (١٤).

مؤلف مجهول: عاش في القرن(السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).

٣- (قطعة من كتاب في الجغرافيا)، مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب- جامعة بغداد، برقم (١٢١٨).

مؤلف مجهول:

٤- (رسالة في أسماء البلدان) مكتبة الدراسات العليا، كلية الآداب جامعة بغداد، برقم(٣٩٩).

المصادر:

ابن الأثير: عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري(ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م).

٥- (الكامل في التاريخ)، دار صادر- دار بيروت (بيروت: ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

٦- (اللباب في تهذيب الأنساب) عنيت بنشره مكتبة القدس، حسام الدين القدسي عن نسخة الخزانة التيمورية المحفوظة في دار الكتب المصرية (مصر: ١٣٥٧هـ).

الإدريسي: أبو عبد الله بن محمد(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤م).

٧- (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) نابولي(روما: ١٩٧٠م).

٨- (صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس) مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل(ليدن: ١٨٦٢م).

٩- (الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، تحقيق الدكتور إبراهيم شوكت، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد الحادي والعشرون سنة ١٩٧١م.

١٠- (جزيرة العرب من نزهة المشتاق للشريف الإدريسي)، تحقيق الدكتور إبراهيم شوكت، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد الثالث والعشرون سنة ١٩٧٣م.

الأزدي: ابن زكريا يزيد محمد بن إياس بن القاسم الأزدي(ت٣٣٤هـ/ ٩٤٥م).

١١- (تاريخ الموصل)، تحقيق الدكتور علي حبيبة (القاهرة: ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م).

الاصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد المعروف بالكرخي(توفي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي).

١٢- (كتاب الأقاليم) نشر د.مولير(١٢٥٥هـ/ ١٨٣٩م)، اوفسيت المثنى بغداد.

١٣- (المسالك والممالك)، تحقيق د.محمد جابر عبد العال الحسيني مطابع دار القلم(القاهرة: ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م).

ابن أبي اصيبعة: القاسم بن خليفة بن يونس السعدي (ت٦٦٨هـ/ ١٢٦٩).

١٤- (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا، منشورات مكتبة دار الحياة(بيروت: ١٩٦٥م).

الباكوي: عبد الرشيد صالح بن نوري(٨١٦هـ/ ١٤١٣م).

١٥- (كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار) نشره وعلق عليه الدكتور ضياء الدين أبو موسى يونياتوف، دار النشر للعلم(موسكو: ١٩٧١م).

البلاذري: احمد بن يحيى بن جابر(ت٢٧٩هـ/٨٩٢م).

١٦- (فتوح البلدان)، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية بالأزهر(مصر: ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٢م).

ابن بطوطة: شرف الدين أبو عبد الله بن عبد الله (ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م).

١٧- (رحلة ابن بطوطة) أو ما يسمى(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، طبع في(باريس: ١٩٢٧م)، جزآن.

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م).

١٨- (البداية والنهاية في التاريخ)، الطبعة الثانية، مكتبة المعارف،(مصر: ١٩٧٧م).

البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز(ت٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م).

١٩- (المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب) تحقيق ديسلان،(الجزائر: ١٨٥٧م) أعيد طبعه في مكتبة المثنى ببغداد.

٢٠- (جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك)، الطبعة الأولى، تحقيق

الدكتور عبد الرحمن علي الحجي، دار الإرشاد، (بيروت: ١٩٦٨م).

٢١- (جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك لأبي عبيد البكري) تحقيق الدكتور عبد الله يوسف الغنيم، نشر في بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، المملكة العربية السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، مجلد٣.

البيروني: أبو الريحاني محمد بن احمد(ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م).

٢٢- (كتاب الجماهر في معرفة الجواهر)،الطبعة الأولى(حيدر آباد الدكن:١٣٥٥هـ/١٩٣٦م).

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبي المحاسن يوسف (ت٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م).

٢٣- (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)، دار الكتب المصرية(القاهرة: ٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

٢٤- (المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي)، تحقيق احمد يوسف نجاتي، دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

التنوخي: القاضي أبو علي الحسن بن علي(٣٨٤هـ/ ٩٩٤م).

٢٥- (المستجاد من فعلات العباد)، تحقيق محمد كرد علي(دمشق: ١٩٤٦م).

الثعالبي: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (ت٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م).

٢٦- (الطائف المعارف)، تحقيق إبراهيم الابياري وحسن كامل الصيرفي، دار إحياء الكتب العربية(القاهرة بلا تاريخ).

الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر(٢٥٥هـ/ ٨٦٨م).

٢٧- (كتاب التبصر بالتجارة)، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، دار الكتاب الجديد (١٩٦٦م).

٢٨- (كتاب الأمصار وعجائب البلدان)، نشر شارل بلا، مجلة المشرق سنة ٦٠، ج٢، آذار- نيسان/ نيسان (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م).

ابن جبير: أبو الحسن محمد بن جبير(ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م).

٢٩- (رحلة ابن الجبير)، مطبعة المكتبة العربية (بغداد: ١٣٥٦هـ/ ١٩٣٧م).

الجواليقي: أبو منصور موهوب بن احمد بن محمد (ت٥٤٠هـ/ ١١٤٥م).

٣٠- (المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم)، تحقيق احمد محمد شاكر، دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٣٦١هـ).

الجوهري: إسماعيل بن حماد(ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م).

٣١- (الصحاح تاج اللغة والصحاح)، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

ابن خرداذبه: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ / ٩١٢م).

٣٢- (المسالك والممالك)، تحقيق د يغويه(ليدن: ١٨٨٩م) أعيد طبعه بالاوفسيت مطبعة

المثنى- بغداد.
الخطيب البغدادي: أبو بكر احمد بن علي(ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م).
٣٣- (تاريخ بغداد أو مدينة السلام)، الناشر دار الكتاب العربي،(بيروت –لبنان بدون تاريخ).
ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).
٣٤- (مقدمة ابن خلدون)، دار إحياء التراث العربي(بيروت- لبنان بدون تاريخ).
الخوارزمي: أبو عبد الله محمد بن احمد بن يوسف الكاتب(ت٣٨٣هـ/ ٩٩٣م).
٣٥- (مفاتيح العلوم)، الطبعة الأولى، المطبعة المنيرية(مصر: ١٩٢٣م).
ابن دقماق: إبراهيم بن محمد بن ايدمر القاهري(ت٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م).
٣٦- (كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار)، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت- بلا تاريخ).
أبو دلف: مسعر بن مهلهل الخزرجي(توفي بعد عام ٣٨٥هـ/ ٨٩٨م).
٣٧- (الرسالة الثانية) نشر وتحقيق بطرس بولغاكوف وأنيس خالدون ترجمة وتعليق الدكتور محمد منير مرسي، عالم الكتب(مصر: ١٩٧٠م).
الدمشقي: الشيخ أبو الفضل جعفر بن علي(ت٥٧٠هـ/ ١١٧٤م).
٣٨- (الإشارة إلى محاسن التجارة ومعرفة جيد الأغراض وغشوش المدلسين فيها، الطبعة الأولى، تحقيق البشرى الشورنجي، مطبعة الغد(الإسكندرية: ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).
ابن رسته: أبو علي احمد بن عمر(ت في نهاية القرن الثاني الهجري/ القرن التاسع الميلادي).
٣٩- (الأعلاق النفيسة) نشره دي غويه، ليدن، طبعة ابريل(ليدن: ١٨٩١م).
الزبيدي: محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى (ت١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م).
٤٠- (تاج العروس)، دار مكتبة الحياة(بيروت- لبنان: بدون تاريخ).
الزهري: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت في أواسط القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).
٤١- (كتاب الجغرافية) اعتنى بتحقيقه محمد الحاج صادق، المعهد الفرنسي (دمشق: ١٩٦٨م).
السبكي: تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب تقي الدين (ت٧٧١هـ/ ١٣٦٩م).
٤٢- (طبقات الشافعية الكبرى)، ط٢، دار المعرفة(بيروت- لبنان: د .ت).
السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م).
٤٣- (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع) منشورات دار مكتبة الحياة، (بيروت- لبنان: د .ت).
ابن سعيد المغربي: أبو الحسن علي(ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م).
٤٤- (المغرب في حلى المغرب) الجزء الخاص بمصر، ق١، عنى بنشره وتحقيقه والتعليق عليه

الدكتور زكي محمد حسن والدكتور شوقي ضيف، والدكتورة سيدة كاشف، مطبعة جامعة فؤاد الأول،(مصر: ١٩٥٣م).

السمعاني: أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م).

٤٥- (الأنساب) نشر مرغليوث، بريل(ليدن: ١٩١٢م).

سهراب: أبو الحسن بن بهلول(ت بعد عام ٢٨٩هـ/ ٩٤٥م).

٤٦- (عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة) تصحيح هانس فون هزيك، طبعة أدولف هولز(أثينا: ١٩٢٩م).

ابن سيدة: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي(ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م).

٤٧- (المخصص) دار الفكر(بيروت: د .ت).

ابن شداد: عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم(ت ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م).

٤٨- (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) حقق الجزء الثاني سامي الدهان (دمشق: ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، وحقق الجزء الثالث ق١، يحيى عبادة، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،(دمشق: ١٩٧٨م).

الصابي: أبو الحسن الهلال بن المحسن بن ابراهيم (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م).

٤٩- (رسوم دار الخلافة) تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة العاني(بغداد: ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٤م).

الصفدى: صلاح الدين خليل بن ايبك(ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٥٠- (الوافي بالوفيات) نشر باعتناء هلموت ريتر، ١٩٦٢م.

ابن طباطبا: محمد بن علي الطقطقي(ت ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م).

٥١- (الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية) عنى بنشره يوسف توما البستاني (مصر: ١٣٤٠هـ).

الطبري: محمد بن جرير(ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م).

٥٢- (تاريخ الرسل والملوك)، الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية الأهالي، بدون تاريخ.

ابن عبد الحكم: عبد الرحمن بن عبد الله(ت٢٥٧هـ/ ٨٧١م).

٥٣- (فتوح مصر والأندلس) تحقيق عبد المنعم عامر، النشر لجنة البيان العربي (مصر: ١٩٦١م).

ابن عذارى المراكشي: أبو العباس احمد بن محمد(كان حياً في ٧١٢هـ/ ١٣١٢م).

٥٤- (البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب) تحقيق ومراجعة ج. س.كولان وا .ليفي بروفنسال، دار الثقافة(بيروت- لبنان: د .ت).

العسقلاني: شهاب الدين بن حجر(ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م).

٥٥- (الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة) الطبعة الثانية، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار

الكتب الحديثة (مصر: ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م).

ابن العماد الحنبلي: ابن الفلاح عبد الحي بن العماد(ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

٥٦- (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) عنيت بنشره مكتبة القدس(مصر: ١٣٥١هـ).

أبو الفدا: إسماعيل بن علي بن محمد بن عمر(ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م).

٥٧- (تقويم البلدان) نشره رينو(باريس: ١٨٤٨م).

ابن الفقيه: أبو بكر احمد بن إبراهيم الهمداني(ت ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م).

٥٨- (مختصر كتاب البلدان) مطبعة بريل (ليدن: ١٨٨٥م).

الفيروز أبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الصديقي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م).

٥٩- (القاموس المحيط)، دار الجيل(بيروت، د .ت).

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بم مسلم الدنيوري (ت٢٧٦هـ/ ٨٨٩م).

٦٠- (عيون الأخبار)، دار الكتب المصرية (مصر: ١٩٢٥م).

٦١- (المعارف) حققه وقدم له ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب(مصر: ١٩٦٠م).

قدامة بن جعفر: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت٣٢٨هـ/ ٣٣٩م).

٦٢- (الخراج وصناعة الكتاب) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي، دار الحرية للطباعة(بغداد: ١٩٨١م).

القزويني: زكريا بن محمد بن محمود(ت٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م).

٦٣- (آثار البلاد وأخبار العباد)، اعتنى بنسخه وستنفلد(ليبزك: ١٨٤٨م).

٦٤- (عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات) نشره وستنفلد(ليبزك: ١٨٤٨م).

القلقشندي: أبو العباس احمد بن علي(ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م).

٦٥- (صبح الأعشى في صناعة الانشا) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر،(القاهرة: ١٩٦٣م).

الكتبي: ابن شاكر محمد بن احمد(ت٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م).

٦٦- (فوات الوفيات) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد(مصر: ١٩٥١م).

الماوردي: ابو الحسن علي بن محمد(ت٤٥٠ه/ ١٠٥٨م).

٦٧- (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) الطبعة الأولى،(مصر: ١٩٦٠م).

المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله بن احمد المعروف بالبشارى(ت٣٨٧هـ/ ٩٧٣م).

٦٨- (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الطبعة الثانية، نشر دى غويه مطبعة بريل(ليدن: ١٩٠٦م).

المقريزي: تقي الدين أبو العباس احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد الحسيني(ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م).

٦٩- (كتاب المواضع والاعتبار بذكر الخطط والآثار) المعروف بالخطط المقريزية، نشره فييت (باريس: ١٩٢٤م).
٧٠- (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق الدكتور جمال الدين الشيال، دار الفكر العربي (مصر: ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).
المقرى التلمساني: احمد بن محمد(ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م).
٧١- (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد(بيروت- لبنان: ١٩٤٩م).
المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسيني بن علي (ت٣٤٦ه/ ١٩٥٧م).
٧٢- (مروج الذهب ومعادن الجوهر)الطبعة السادسة، دار الأندلس(بيروت. لبنان:١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).
٧٣- (التنبيه والاشراف)مكتبة خياط(بيروت: ١٣٥٥هـ/ ١٩٦٥م).
ابن مماتي: الأسعد بن المهذب الوزير الأيوبي (ت٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م).
٧٤- (كتاب قوانين الدواوين) تحقيق عزيز شوريال عطية(مصر: ١٩٤٣م).
ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ/ ١٣١١م).
٧٥- (لسان العرب المحيط) إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب (بيروت: د .ت).
مؤلف مجهول:
٧٦- (الاستبصار في عجائب الأمصار) نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، (بغداد: ١٩٨٦م).
ابن النديم: أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب(ت٣٧٨هـ/ ٩٨٨م).
٧٧- (الفهرست) تحقيق رضا تجدد، (طهران: ١٩٧١م).
النويري: شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب(ت٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م).
٧٨- (نهاية الأرب في فنون العرب) طبعة كوستاتسوماس،(القاهرة: د .ت).
الهمداني: محمد بن عبد الملك بن إبراهيم بن احمد (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م).
٧٩- (تكملة تاريخ الطبرى) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، منشور ضمن ذيول تاريخ الطبري، الطبعة الثانية، مصر: بدون تاريخ مجلد ١١.
الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).
٨٠- (معجم البلدان)، دار صادر، دار بيروت (بدون تاريخ).
٨١- (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً)، طبعة وستنفلد ١٨٤٦م.
٨٢- (معجم الأدباء) المعروف بإرشاد الأريب في معرفة الأديب، اعتنى بنسخه وتصحيحه د٠س مرغليوث ، طبعة(مصر: ١٩٣٠م).

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن اسعد بن علي بن سليمان(ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م).

٨٣- (مرآة الجنان وعبرة اليقضان في معرفة من حوادث الزمان) الطبعة الثانية، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات(بيروت- لبنان: د .ت).

اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن وهب(ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م).

٨٤- (البلدان)، بريل ١٨٩١م، مطبوع مع كتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته.

٨٥- (تاريخ اليعقوبي)، مطبعة الغرى بالنجف (العراق :١٣٥٨هـ).

المراجع:

أحمد: نفيسي

٨٦- (جهود المسلمين في الجغرافيا) ترجمة فتحي عثمان، سلسلة الألف كتاب(القاهرة: بدون تاريخ).

ادى شير: السيد

٨٧- (الألفاظ الفارسية المعربة) المطبعة الكاثوليكية (بيروت: ١٩٠٨م).

أمين: صلاح الدين

٨٨- الحياة العامة في أرمينية. رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٧٩م.

بروفنسال: ليفي

٨٩- (حضارة العرب في الأندلس)، ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة الحياة (بيروت: د .ت).

بروكلمان: كارل

٩٠- (تاريخ الأدب العربي) ترجمة الدكتور يعقوب بكر، والدكتور رمضان عبد التواب (مصر: ١٩٧٥م).

بستاني: بطرس

٩١- (دائرة المعارف)، بيروت- لبنان: ١٩٦٤م.

الجنابي: كاظم(الدكتور)

٩٢- (تخطيط مدينة الكوفة من المصادر التاريخية والأثرية)، بغداد: ١٩٦٧م.

جويدي: السنيور

٩٣- (محاضرات أدبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقاتها بأوروبا وخصوصاً بإيطاليا) محاضرات القيت على طلبة الجامعة المصرية(مصر: د .ت).

الحديثي: قحطان عبد الستار

٩٤- (خراسان في العهد الساماني في دراسة في أحوالها السياسية والإدارية والاقتصادية من

سنة ٢٠٤هـ/ ٨١٩م إلى سنة ٣٨٩هـ/٩٩٨م، رسالة دكتوراه (غير منشورة) مقدمة إلى كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٠.

حسن: حسن إبراهيم(الدكتور)

٩٥- (تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) ط٧، مكتبة النهضة المصرية (مصر: ١٩٦٥م).

حسن: زكي محمود(الدكتور)

٩٦- (الرحالون المسلمون في العصور الوسطى) دائرة المعارف(مصر: ١٩٤٥م).

حسن: علي إبراهيم(الدكتور)

٩٧- (جوهر الصقلي، قائد المعز الدين الله الفاطمي) الطبعة الثانية مكتبة النهضة المصرية (مصر: ١٩٦٣م).

حسن: ناجي(الدكتور)

٩٨- (القبائل العربية في المشرق) منشورات اتحاد المؤرخين العرب سنة ١٩٨٠م.

حمدان: جمال(الدكتور)

٩٩- (جغرافية المدن) الطبعة الثانية(القاهرة: ١٩٧٧م).

حسين: عبد الرزاق عباس(الدكتور)

١٠٠- (نشأة المدن وتطورها) المطبعة الفنية (القاهرة: ١٩٧٣م).

١٠١- (جغرافية المدن) مطبعة أسعد(بغداد: ١٩٧٧م).

حسين: محمد عبد الغني

١٠٢- (الشريف الإدريسي اشهر جغرافي العرب والإسلام) سلسلة أعلام العرب رقم ٩٧، الهيئة العامة للتأليف والنشر(د .ت).

حسيني: مولوى س.أ.ق

١٠٣- الإدارة العربية، ترجمة إبراهيم احمد العدوى، مكتبة الآداب،(القاهرة: ١٩٤٩م).

خصباك: شاكر(الدكتور)

١٠٤- (في الجغرافية العربية)، مطبعة دار السلام (بغداد: ١٩٧٥م).

١٠٥- (كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي)، (بغداد: ١٩٧٩م).

خليفة: حاجي

١٠٦- (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعة البهية (١٩٤١م)

دائرة المعارف الإسلامية، النسخة العربية، الطبعة الثانية، ترجمة خورشيد واحمد الشتاوي، عبد الحميد يونس،(القاهرة: ١٩٦٩م).

١٠٧- ارندلنك، مادة ابن حوقل.

١٠٨- كولدتسهير، مادة الاصطخري.

١٠٩- مقبول أحمد، مادة جغرافيا.

١١٠- كرامرز، مادة جغرافيا.

الدجيلي: خولة

١١١- (بيت المال نشأته وتطوره من القرن الأول الهجري حتى القرن الرابع الهجري) مطبعة وزارة الأوقاف (بغداد: ١٩٧٦م).

الدوري: عبد العزيز(الدكتور)

١١٢- (تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) مطبعة المعارف (بغداد: ١٩٥٤م).

دوزي: رينهارت

١١٣- (المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب) ترجمة الدكتور اكرم فاضل، دار الحرية للطباعة(بغداد: ١٩٧١م).

ذنون: عبد الواحد(الدكتور)

١١٤- (الفتح العربي في شمال إفريقيا والأندلس) منشورات وزارة الثقافة والإعلام(العراق: ١٩٨٢م).

الزركلي: خير الدين

١١٥- (الأعلام) الطبعة الثالثة(بيروت: ١٩٦٩م).

زغلول: سعد(الدكتور)

١١٦- (تاريخ المغرب العربي) دار المعارف (مصر: ١٩٦٥م).

زمباور: ادورفون

١١٧- (معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، اخرجه الدكتور زكي محمد حسن، حسن احمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م.

زيات: حبيب

١١٨- (معجم المراكب والسفن في الإسلام) المطبعة الكاثوليكية(بيروت: ١٩٥٠م) .

زيادة: نيقولا(الدكتور)

١١٩- (الجغرافيا والرحلات عند العرب) الطبعة الثالثة، (بيروت: ١٩٨٢م).

١٢٠- جغرافية بلاد الشام عند جغرافي القرن الثالث والرابع الهجري، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية(عمان: ١٩٧٤م).

زيدان: جرجي

١٢١- (تاريخ آداب اللغة العربية)، دار الهلال (مصر: ١٩٥٣م).

سالم: السيد عبد العزيز(الدكتور)

١٢٢- (التاريخ والمؤرخون العرب)، (الإسكندرية: ١٩٨١م).

السامرائي: حسام(الدكتور)

١٢٣- (المؤسسات الإدارية ي الدولة العباسية خلال الفترة(٢٤٧- ٣٣٤هـ/ ٨٦١- ٩٦١م)، (دمشق: ١٩٧١م).

سركيس: يوسف البان

١٢٤- (معجم المطبوعات العربية والمعربة) مطبعة سركيس(مصر: ١٩٢٨م).

أبو سعد: احمد

١٢٥- (أدب الرحلات وتطوره في الأدب العربي)، (بيروت ١٩٦٠م).

السلمان: عبد الماجود احمد

١٢٦- (الموصل في العهدين الراشدي والأموي)، موصل (العراق: ١٩٨٥م).

سوسه: احمد(الدكتور)

١٢٧- (العراق في الخوارط القديمة) مطبوعات المجمع العلمي العراقي، مطبعة المعارف(بغداد: ١٩٥٩م).

١٢٨- (الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية) نشرته نقابة المهندسين العراقية (١٩٧٤م).

الشامي: عبد العال عبد المنعم(الدكتور)

١٢٩- (مدن مصر وقرارها عند ياقوت الحموي)، (الكويت: ١٩٨١م).

الشرباصي: احمد

١٣٠- (المعجم الاقتصادي الإسلامي) دار الجيل (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

الصياد: محمد محمود

١٣١- (من الوجهة الجغرافية دراسة في التراث العربي) دار الأحد(بيروت: ١٩٧١م).

ضيف: شوقي

١٣٢- (الرحلات) سلسلة فنون الأدب العربي، الفن القصصي، تصدرها دار المعارف(مصر: ١٩٥٦م).

عباس: إحسان(الدكتور)

١٣٣- (العرب في صقلية)، ط٢، دار الثقافة (بيروت: ١٩٧٥م).

العبيدي: صلاح(الدكتور)

١٣٤- (الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني) دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة و الإعلام(العراق: ١٩٨٠م).

عفيفي: محمد الصادق

١٣٥- (تطور الفكر العلمي عند المسلمين) (القاهرة: ١٩٧٦- ١٩٧٧م).

العلي: صالح أحمد

١٣٦- (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، الطبعة الثانية، دار الطليعة (بيروت: ١٩٦٩م).

١٣٧- (الأحواز في العهود الإسلامية الأولى)، مركز البحوث والمعلومات، (جامعة بغداد د .ت).

١٣٨- (خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى)، مطبعة المجمع العلمي العراقي(١٩٨٦م).

عواد : ميخائيل

١٣٩- (المآصر في بلاد الروم والإسلام)، مطبعة المعارف(بغداد: ١٩٤٨م).

١٤٠- (صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي، الطبعة الثانية، دار الشؤون الثقافية العراق: ١٩٨٦م).

فندي: جمال

١٤١- (الجغرافية عند المسلمين)، (بيروت: ١٩٨٢م).

كحالة: عمر رضا

١٤٢- (معجم المؤلفين)، (دمشق: ١٩٦٠م).

كراتشكوفسكي: اغناطيوس يوليونافتش

١٤٣- (تاريخ الأدب الجغرافي العربي) ترجمة صلاح الدين هاشم(القاهرة: ١٩٦٣م).

لسترنج: كي

١٤٤- (بلدان الخلافة الشرقية)، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة (بغداد: ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

متز: آدم

١٤٥- (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام) ت محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي،(بيروت- د. ت).

مخلص: عدى

١٤٦- (المقدسي البشاري- حياته ومنهجه دراسة كتابه احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من الناحية التاريخية)، الطبعة الأولى، مطبعة النعمان(النجف الأشرف: ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

مال الله: علي محسن

١٤٧- (أدب الرحلات عند العرب في المشرق حتى القرن الثامن الهجري) (بغداد: ١٩٧٨م).

مصلح: فائق نجم الدين

١٤٨- (إقليم فارس منذ الفتح العربي الإسلامي حتى٢١٨هـ/ ٨٣٣م دراسة في أحواله الجغرافية والاقتصادية والإدارية) رسالة دكتوراه(غير منشورة) كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٤.

المعاضيدي: عبد القادر سلمان

١٤٩- واسط في العصر الأموي (٨١- ١٣٢هـ/ ٧٠٠- ٧٤٩م) دار الحرية للطباعة(بغداد: ١٩٧٦م).

المؤتمر الجغرافي الأول: المنعقد في جامعة محمد بن سعود الإسلامية، طبع بإدارة الثقافة والنشر بالجامعة (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

١٥٠- أسود، فلاح شاكر(الدكتور)، دور العرب والمسلمين في رسم الخرائط.

١٥١- علي، شفيق عبد الرحمن(الدكتور) مدارس الجغرافيا عند المسلمين.

١٥٢- العقيلي، محمد بن احمد، جهود الجغرافيين المسلمين في رسم الخرائط.

مؤنس: حسين(الدكتور)

١٥٣- (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) مطبعة مدريد، معهد الدراسات الإسلامية (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

الموسوي: مصطفى عباس

١٥٤- (العوامل التاريخية لنشأة المدن وتطورها) منشورات وزارة الثقافة والإعلام(العراق: ١٩٨٢م).

ناجي: عبد الجبار(الدكتور)

١٥٥- (دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية) مطبعة جامعة البصرة (١٩٨٦م).

هنتس: فالتتر

١٥٦- (المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري)، ترجمه عن الألمانية الدكتور كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية(عمان: ١٩٧٠م).

الدوريات:

الأثرى: محمد بهجت

١٥٧- (الجغرافية عند المسلمين والشريف الإدريسي) مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني(١٣٧١ه/ ١٩٥٢م).

اسود: فلاح شاكر(الدكتور)

١٥٨- (خرائط ابن حوقل في كتابه صورة الأرض)، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد السادس والعشرون(١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

الأشعب: خالص(الدكتور)
١٥٩- (المدينة في الفكر الجغرافي العربي في العراق)، مجلة آفاق عربية، العدد السابع، السنة الحادية عشر، تموز(١٩٨٦م).
١٦٠- (المدينة منهجية دراستها في الفكر الجغرافي العربي في العراق) مجلة الجمعية الجغرافية العراقية (١٩٨٦م).
أبو بكر: احمد عثمان(الدكتور)
١٦١- (الكرد في كتابات المسلمين الأوائل ذكر مواطن وطوائف الأكراد) مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد٢٤(١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
جواد: مصطفى(الدكتور)
١٦٢- (في الصناعات والفنون القديمة)، مجلة غرفة التجارة(بغداد: ١٩٤١م).
ذنون: عبد الواحد(الدكتور)
١٦٣- (جهاز الأمن والشرطة السرية في العصر العباسي) مجلة الشرطة، العدد(٣)، (بغداد: ١٩٧٥م).
١٦٤- (الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل) مجلة المؤرخ العربي العدد(٢٣) سنة ١٩٨٣م.
سعدى: عثمان
١٦٥- (الأصول العربية للبربر)، مجلة آفاق عربية، العدد(٩) سنة١٩٨٠م.
شوكت: إبراهيم(الدكتور)
١٦٦- (كتاب الأقاليم لمؤلفه الاصطخري)، مجلة الأستاذ، كلية التربية، جامعة بغداد، المجلد (٨) لسنة (١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م).
١٦٧- (تفكير العرب الجغرافي وعلاقة اليونان به)، مجلة الأستاذ، كلية التربية - جامعة بغداد، المجلد(٩) لسنة(١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).
١٦٨- (خرائط جغرافي العرب الأوائل)، مجلة الأستاذ، كلية التربية- جامعة بغداد، المجلد(٩) لسنة(١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).
العبادى: احمد مختار
١٦٩- (سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس)، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، بمدريد ١٩٥٧م.
علي: محمد كرد
١٧٠- (الجغرافية عند المشارقة) مجلة المقتطف، مجلد (٢٥)، من يوليو- ديسمبر (١٩٠٠م).
العلي: صالح احمد(الدكتور)

١٧١- (تقسيمات خراسان الإدارية في العهود الإسلامية الأولى)، مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد(١٤)، (١٩٧١م).

١٧٢- (إدارة خراسان في العهود الإسلامية الأولى) مجلة كلية الآداب- جامعة بغداد، العدد (١٥)، لسنة(١٩٧٢م).

١٧٣- (استيطان العرب في صدر الإسلام) مجلة المجمع العلمي العراقي : ج١، ٢، ٣، ٤، المجلد الثاني والثلاثون لسنة ١٩٨١م.

فهد: بدري

١٧٤- (الطيلسان) مجلة كلية الشريعة ببغداد، العدد (٢)، لسنة ١٩٦٦م.

مكي: محمود علي

١٧٥- (التشيع في الأندلس)، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، مجلد (٢) العدد(١- ٢) سنة(١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

المراجع الاجنبية :

آ- الانكليزية:

The Encyclopaedio of Islam, New Edition, London, 1965:
1- A-Miquel: Ibn Haw Kal.
2- ——————————: AL- Istakhri.
3- S. Ma qbal Ahmad: Geography.

ب- الفرنسية:

Blac here, etch. Dar marn.
4- Geographes Arabes Dumyern Ages, Paris, 1957.
Renuad: M
5- Geographes D Aboul fed a, Paris, 1848.
Paol: Seboag
XVII, A, 1964 Ibn Ha ukal, Lea Gahiers de- Tun isie Tom